

بعض ما جاء في الرقائق والزهديات والمواعظ
عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

لجامعه الحافظ المحدث
الشيخ عبد الله التليدي

كتاب يوحد خيمة الصوفية وخيمة السلفية تحت خيمة رسول الله العظيمة

كتاب مفتاح طريق السعادة

بعض ما جاء في الرقائق والزهديات والمواعظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

(وعددها 220 ثابتة) **تذكرة لي وخاتمة حياتي** التي بلغت **83**

جامعه عبد الله التليدي ختم الله له بالسعادة آمين

"من هنا تعلم أيها القارئ حالة قرائنا وطلبتنا وعلمائنا الحاليين الذين لا هدف لهم إلا التصنع والرياء والعمل للدنيا وأسبابها ومصايدها وهذا باب واسع متشعب وقد استقصى الكلام فيه سيدنا أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في ربع المهلكات من الإحياء فراجعه فقد ذكر هناك من الآفات التي تدخل في الأعمال ودقائق الرياء والسمعة ما ينبغي الوقوف عليه."

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه

الحمد لله ذي العزة والجبروت، والملك والملكوت، الحي الذي لا يموت، خالق الخلائق ومقدر آجالهم وأرزاقهم، المحيي المميت، الواحد في الذات، والأفعال، والصفات، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس . يموتون، " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وجْهَهُ " القصص 88، وصل اللهم وسلم وبارك على أفضل خلقك، وأكرم رسلك سيدنا محمد القائل : " اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة " وعلى آله الطيبين الطاهرين وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى صحابته وخاصة المهاجرين منهم والأنصار الأكرمين، ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد فهذا كتاب جمعت فيه بعض ما جاء في الرقائق والزهديات والمواعظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليكون تذكرة لي وخاتمة حياتي التي بلغت عشر التسعين . خاصة ونحن نعيش في وقت قد طغت فيه المادة وغزت الدنيا القلوب وأشربت حبها وأقبل كل الناس إلا من رحم الله على جمعها من حلال وحرام وأصبحوا لا هم لهم إلا بطونهم وفروجهم وغفلوا عن الآخرة وأعرضوا عن التزود لها والاهتمام بها . إطلاقاً.

فهذا الكتاب بحمد الله تعالى وإذنه علاج هذا الداء العضال فمن وصل إليه ووقف عليه فليتخذه أنيسه فسوف يتذكر ويخشى الله تعالى ويئوب إليه.

ما هي الرقائق والزهديات والمواعظ ؟

الرقائق ويقال رقاق جمع رقيقة وهي كل ما يحدث في القلب رقة من خوف ووجل من عذاب الله وغضبه، ويثمر رجاء رحمته تعالى وفضله وإحسانه وما يحمل الرجوع إلى الله والتوبة إليه والزهد في الدنيا والعمل للآخرة وما يئول إلى ذلك.

فمن قرأ الرقائق ونظر فيها رق قلبه ودمعت عيناه وخاف ربه ورجاه ومن أعرض عنها وغفل عن النظر فيها أو سماعها قسا قلبه وغلظ واشتد وغطاه الران فبعد عن الله تعالى ومات خاسراً عياذاً بالله تعالى.

أما الزهديات فهي الآيات والأحاديث التي تحمل على الزهد في الدنيا والإعراض عنها وعن زينتها وزخارفها احتقاراً لها واشتغالا بالله تعالى وما يقرب إليه من خير وعمل.

فالزهد هو ترك ما يقبل عليه عامة الناس من لذة ومال وجاه ورياسة ولا يؤخذ من الدنيا إلا ما كان من الضروريات من المأكل والمشرب والملبس والمسكن . التي بها قوام نظام العالم كما سيأتي ويمر عليك من حياة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحياة أصحابه وسلف هذه الأمة.

أما المواعظ فهي جمع موعظة وهي إسم من الوعظ والوعظ التذكير والإرشاد والأمر والنهي وقد خصت الموعظة بما يذكر الإنسان ويرقق قلبه ويحمله على الطاعة وقد جاء في الحديث الصحيح وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم موعظةً بليغةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ. رواه أحمد 127/4 وأبو داود 4607 والترمذي وابن ماجة وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه.

و كتب الفقير إلى ربه تعالى عبد الله التليدي

الإخـــــلاص

عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ امرئ مسلم : إخْلاصُ العمل لله، والنُّصْحُ لأئمةِ المسلمين، ولزومُ جماعتهم، فإن دَعْوَتَهم تُحيطُ مِن ورَائِهم ".*

قوله " لا يغل " من الإغلال وهو الخيانة أو من الغل وهو الحقد والشحناء. ومعناه أن قلب المؤمن لا يصدر عنه الحقد والشحناء، والخيانة والميول عن الحق لأن إيمانه يمنعه من ذلك فمن خالف كان في إيمانه نقص.

و قوله " إخلاصُ العمل لله " الإخلاص أن يقصد وينوي بعمله الصالح وجه الله تعالى ورضاه دون غرض آخر من سمعة ورياء فالإخلاص يقابله ويضاده الشرك وهو أكبر وأصغر فالشرك الأكبر هو المخرج من الملة والمخلد صاحبه في النار ويقابله الإخلاص في

التوحيد، والشرك الأصغر هو الرياء والسمعة وسيأتيان ويضاده الإخلاص في العمل لوجه الله عز وجل. فالإخلاص أن يخلص العمل لله وحده ولا يشوبه ويخلطه غيره كائنا من كان.

---

* رواه ابن ماجة 230 والدارمي 235 جاء في حديث طويل وسنده صحيح.

و الإخلاص روح الأعمال وهو العروة الوثقى والذروة العليا المأمور بها على ألسنة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو الوسيلة لصحة الإيمان والأعمال.

قال الله تعالى : " ومَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء " البينة 5، أي أمروا أن يجعلوا دينهم خالصاً لوجه الله تعالى لا يشوبه شرك ولا نفاق ولا رياء، ولا حظوظ شيطانية.

و قال عز وجل : " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " الزمر 3، أي الصافي من جميع الشركيات.

و قال تعالى عن التائبين من المنافقين : " إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وأَصْلَحُواْ واعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً" النساء 146، قال علماؤنا رحمهم الله تعالى : التوبة أول مقام من مقامات اليقين، والإخلاص خاتمتها .

و الإخلاص وضده الشرك بقسميه يتواردان على القلب فهو مصدر النية والقصد والبواعث وعلى ما عزم عليه ونواه الحكم، فمن نوى شيئاً من القربات لوجه الله عز وجل وعَمِلَه ولم يشبه شيء آخر كان مخلصاً فإذا طرأ عليه شيء من شوائب الرياء عند العمل لا يتركه وليرد ما طرأ عليه ما استطاع ويستغفر الله تعالى ولا يضره ذلك إن شاء الله عز وجل وعلى أي فالله عز وجل لا يقبل من الأعمال والأقوال والعزائم إلا ما أريد به وجهه وخلص له تعالى.

الرِّيَـــاءُ والسُّـمْـعَــةُ

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغْنىَ الشُّركَاءِ عن الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه مَعِي غَيْري تَرَكْتُه وشِرْكَه ". وفي رواية : " فمن عَمِلَ عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريءٌ وهو للذي أشرك ".*

ففي الحديث الشريف تحريم خلط العمل لله تعالى بغيره فإن ذلك يعتبر شركاً وهو إما شرك أكبر موجب للخلود في النار كمن عبد مع الله غيره وإما شرك أصغر كمن أراد بعمله وجه الله تعالى ولكنه راآى به غيره تعالى ليحمد ويثنى عليه وليقال فلان كذا وكذا مما يتعاطاه المراءون وكل ذلك باطل لا يقبله الله عز وجل وهو بريء منه ومن صاحبه.

و قد قال الله تعالى في هذا المعنى : " فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً " الكهف 110.

فالآية الكريمة مصرحة بأن من كان يؤمن بالله عز وجل ويأمل لقاءه ويرجو

---

* رواه مسلم 115/18 باللفظ الأول وابن ماجة 4202 بالثاني كلاهما في الزهد.

ثوابه ويخاف عقابه فيجب عليه أن يعمل أعماله صالحة وليخلصها لله تعالى ولا يرائي بها أحداً ولا يبتغي بذلك غير وجه الله فإنه تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً له وحده.

و الشرك في الآية هو الشرك الأصغر الذي يدخل في الأقوال والأعمال المتقرب بها إلى الله تعالى وهو التظاهر للناس ومراآتهم بها ليعرفوا منزلته فيعظموه ويحترموه ويثنوا عليه لأجل ذلك فمن قصد ونوى ما ذكر كان مشركاً شركاً خفياً.

و عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إذا جَمع اللهُ الناسَ ليومِ القيامة لِيوم لا رَيْبَ فيه نادَى مُنَادٍ : من كان أشرك في عَمَلٍ عَمِله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإنّ الله أغنى الشُّرَكَاءِ عن الشرك ".*

فالحديث كسابقه جاء مؤكداً ومبينا للآية الكريمة.

فالمرائي خاسر لا ثواب لأعماله يوم القيامة بل يضاف إلى ذلك عقابه كما يأتي قريباً.

---

* رواه أحمد 466/3 ج215/4 والترمذي في التفسير 2950 بتهذيبي وابن ماجة في الزهد 4203 وابن حبان 2499 والحديث حسن لغيره.

و عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا شيء له "، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا شيء له " ثم قال: " إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابْتُغِيَ به وجْهُه".*

" ابتغي " أي طلب به وجهه تعالى وقوله " يلتمس " أي يطلب الأجر والثواب من الله وذكر الناس إياه بالخير هذا هو الرياء والشرك الأصغر فإنه أراد بغزوه ثواب الله تعالى وخلط ذلك بنية ذكره عند الناس فيقال : فلان شجاع وجريء ومقدام . فهذا شرك في العمل والله لا يقبل إلا ما أريد به وجهه وحده. وهذا ما جاء في حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : الرجل يقاتل لِيُذكَرَ، ويُقاتل لِيَغْنَمَ، ويقاتل

لِيُرَى مكانُه، فمن في سبيل الله؟ قال : " مَن قَاتل لِتكونَ كلمةُ الله هي العُليا فهو في سبيل الله ".**

---

* رواه أبو داود والنسائي في الجهاد 22/6 بسند حسن صحيح.

** رواه البخاري ومسلم وباقي الجماعة.

فقوله " ليُذكر " أي يذكره الناس بالإقدام والنجدة . وكذا قوله " ليُرى مكانه " أي ليرى الناس مكانه من القتال فيمدحوه فذلك حظه وليس له من الأجر شيء، وحسب المرائين من الشر والخسران قوله تعالى : " فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ " الماعون 4-5-6.

فالمراءون لهم الويل والهلاك والعذاب يوم القيامة إن لم يتوبوا ويخلصوا أعمالهم لله عز وجل.

و من أنواع الرياء ما بينه الحديث التالي :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : " ألا أُخْبِرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال "؟ قال : قلنا : بلى فقال : " الشركُ الخَفِيُّ : أن يَقومَ الرجلُ يصلي فَيُزَيِّنُ صلاتَه لَما يَرى مِن نَظَرِ رَجل ".*

فالصلاة خير عمل ولكنها تنقلب شراً بمراآة صاحبها بتزيين قراءتها وتطويل ركوعها وسجودها . ليذكره الناس بذلك فهذا شرك خفي لا يتفطن له الناس ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه ابن ماجة في الزهد 4204 وحسنه البوصيري في الزوائد.

إلا من حفته عناية الله عز وجل ثم هو شهوة نفسانية خفية كما في الحديث التالي.

فعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إنَّ أخوفَ ما أَتَخَوَّف على أمَّتي الإشراكُ بالله أما إني لستُ أقول يَعبُدون شَمْساً وقمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوةً خفيةً ".*

فالرياء شهوة من شهوات النفس خفية لا يطلع عليها أكثر الناس إلا من راقب نفسه وأعماله وليس ذلك إلا كبار العارفين بالله من النساك.

---

* رواه ابن ماجة أيضا 4205 قال البوصيري في إسناده عامر بن عبد الله لم أر من تكلم فيه وباقي رجاله ثقات. ويتأيد بما في الباب.

من وعيد المرائيـــــن

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من سمَّع سَمَّع اللهُ به، ومن رَاآى رَاآى اللهُ بِه ".*

قال العلماء : الرياء إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسمعة بضم السين المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر قالوا الراايء أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس ليحمدوه ويعظموه. وقوله من راآى الخ معناه أنه لما عمل أعماله في الدنيا ليراه الناس ويسمعوه جوزي بذلك يوم القيامة بأن يشهره ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه أمام المخلوقات.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن أولَ الناسِ يُقْضَى يوم القيامة عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَه فعَرَفَها قال : فما عملتَ فيها؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشْهدتُ قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ ليقال : جَرِيءٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه

---

* رواه مسلم في الزهد 116/18 ومثله عن جندب رواه البخاري في الرقاق 120/14 ومسلم في الزهد 116/18.

حتى أُلْقي في النار. ورجل تَعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملتَ فيها؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته

وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل يُحَبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك قال : كذبتَ ولكنك فعلتَ ليقال : هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ".*

قال النووي رحمه الله تعالى : قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الغازي، والعالم، والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى : " ومَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ " البينة 5، قال : وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً. وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من ـــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 322/2 ومسلم في الجهاد 51/50/13 والنسائي 21/20/6.

فعل ذلك لله تعالى مخلصاً . ومن هنا تعلم أيها القارئ حالة قرائنا وطلبتنا وعلمائنا الحاليين الذين لا هدف لهم إلا التصنع والرياء والعمل للدنيا وأسبابها ومصايدها وهذا باب واسع متشعب وقد استقصى الكلام فيه سيدنا أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في ربع

المهلكات من الإحياء فراجعه فقد ذكر هناك من الافات التي تدخل في الأعمال ودقائق الرياء والسمعة ما ينبغي الوقوف عليه.

ما يظن أنه رياء وليس منه

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل فيُسِرُّه فإذا اطُّلِع عليه أعجبه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " له أجران أجْرُ السِّر وأجر العلانية " وفي رواية : إني أعمل العمل فيُطَّلَعُ عليه فيُعجبُني قال : " لك أجران ".*

و عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: قلتُ له : الرجل يعمل العمل فيحبه الناس عليه قال : " ذلك عاجل بُشْرى المؤمن ".**

قال الترمذي رحمه الله تعالى : وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث : " إذا اطلع عليه فأعجبه " إنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " أنتم شهداء الله في الأرض " فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ويُكْرَم ويُعَظَّم على ذلك فهذا رياء وقال

---

* رواه الترمذي 2202 وابن ماجة 4226 كلاهما في الزهد وابن حبان 2516 بسند صحيح ولا يضر إرسال من أرسله.

** رواه ابن ماجة في الزهد 4225 بسند صحيح.

بعض أهل العلم إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فتكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضاً. وأقول : إنما الأعمال بالنيات فمن عمل عملا صالحاً أخلص فيه لله تعالى ولم يرد به غيره ثم اطلع عليه وأثنى الناس عليه وعظموه وأكرموه وأحبوه لذلك لا يضره ذلك إن شاء الله فإنه لم يقصد بعمله شيئاً من ذلك فعمله صحيح مقبول عند الله تعالى وثناء الناس عليه وما يتبع ذلك هي بشرى من الله عز وجل معجلة له كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومع ذلك فلا ينبغي له أن يغتر بثناء الناس ومدحهم إياه.

دواء الخوف من الريـــاء

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم فقال : " يا أيها الناس اتَّقُوا هَذا الشِّركَ فإنه أخْفَى مِن دَبِيبِ النمل " فقال له من شاء الله أن يقول وكيفَ نَتَّقيهِ وهو أخفى من دبيب النمل؟ يا رسول الله قال : " قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرِك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ".*

ففي الحديث بيان دواء من يخاف الرياء في أعماله وأنه يذكر هذا التعوذ ثلاث مرات كل يوم فيحفظه الله تعالى من هذا الداء الخطير إن شاء الله تعالى.

و قد كان الشيخ سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى موفقاً كثيرا حيث جعل هذا التعوذ في وظيفته العظيمة التي اعتاد قراءتها الشاذليون.

و مع ذلك فيجب على المؤمن الحذر من دقائق الرياء وعلانيتها حفظنا الله تعالى من الرياء والسمعة في السر والعلن وجعل جميع أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 403/4 والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير أبي علي الكاهلي فوثقه ابن حبان ولم يجرحه أحد أفاده المنذري والهيثمي وله شاهد عن حذيفة رواه أبو يعلى بنحوه وفيه: " يقول كل يوم ثلاث مرات " وهو صالح للاستشهاد به فالحديث حسن أو أعلى.

لوجهه الكريم إنه قريب سميع جواد مجيب الدعاء.

المحافظة على الوقت واغتنام أيام العمــر

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فيهما كثيرٌ مِن الناسِ، الصِّحَّةُ والفَرَاغُ ".*

قوله " مغبون " الغبن بفتح الغين وسكون الباء هو الخداع في البيع ونقص ثمن السلعة لمن لا يعلم حالة السوق.

فالصحة والفراغ من الشواغل نعمتان عظيمتان من الله عز وجل على الإنسان سيسأل عنهما يوم القيامة في جملة سائر النعم الأخرى التي

تتوارد على المرء طول حياته ليل نهار فإن قام بها وشكر الله تعالى عليها – ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله عز وجل وطاعته والاستقامة له – كان من السعداء الفائزين وإن قصر في ذلك ولم يقم بحق الله فيها كان خاسراً مغبونا ومخدوعا في تجارته يوم القيامة .

و ما أكثر هذا الصنف من البشر فإن أكثرهم لا ينتفعون بصحتهم وفراغهم فتراهم يقضون أعمارهم في اللهو واللعب والسفاسف والخرافات وما لا يأتي ———————

* رواه أحمد 285/344/1 والبخاري في الرقاق 4/3/14 والترمذي 2126 وابن ماجة 4170 كلاهما في الزهد.

لهم بنفع في الآخرة وسيأتون يوم التغابن خاسرين عياذاً بالله تعالى.

و عن ابن عباس أيضاً أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لرجل وهو يعظه : " اغْتَنِمْ خَمْسا قَبْلَ خَمْسٍ، حَيَاتَكَ قَبْلَ موتِك، وصِحَّتَكَ قبْل سُقْمِك، وفراغك قبْلَ شُغْلِك، وشَبَابَك قبلَ هَرَمِك، وغِنَاكَ قَبل فَقْرِك ".*

قوله " وهو يعظه " أي يذكره بما يرقق قلبه.

فهذه إرشادات نبوية رائعة ذكرنا بها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأمرنا أن نجتهد ونجعل اكتساب الأعمال الصالحة في هذه الحياة غنيمة ندخرها لآخرتنا وذلك بمراعاة مجموعة من النعم الإمدادية

التي تتوارد على الإنسان وتتعاقب عليه ما دام في هذه الحياة لا تنفك عنه بحال. وهي الحياة والصحة، والفراغ، والشباب، والغنى، ويقابلها أضدادها الخمس وهي من طوارئ الحياة وبلاياها اللازمة للإنسان المتعاقبة عليه وهي الشغل، والسقم، والهرم، والموت والفقر.

فالعاقل الكيس هو الذي يغتنم التقرب إلى الله تعالى بأنواع الخير والبر في الخمس الأولى قبل فواتها وهجوم الخمس الثانية عليه، فإنها إذا نزلت به لا يستطيع ___________________

* رواه الحاكم 306/4 وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ورواه أحمد وابن المبارك في الزهد والخطيب في اقتفاء العلم العمل 170 عن عمرو بن ميمون مرسلا بسند حسن.

معها أي عمل ينفعه في آخرته، لكن الإنسان لا يعرف مزايا هذه النعم وخيرها وفضلها حتى يفقدها وتحل محلها أضدادها.

و قد كان المسلمون الأولون على جانب عظيم من محافظتهم على أوقاتهم والضن بها، ومن رجع إلى تراجم أعلام الأمة وعلمائها وعبادها رآى من ذلك العجب، وفي هذا ورد عنهم أقوال وحكم كقول الإمام علي رضي الله تعالى عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. ذكره البخاري معلقاً في كتاب الرقاق 11/10/14 وهو قطعة من حديث جاء عنه موقوفاً ومرفوعا رواه ابن أبي الدنيا في الزهد.

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما يا أخي : اغتنم صحتك وفراغك من قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده عليك. ذكره الخطيب في اقتضاء العلم العمل.
وجاء عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي مناد يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة، وقال : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.
وقال بعض الصالحين : كل يوم يمضي، وكل ساعة تنقضي، وكل لحظة تمر، ليس في مقدور أحد استعادتها والعمل فيها بحال، فأحرى أن تعرف ما ينزل بك من البلاء .

و كان السلف يقولون : من علامة المقت إضاعة الوقت. ويقولون : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقال بعضهم : من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون. وقال أحمد بن أيوب أحد شيوخ البخاري رحمهما الله تعالى :

اغْتَنِمْ في الفراغ فَضْلَ رُكوع :::::::: فَعَسَى أن يكونَ موتُك بَغْتَهْ

كم صَحيح رأيتَ مِن غير سُقْمٍ :::::::: ذَهَبَتْ نَفْسُه الصحيحةُ فَلْتَهْ

و قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

إن لله عِبَاداً فُطَنَا :::::::: طَلَّقُوا الدُّنْيَا وخَافُوا الفِتَنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا :::::::: أنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وطَنَا

جَعَلُوها لُجَّةً واتَّخَـذُوا :::::::: صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

و كلامهم في هذا كثير جداً. والمقصود أن الخاسر المغبون في آخرته هو الذي من الله تعالى عليه بفضل فراغ، وصحة جسم وما يكفيه من قوت، ولم يداهمه هرم ولا خرف ثم لا يقدم لنفسه ما ينفعه في آخرته، بل يقتل وقته الغالي في الفضول ويضيع حياته الذهبية في اللغو والقيل والقال.

و قد أجاد العارف سيدي ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في حكمه حيث يقول :

" الخِذْلاَنُ كُلُّ الخِذْلاَنِ أن تَتَفَرَّغَ من الشَّوَاغِلِ ثم لا تَتَوَجَّهُ إليه " يعني الله تعالى فحياتك أيها الإنسان نعمة من الله تعالى عليك وتسخير منه لك كما قال تعالى : " وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ " النحل 12، وقال جل علاه : " وهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً " الفرقان 62.

نعمة طول العمر مع العمل الصالح

عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خَيرٌ؟ قال: " مَن طالَ عُمُرُه وحَسُن عَمَلُه " قال : أي الناس شر؟ قال : " من طال عُمُرُه وساء عَمَلُه ".*

فطول العمر من نعم الله العظيمة على العبد المؤمن إذ بطول عمره يزداد أجراً وثواباً في الآخرة فأفضل الناس من أطال الله عمره ووفقه لطاعته والتقرب إليه بصالح أعماله. ومن الخطإ بمكان أن ينزل بلاء بالإنسان فيفزع إلى تمني الموت وطلبه فإن حياة المسلم لها خير كبير فمن وفق لطاعة الله وصالح الأعمال كانت حياته زاخرة بالقربات وأجورها وخاصة الأعمال العظيمة في الإسلام التي لها أهمية عظمى كالصلاة مثلا والصيام والصدقة والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وبر الوالدين وتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل المتوالي ليل نهار والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي لا يخلو منها وقت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى بجميع وسائلها، وتعليم ــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 44/43/5 والترمذي 2150 والدارمي 2746/2745 والحاكم 339/1 وحسنه الترمذي وصححه وابن جدعان روى عنه شعبة قبل اختلاطه.

المسلمين ما يهمهم من العلوم الدينية النافعة ابتغاء مرضاة الله تعالى وتحفيظ القرآن للأطفال والسعي في مصالح المسلمين وقضاء حوائجهم، والتفريج عن المكروبين ونصر المظلومين وإدخال السرور على المحزونين إلى غير ذلك من الأعمال العظيمة التي يتعاطاها المؤمن في حياته. بل مجرد الإيمان وحده لا يعدله شيء إذ هو أفضل الأعمال فكيف إذا أضيف إليه غيره من أنواع القربات، فحياة المؤمن والحمد لله كلها خير فكيف مع هذا الخير العظيم يتمنى

الموت أو يطلبه لضر أصابه أو محنة نزلت به قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ".* وفي رواية : " إما محسنا فلعله يزداد وإما مسيئا فلعله يستعتب ".**

قوله " يستعتب " أي يطلب العتبى والرضا من الله تعالى.

---

* رواه أحمد 347/3 والبخاري في المرضى 232/12 وفي الدعوات 401/13 ومسلم في الذكر والدعاء 8/7/17 والأربعة غير ابن ماجة من حديث أنس رضي الله تعالى عنه.

** رواه أحمد 309/263/2 والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الإنسان وطول الأمل وحبه الحيــاة

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : خط رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطا مربعاً، وخط خطا في الوسط، خارجاً، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال : " هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا ".*

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : خط النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطوطاً فقال : " هذا الأمل و هذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب ".** وفقي رواية : " هذا ابن آدم و هذا أجله ".**

و معنى الحديثين أن أجل الإنسان أقرب إليه من الآمال التي يتمناها ويدبر أمرها ليل نهار رغم ما يطرأ عليه من الآفات وينهشه من الأعراض.

---

* رواه البخاري في الرقاق 12/11/14 والترمذي في القيامة 2275 وابن ماجة 4231 في الزهد وقوله الأعراض جمع عرض بفتحتين هو كل ما ينتفع به في الدنيا.

** رواه البخاري في الرقاق 13/14 باللفظ الأول ورواه أحمد والترمذي وابن ماجة بالرواية الثانية.

و برسم هذا المثال المذكور يتضح معنى الحديثين الشريفين :

الأجل

الأمل الإنسان

______ . ______ الأجل

ـــ ـــ ـــ ـــ

الأعراض

الأجل

فقوله في الحديث : " هذا الإنسان " يشير إلى النقطة الداخلة عند الخط الداخلي وبقوله " وهذا أجله محيط به " يشير إلى الخط المربع المستوي الزاويا وبقوله " وهذا الذي هو خارج أمله " يشير إلى الخط الخارجي عن المربع وبقوله " وهذه الخطط الصغار " يشير به إلى ما تحت الخط الطويل الداخلي الخارجي. فهذا مثل ضربه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإنسان وأمله وأجله والآفات والأعراض الطارئة عليه في حياته فإنه إن سلم من آفة لم يسلم من أخرى وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو أهل أو نزول بلية وقع في الهرم ثم وافاه أجله المحتوم . وهذا كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " مُثِّلَ ابنُ آدم وإلى جنبه تسعةٌ وتسعون مَنِيَّةً إن أخطأته المَنَايا وقَع في الهَرَم حَتَّى يَموتُ ".*

و قوله " منية " بفتح الميم وكسر النون ثم ياء مشددة مفتوحة هي البلية المهلكة وبذلك سمي الموت وقوله " إن أخطأته المنايا " أي جاوزته أسباب الموت من مرض وجوع وغرق وحرق وحرب . ولم يُصَبْ بإحدى ذلك وقع في الكبر والشيخوخة والهرم والخرف حتى يوافيه أجله.

فالإنسان في هذه الحياة لا يخلو من أنواع البلايا والمهالك وأسباب الموت وهي المعبر عنها في الحديث بالمنايا فإن نجا منها في حياته الطويلة وذلك نادر وقع في الداء الذي لا دواء له وهو نهاية الكبر من الهرم والضعف ثم يأتي بعده الموت وهو الداء الذي أعيا الإنسان من يوم خلقه الله تعالى فلم يجد له دواء ولا عنه مصرفاً. والمقصود أن المثالين فيهما إرشاد إلى قصر الأمل بأن يكون المرء

---

* رواه الترمذي في القدر 1982 وفي الزهد 2277 وحسنه وصححه.

دائم النظر إلى قرب أجله، وأن لا يكون حريصاً على طول الحياة والبقاء فيها والشغف بالأماني الباطلة وكثرة التدبير فيما لا يكون غالباً فإن ذلك من موجبات الغفلة وأسباب الحسرات يوم القيامة. وليحذر أن يكون ممن يشملهم قوله تعالى : " ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ " الحجر 3.

و مع كون طول الأمل مذموماً شرعاً فالإنسان من طبيعته كلما تقدم به السِّنُّ ازداد أَمَلاً وحبا للمال وحرصاً على الحياة إلا من شاء الله وهذا ما جاء في الحديث التالي :

فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يَهْرَمُ ابنُ آدم ويَشِبُّ معهُ اثنان الحِرصُ على

العُمُر، والحرصُ على المال " وفي رواية : " يَكبَر ابنُ آدم ويكبَر معه اثنان حبٌّ المال وطولُ العُمُر ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " قَلبُ الشيخ شَابٌّ على حُبِّ اثنين طولُ الحياة وحبٌّ المال ".** ــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 275/256/192/3 والبخاري في الرقاق 16/15/14 ومسلم في الزكاة 138/7 والترمذي 2159 وابن ماجة 4234 كلاهما في الزهد.

** رواه البخاري في الرقاق 15/14 ومسلم في الزكاة 138/7 والترمذي وابن ماجة في الزهد.

و في رواية : " لا يزالُ قلبُ الكبير شاباً في اثنتين في حُبِّ الدُّنيا وطولِ الأَمَلِ".

قوله " يهرم " أي يكبر ويضعف وقوله " يشب " بفتح الياء وكسر الشين أي يقوى ويعظم وقوله " شاب " على صيغة إسم الفاعل أي قوي نشط. والحرص بكسر الحاء وسكون الراء الرغبة في الشيء مع محبته.

فابن آدم مجبول على حب طول العمر والبقاء مع حب المال والرغبة فيه حتى إنه لشدة حرصه على ذلك لا يزيده تقدم السن وكثرة المال إلا طمعا في زيادة أكثر ويود لو يعمر ألوفاً من السنين وأن تكون له أودية من الذهب.

و هذا الحرص على طول العمر والرغبة فيه مذموم أشد الذم إذا كان بقصد قضاء الشهوات والاسترسال في اتباع الملذات المحرمات، أما إذا كان بقصد الزيادة في البر والخير والرجوع إلى الله تعالى فلا يذم وكذا إذا كان من العالم الموفق المتعدي نفعه إلى الآخرين فقد قال ابن الجوزي : الأمل مذموم للناس إلا للعلماء فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا .

و من التحذير من طول الأمل ما رواه عبد الله بن عمرو قال : مر علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحن نعالج خُصا لنَا فقال : " ما هذا ؟" فقلنا وهى فنحن نصلحه فقال : " ما أرى الأمرَ إلا أعجلَ من ذلك ".* وفي رواية : مر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنا أطين حائطاً لي أنا وأمي فقال : " ما هذا يا عبد الله؟" فقلت : يا رسول الله شيء أُصلِحُهُ فقال : " الأمر أسرعُ من ذلك ".*

قوله " نعالج " أي نزاول وقوله " خصا " هو بضم الخاء البيت من قصب وقوله " وهى " بفتح الهاء وكسرها أي ضعف وبلي أو تخرق وقوله " الأمر أسرع أو أعجل من ذلك " معناه : ما أظن نزول الموت بكم إلا أسرع من خراب هذا البيت فكيف تعمل في إصلاحه وقد يفاجئك الأجل قبل ذلك فلأن تسعى في إصلاح عملك أولى لك وأجدر بك من إصلاح بيتك. ففي الحديث الحض على قصر الأمل والتزهيد في طول البقاء، وهذا لا يعني ترك تعاطي أسباب الحياة من

مسكن ومأكل ومشرب وملبس بل ذلك منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تذكير فقط، وإيقاظ للغافلين .

---

* رواه أحمد 161/2 وأبو داود 5236/5235 في الأدب والترمذي 2155 وابن ماجة 4160 كلاهما في الزهد وحسنه الترمذي وصححه.

لا عذر لمن بلغ الستين سنـــة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أعْذَرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّر أجَلَه حَتى بلغَ سِتِّين سَنَةً ".*

قوله " أعذر الله " الإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول مثلا : لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به . يقال : اعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه.

فمن بلغ إلى هذا السن من العمر وهو الستون سنة لم يترك الله تعالى للعبد سبباً في الاعتذار لأن هذا السن هو معترك المنايا غالباً وسن الرجوع والإنابة إلى الله عز وجل والمبادرة إلى كل ما يقرب إليه والإكثار من تلاوة القرآن والاستغفار وذكر الله والدعاء والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فما بقي للمرء بعد هذا

السن إلا انتظار الموت ولقاء الله عز وجل كما دل عليه الحديث التالي.

---

* رواه أحمد 417/320/275/2 والبخاري في الرقاق 14/14.

أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعينَ وأقلُّهم من يَجُوز ذلك ".*

أفاد الحديث أن أعمار هذه الأمة تنقضي في هذا العقد وهو ما بين الستين والسبعين وهذا من باب الغالب وإلا فهناك من يعمر فيجاوز السبعين والثمانين . والمائة غير أن ذلك نادر متعنا الله تعالى بحياتنا في طاعة الله. وقد ذكر غير واحد أنه كان ببغداد عالم يدرس ثنتي عشرة مادة من مختلف الفنون العلمية فخرج يوماً لشأنه فسمع شاعراً ماجناً يقول :

إذَا العِشْرُونَ مِن شَعبانَ ولَّت ::::::: فَوَاصِل شُرْبَ لِيلِك بِالنَّهارِ

و لاَ تَشْرَبْ بِأقْدَاحٍ صَغــارٍ ::::::: فَقد ضَاق الزَّمانُ عن الصِّغارِ

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة المكرمة فلم يزل بها يتعبد الله تعالى حتى وافاه أجله، فاستيقظ من غفلته مع تقدم سنه بقول ذلك الماجن الذي ضاق وقته عن ــــــــــــــــــــــــ

* رواه الترمذي في الزهد 2151 وفي الدعوات 3317 وابن ماجة في الزهد 4236 وسنده صحيح.

الشراب بصغار الأواني بقدوم رمضان.

فهكذا من تقدم سنه وأشرف على الرحيل لم يبق له وقت يدرس فيه العلوم الإضافية وما أكثرها بل ينبغي له أن يشتغل بما هو أهم من ذلك ويجاهد نفسه في الإخلاص لله عز وجل فإن أكثر المشتغلين بالعلم لا إخلاص عندهم.

جهـــاد النفـــس

عن فَضَالَة بن عُبَيْدٍ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حجة الوداع : " ألا أُخْبِرُكُم بالمؤمنِ مَن أمنه الناسُ على أموالهم وأنفُسِهم والمسلمُ من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهِدُ من جاهَدَ نَفْسَه في طاعة الله والمهاجر من هَجَر الخطايا والذنوب ".*

في الحديث بيان المؤمن والمسلم والمهاجر والمجاهد.

فالمؤمن الكامل هو الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم فلا يخونهم في أموالهم ولا في أنفسهم والمسلم الحقيقي هو الذي لا يثلب عرض أحد ولا يقتل مسلماً ولا يأخذ له مالا فالناس كلهم في أمن من لسانه ويده.

أما المهاجر الحقيقي فهو الذي تباعد عن الآثام وفارق أهلها ومظانها.

أما المجاهد، فالجهاد جهادان جهاد أصغر وأكبر فالأصغر هو جهاد العدو والأكبر جهاد النفس لأن جهاد العدو له وقت محدود إما الانتصار والغنيمة وإما

---

* رواه أحمد 22/21/6 وكذا الترمذي في الإيمان مطولا ورواه ابن ماجة في الفتن 3934 وابن حبان 2519 والحاكم 11/10/1 مختصراً وسنده صحيح وللحديث شواهد لأبعاضه.

الشهادة أو الهزيمة ثم ينتهي أمره.

أما جهاد النفس فهو جهاد متوالي في كل نفس وطرفة لأن معناه قهر النفس وحملها على طاعة الله تعالى أمراً ونهياً وهذا لا وقت له محدوداً فمخالفة النفس في هواها وحملها على طاعة الله عز وجل جهاد مستمر وجهاد العدو نفسه لا يكون إلا بعد جهاد النفس وإكراهها على الخروج.

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى : أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها. وللنفس صفتان : انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك، قال

بعض الأئمة : جهاد النفس داخل في جهاد العدو فإن الأعداء ثلاثة : رأسهم الشيطان، ثم النفس، لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين على ذلك ويزينه لها، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه . وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين فالأول الجهاد الباطن، والثاني جهاد الظاهر. وقال ابن بطال رحمه الله تعالى : جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل قال الله تعالى : " وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى " النازعات 40-41.

و يقع بمنع النفس عن المعاصي، ويمنعها من الشبهات، ويمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة. قال الحافظ بعد هذا : ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات، فلا يأمن أن يقع في الحرام.

قال الحافظ في الفتح عند قول البخاري في الرقاق : باب من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل، وجهاد النفس أربع مراتب : حملها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله تعالى وقتال من خالف دينه وجحد نعمه وأقوى المعين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك، ثم تحسين ما نهى عنه من المحرمات،* ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات وتمام ذلك المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات وبالله التوفيق.

* هنا في فتح الباري سقط ولا بد لا يستقيم الكلام إلا به فيكون والله أعلم : ثم ما أبيح له من الشهوات الخ.

حفظ الجــوارح من المحرمـــات

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه رفعه : " إذا أَصْبَحَ ابنُ آدمَ فإنَّ الأعضاء كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ فتقول : اتَّقِ اللهَ فينا فإنَّما نحن بكَ، فإن اسْتقمتَ اسْتَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا ".*

قوله : تكفر اللسان " أي تتذلل وتخضع له.

و الحديث يدل على أن الجوارح كلها تابعة للسان فإن استقام وسلم من السقطات وصلح كان ما عداه من سائر الجوارح كالعينين واليدين والرجلين والفرج . تابعاً له وإن خالف وعصى الله تعالى اعوج وانحرفت سائر الجوارح.

و هذا من أسرار الله تعالى التي لا نعلمها فأعضاء الإنسان وأطرافه تخاطب الفم كل صباح خطاباً يعلمه الله عز وجل ونحن غافلون لا ندري ما حول محيطنا ولا ما يراد منا نسأل الله تعالى أن يقينا مواقع سخطه وغضبه.

* رواه الترمذي في الزهد 2227 وابن خزيمة والبيهقي في الشعب 243/4 وسنده حسن.

حفـــظ اللســـــان

عن بلال بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إنَّ الرَّجلَ لَيتكَلَّمُ بالكلمةِ مِن رِضوانِ الله تعالى ما يَظُنُّ أن يبلُغَ ما بلغتْ فيكتبُ الله له بها رضوانَه إلى يوم القيامة، وإن الرجلَ ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يَظُن أن تبْلُغَ ما بلغتْ فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة ".*

الواجب على المسلم أن يكون على حذر مما يتكلم به فقد تخرج من لسانه هفوة ويفوه بفلتة لا يشعر بخطرها ولا يلقى لها بالا ويكون فيها ما يوجب سخط الله تعالى عليه حتى يوافيه يوم القيامة .

و في اللسان مجال واسع هلك بسببه أمم وأقوام فاللسان ذو حدين فخيره عظيم، وشره خطير فبه يسعد الإنسان إذا آمن واستقام. وبه يشقى إذا كفر أو فجر ولو كان مؤمناً فإن آفاته كثيرة ذكر منها الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في ربع المهلكات من الإحياء عشرين آفة فذكر منها فضول الكلام، ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 469/3 والترمذي في الزهد 2139 وابن ماجة في الفتن 3969 والحاكم 45/1 وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

و الخوض في الباطل، والمراء والجدال، والخصومة، والتقعر في الكلام وتكلف السجع والفصاحة، والفحش والسب وبذاءة اللسان، واللعن، والغناء والشعر، والمزاح، والسخرية والاستهزاء، وإفشاء السر، والوعد الكذب، والكذب في القول واليمين، والغيبة، والنميمة، وكلام ذي اللسانين، والمدح بالباطل والكذب، والغفلة عن دقائق الخطإ في فحوى الكلام، وسؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف.

و هذه الآفات كما ترى بعضها أكبر وأخطر من بعض وأخطر آفات اللسان هو الكفر بالله تعالى بجميع أنواعه ثم الكذب والسباب واللعنة وقول الزور وثلب أعراض الناس وقذف المحصنات . والفحش والسخرية فهذه أمهات خطر اللسان وأدلة كل ذلك يستدعي صفحات* فلنكتف بما أشرنا إليه ويأتي مزيد للموضوع لاحقاً إن شاء الله تعالى.

---

* وقد ألف كتاباً خاصاً في الصمت وآداب اللسان الحافظ عبد الله بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى.

خطر زنـــا الجـــوارح

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة،

فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ".* وفي رواية : " فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهْوَى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه ".* وفي رواية : " والفم يزني وزناه القُبل ".*

قوله " إن الله كتب " أي قدر في اللوح المحفوظ فإن المقادير كلها بخيرها وشرها كتبت فيه قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام وقوله " حظه " أي نصيبه وقوله " القبل " بضم القاف وفتح الباء جمع قبلة.

الحديث بجميع رواياته يدل على أن لكل هذه الأعضاء المذكورة نصيباً من الزنا يناسبها لا بد وأن يصدر منها لأنه قد سبق به قضاء الله وقدره وكتب في الذكر ________________

* رواه البخاري في الاستئذان 263/13 وفي القدر ومسلم فيه 206/205/16 وغيرهما بألفاظ.

العظيم وهو اللوح المحفوظ.

و ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من هذه الأطراف والجوارح الزانية ثمانية وهي العينان، والأذنان، واليدان، والرجلان، والفم، واللسان، والقلب، والفرج فالسبعة الأولى زناها مجازي سمي بذلك لأنه وسيلة إلى الزنا الحقيقي وهو ارتكاب الفاحشة الكبرى.
ولأن كل جارحة تأخذ حظها من الالتذاذ والشهوة فالعينان تستلذان

بالنظر إلى محاسن المرأة والمُثِيراتِ منها وهي كلها فتنة ومثيرات، والنظر هو رائد الزنا وأول فتنة تصيب القلب يكون منه فهو من أخطر الجوارح وأصعبها على الإنسان.

أما الأذنان فإنهما يتلذذان بالاستماع إلى كلام المرأة الرقيق وخاصة الغناء لا سيما الماجن فإنه بريد الزنا. واليدان تتلذذان باللمس والمباشرة . والرجلان تتلذذان بالمشي إلى الموعد . واللسان يتلذذ بالكلام مع النساء ومغازلتهن، والفم يتلذذ باللثم والتقبيل. أما القلب فيتلذذ بالتفكر والتمني والتشهي.

و يلاحظ أن زنا هذه الأطراف بعضه أعظم من بعض علماً بأن كل ما يصدر منها حول شهوة الجنس من صغائر الذنوب ومقدمات للفاحشة فالفرج هو الذي يصدق ما سبق أو يكذبه فإن وقع الإنسان في الفاحشة والعياذ بالله كتب عليه جميع ما سبق مضافاً إليها وكان قد أتى جريمة من أعظم الجرائم تأتي في الرتبة الرّابعة من كبائر الذنوب فأكبر الكبائر الشرك الأكبر والكفر بالله تعالى ثم ترك الصلاة ثم قتل النفس بلا حق ثم الزنا قال الله تعالى : " ولاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وسَاء سَبِيلاً " الإسراء 32.

و أما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : " ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة " فمعناه تفسير قوله تعالى : " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ والْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ " النجم 32، ومعنى الآية الكريمة أن المؤمنين الذين يجتنبون كبائر المعاصي والآثام غير صغار الذنوب وهي اللمم تغفر لهم باجتناب الكبائر كما

في قوله تعالى : " إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً " النساء 31، فمعنى الآيتين واحد بمعنى أن اجتناب الكبائر يسقط الصغائر ولذا قال تعالى عقب الآية : " إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ " " رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وقِنَا عَذَابَ النَّارِ " آل عمران 16.

الحذر من محقرات الذنـــوب

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إِيَّاكُم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنوبِ، فإنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذنوب كمثَلِ قوم نزلوا بَطْنَ وادٍ فجاء ذا بِعُود، وذا بعُود، حتَّى جَمَعُوا ما أنضجوا بهِ خُبْزَهُم، وإن محقرات الذنوب متَى يُؤخذ بها صاحبُها تُهْلِكُه ".*

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يا عائشة إياكِ ومحقّراتِ الأعمال، فإن لها من الله طالباً ".**

" محقرات " بضم الميم وفتح الحاء والقاف المشددة هي الذنوب والآثام التي يحتقرها الناس ولا يبالون بها.

فالحديثان يدلان على وجوب الحذر من صغار المعاصي التي لا يتورع الناس عن ارتكابها بل يستصغرونها وذلك كأخذ نحو درهم

الغير مثلا أو نظر إلى محاسن امرأة بشهوة أو لمس يد امرأة أجنبية .
فأمثال هذه الهفوات وإن كانت صغائر ــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 331/5 بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح وهو صحيح بالتالي عقبه.

** رواه ابن ماجة في الزهد 4243 قال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات.

تغفر بالحسنات وباجتناب الكبائر، لكن الإصرار عليها قد يصيرها كبيرة تهلك الإنسان ويطالبه الله تعالى بها ويعاقبه عليها في الدنيا والآخرة إن لم يعف وقد ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإصرار على صغار السقطات مثلا بقوم سفر نزلوا بواد وتفرقوا يجمعون الحطب ليوقدوا ناراً فجاء كل واحد بعود فاجتمع عندهم ما أنضجوا به خبزهم فهكذا صغار الذنوب إذا تراكمت أهلكت صاحبها.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى : المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار.

و قد أخرج أسد بن موسى في الزهد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقا حتى يلقى الله آمناً ذكره الحافظ. وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : " إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من

الموبقات ".* يعني بذلك المهلكات وفي رواية* :

---

* رواه البخاري في الرقاق 113/14 بالرواية الأولى والثانية عزاها الحافظ في الفتح إلى الإسماعيلي في مستخرجه على صحيح البخاري.

" كنا نعدها ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الكبائر ".

قوله " أدق " أفعل التفضيل من الدقة أي أهون وأحقر عندكم من دقة الشعر، وفي هذا الأثر إشارة إلى تغير الحال التي كان عليها الناس أيام النبوة وأن ما كان يعدونه من الذنوب مهلكاً أصبح عند من جاء بعدهم شيئاً حقيراً لا يتورعون عنه ففيه التحذير من التهاون بارتكاب صغار الذنوب وتحقيرها.

التحذير من الإصرار على الذنـــوب

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إنَّ العبدَ إذا أذنب ذنباً نُكِتَتْ في قلبه نكتةٌ سوداءُ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبُه،و إن عاد زيد فيها حتى تعلُوَ قلبَه فهو الرَّانُ الذي ذكر الله تعالى : " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ".*

قوله " نكتت " بضم النون وكسر الكاف أي جعل في قلبه أثر كالنقطة شبه الوسخ في المرآة وقوله " صقل " بالصاد والسين بضم أوله أي جلي وذهب صداه قوله " الران " قال المفسرون : هو الذنب على الذنب بلا توبة حتى يسود القلب. وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أن الرين يعتري الكفار والغيم الأبرار والغين المقربين. وفيما قاله في الأول نظر فإن الران كما يعتري الكفار يعتري المسرفين في الإجرام والفواحش من أهل التوحيد فالذنوب إذا تتابعت على القلب ولم يتب صاحبها أصبح أسود مظلماً فإن تاب ورجع إلى الله تعالى انجلى وصقل كما هو نص الحديث.

---

* رواه أحمد 297/2 والترمذي في التفسير 3117 والنسائي في الكبرى 509/6 وابن ماجة في الزهد 4244 وابن حبان 1771 والحاكم 517/2 وحسنه الترمذي وصححه.

انتهاك المحارم في الغيب والتحذير من ذلك

عن ثوبان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: " لَأَعْلَمَنَّ أقْواماً من أُمَّتِي يأتُون يومَ القيامةِ بحسناتٍ أمثالَ جِبَالِ تِهامة بيضاً، فيجعلها الله عز وجل هَباءً مَنْثُوراً " قال ثوبان : يا رسول الله صِفْهُم لنا جَلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال : " أما إنّهم إخْوَانُكُم، ومن جِلْدَتِكُم، ويأخُذُون مِن الليل كما تأخُذُون، ولكنهم أقوام إذا خَلَوا بمحارم الله تعالى انتَهَكُوها ".*

ففي هذا الحديث وعيد شديد، وتهديد أكيد لمن ينتهكون محارم الله تعالى في خلواتهم فهم مع الرغم من كثرة قرباتهم وصلواتهم وأعمالهم الصالحة وإحيائهم الليالي بالقيام فإن كل ذلك سيجعل لهم يوم القيامة كالهباء الذي تنثره الرياح لماذا؟ لأنهم ماتوا مصرين على ما كانوا يفعلون في غيبهم عن الناس من الذنوب ولم يتوبوا ويرعووا.

---

* رواه ابن ماجة في الزهد 4245 إسناده صحيح رجاله ثقات. وقوله " من جلدتكم " أي من جنسكم وقوله " ويأخذون من الليل " أي يأخذون من عبادة الليل وقيامه نصيباً مثلكم.

حالة المؤمن والفاجر عند الذنــب

عن الحارث بن سويد رحمه الله تعالى قال : حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه حديثين أحدهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والآخر عن نفسه قال : " إن المؤمن يَرَى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقعَ عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كَذُبابٍ مَرَّ على أنْفِه فقال به هكذا بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ ".*

في هذا الحديث بيان موقف المؤمن والفاجر من الذنب فالمؤمن يستعظمه ويخاف العقوبة عليه ويرى نفسه من ذنبه كأنه قاعد تحت جبل عظيم يخشى سقوطه عليه بينما الفاجر يحتقره ولا يعيره أي اهتمام قد استوى عنده . ارتكابه وعدمه فهو يراه كمثل ذبابة نزلت

على أنفه فأزالها بيده. ونقل الحافظ في الفتح عن ابن أبي جمرة رحمهما الله تعالى قال : السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فإذا رآى من نفسه ما يخالف ما ينو ربه قلبه عظم الأمر عليه، قال الحافظ : وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا مثل المؤمن أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير

---

* رواه البخاري في الدعوات 351/350/13 والترمذي في صفة القيامة 2317 وأحمد رقم 3627.

عمله السيء ثم نقل عن المحب الطبري قال : إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته، لأنه على يقين من الذنب، وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية.

أكثر ما يــوجب الجنـــة والنـــار

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة قال : " تَقْوَى اللهِ وحُسْنُ الخُلُقِ " وسئل عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس النار قال : " الفمُ والفرْجُ ".*

في الحديث بيان أعظم أسباب دخول الجنة والنار.

فأكثر أسباب دخول الجنة تقوى الله والاستقامة كما يأتي بيانهما.
والخُلُق الحسن قال الإمام الزاهد سيدي عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : حسن الخُلُق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

أما أكثر أسباب دخول النار فالفم والفرج وما أعظمهما وأشد فتنتهما وأخطرهما على الإنسان وإنما كانا أعظم أسباب دخول النار وأكثرها لما ينشأ عنهما من كبار الفواحش والآثام فعن الفم ينشأ الكفر والبهتان والزور والقذف واللعن والشتم والغيبة والنميمة وغيرها من المهلكات كما تقدم ولذا

---

* رواه أحمد 442/392/291/2 والترمذي في البر والصلة 1848 وابن ماجة في الزهد 4246 وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه.

قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمعاذ : " وهي يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم " وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعقبة بن عامر وقد سأله عن النجاة : " أمْلِكْ عليك لسانك " وسيأتي.

و قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " أخرجاه. فاللسان كما يقولون كالسبع رغم أنه وراء جدارين الأسنان والشفتين فهو أخطر الجوارح كما تقدم وقد أكثر الناس الكلام عليه.

أما الفرج ففتنته خطيرة وشأنه عظيم فإنه ينشأ عنه الزنا واللواط وهما من الفواحش العظام التي يترتب عليهما الحد إما الجلد أو الإعدام بالحجارة رجما. فالإصرار على ما يصدر من هذين العضوين موجب للنار إلا أن يعفو الله تعالى وإنما عبر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله : " أكثر " لأن أسباب الجنة والنار لا تنحصر فيما ذكر.

و عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من يَضْمَنْ لي ما بين لِحْيَيْهِ وما بين رِجليْهِ أضْمَنْ له الجنة "

و في رواية : " مَن يَتَوَكَّل لي . أَتَوَكَّل له بالجنة ".*

قوله " من يضْمن لي " هو معنى " من يتوكل لي " قال الحافظ : بمعنى الوفاء بترك المعصية فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه فالمعنى : من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي يجب على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام.

و قوله " ما بين لحييه " المراد به اللسان وما بين رجليه الفرج.

و جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة".**

قوله " من وقاه الله " أي حفظه الله مما يصدر عن هذين العضوين من الذنوب والفواحش.

ففي الحديث كسابقه بشارة بدخول الجنة لمن حفظ لسانه وفرجه وأنها

---

* رواه البخاري في الرقاق 90/14 وفي المحاربين والترمذي في الزهد 2228 وغيرهما.

** رواه الترمذي في الزهد 2229 وابن حبان 2546 وحسنه الترمذي وصححه.

مضمونة له بضمان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لا يخلف وعده.

و لكن أنّى للإنسان أن يحفظ هاتين الجارحتين من شرورهما إلا من رحم الله.

البكــاء من خشية الله تعـــالى

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ، وأسمعُ ما لا تسْمَعُونَ، أطَّتْ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ مَا فِيها موضعُ أربع أصابع إلا وملَكٌ واضعٌ جبهتَه لله ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلا ولبكيتُم

كثيراً، وما تلذَّذْتُم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُونَ إلى الله تعالى ".*

قوله " أطت السماء " أي صوتت. وقوله " الصعدات " بضم الصاد والعين المراد بها البراري. وقوله " تجأرون " أي تتضرعون من الجؤار وهو التضرع ورفع الصوت بالاستغاثة.

و الحديث يدل على عظمة أمر الله تعالى في خلقه وما أودعه في السماء من كثرة الملائكة التي ثقلت بحملهم وذلك يدل على عظمة الخالق عز وجل ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 173/5 والترمذي 2134 وابن ماجة 4190 كلاهما في الزهد والحاكم 510/2 ج579/544/4 بسند صحيح وقوله " لو تعلمون ما أعلم الخ " رواه البخاري في الرقاق 102/14 ومسلم وغيرهما ومثله عن أنس عند البخاري في الرقاق 102/14 وابن ماجة في الزهد 4191.

و كبريائه كما يدل الحديث على ما كان عليه النبي صلى الله تعالى عليه وآله من العلم بأحوال البرزخ وما وراء هذه الطبيعة من الأهوال التي كان يشاهدها وكثرة الملائكة وأنواع الجن من العفاريت والزوابع وغير ذلك مما يتعلق بالآخرة من الجنة والنار.

فلو شاهد الواحد منا ذلك لما ضحك ولعاش حياته باكياً ولما تلذذ بامرأة قط ولخرج فاراً بنفسه إلى البراري والمفاوز باكيا صارخاً مستغيثا بالله عز وجل.

و قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " فيه إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن الحازم أن يقلل من الضحك ويكثر البكاء على ما جنى على نفسه من السقطات فإن البكاء من خشية الله يوجب الأمن يوم القيامة من عذاب الله.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ في الضّرع، ولا يَجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم ".*

---

* رواه أحمد 441/256/505/2 والترمذي في الجهاد 1495 وفي الزهد والحميدي 1091 والحاكم 72/2 وسنده صحيح عند بعضهم وقوله " لا يلج " أي لا يدخل.

و سيأتي حديث السبعة المظللين تحت العرش وفيه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه رواه البخاري ومسلم.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " عَيْنانِ لا تمَسُّهما النار : عين بكتْ مِن خشيةِ الله، وعينٌ بَاتَتْ تَحرُسُ في سبيلِ الله ".*

في الحديثين بشارة عظيمة للبكائين من خوف الله وعذابه وأنهم في أمن مس النار ودخولها ويا لها من بشارة.

و البكاء الممدوح قد يكون خوفا على النفس مما جنته يد الإنسان من الآثام ويكون محبة في الله تعالى وشوقا إليه، ويكون لجلال الله وكبريائه، ويكون تذكراً بكثرةِ نِعَمِ الله وآلائه على عباده . وكل ذلك مما يوجب رضا الله عز وجل والأمْنَ من عقاب الله وعذابه إن شاء الله تعالى.

---

* رواه الترمذي في فضل الجهاد 1502 وحسنه.

اتق الله حيثــما كنـــــت

عني أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اتقِ الله حيثُما كُنتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسنَةَ تَمْحُهَا، وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ".*

هذا الحديث الشريف من جوامع إرشاداته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ووصاياه، فإن التقوى أساس الدين، وما ذكر بعدها هو من ذكر الخاص بعد العام، فإن فعل الحسنات بعد السيآت، ومعاشرة الناس بالخلق الحسن من جملة التقوى، والتقوى إسم مأخوذ من الوقاية وهو التحفظ والبعد أو التباعد عما يضره . وجاء الأمر الإلاهي بالتقوى في القرآن الكريم مسنداً تارةً لله تعالى كقوله : " واتَّقُواْ اللّهَ " البقرة 189، " واتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ " البقرة 197، " وإِيَّايَ فَاتَّقُونِ " البقرة 41 ومرة مسنداً إلى عذاب الله وناره كقوله تعالى : " فَاتَّقُواْ

النَّارَ " البقرة 24 وثالثة جاءت مسندة إلى يوم القيامة كقوله عز وجل : " واتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ " البقرة 281.

---

* رواه أحمد 153/5 والترمذي في البر 1831 والدارمي في الرقاق 3794 والحاكم 54/1 وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم على شرطهما.

و المراد بالجميع هو التحفظ مما يوجب سخط الله وغضبه وعذابه وعقابه وذلك يكون بالإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، والعمل الصالح، واجتناب ما ينافي ذلك من الشرك والكفر والمعاصي والفواحش والقاذورات.

و لذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : المتقي من يتَّقي الشرك، والكبائر، والفواحش.

و التقوى لها مراتب خمس : تقوى الكفر. وتكون بالإيمان واعتناق دين الإسلام. وتقوى المعاصي والفواحش وتكون بتركها مع العمل الصالح ولزوم التوبة كلما وقع ذنب. وتقوى الشبهات وتكون بلزوم الورع والابتعاد عما يحوم حول الحرام. وتقوى المباحات وتكون بالزهد في الحياة والمشتهيات المباحة. وتقوى ما سوى الله عز وجل من الكائنات وتكون بوحدة الشهود والحضور مع الله تعالى في كل الحالات، والإعراض عما سواه. وهذه أعلى مراتب التقوى ولا

يتصف بها إلا أكابر المقربين من الأنبياء والرسل ومن على أقدامهم من أتباعهم.

و قد أكثر الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأمر بالتقوى واهتم القرآن بذكرها حتى ذكرت في نحو من مائتين وأربعة عشر موضعاً فيه إما أمراً بها أو مدحاً لها أو لأصحابها، أو بياناً لجزاء أهلها وما أعده الله لهم في الآخرة.

و أشهر ما جاء فيها من القرآن الكريم قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ " النساء 1، وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً " الأحزاب 70، وجاء فيها عشرات الأوامر وهكذا جاء الأمر بها عن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بكثرة كقوله في موعظته المشهورة . " أُوصيكُم بتقْوى الله والسمع والطاعة " ولما خطب الناس يوم النحر في حجة الوداع وصى الناس بتقوى الله والسمع والطاعة لأئمتهم. وقال لأبي ذر في حديث طويل له : " أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله ". وقال لأبي سعيد الخدري : " أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ". وقال لمن فرق بين أولاده في الوصية : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " وكان إذا بعث سرية وصى أميرها في خاصة نفسه بتقوى الله . وجاءت كثيراً في السنة النبوية.

و على أي فتقوى الله هي وصية الله لجميع خلقه من الأولين والآخرين كما قال تعالى : " ولَقَدْ وصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ " النساء 131.

و لم يزل المسلمون منذ أيام السلف الصالح حتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله يتواصون بالتقوى والتحلي بها في السر والعلن.

و عن سفيان الثقفي رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِم ".* وفي رواية : " قل ربِّيَ اللهُ ثم استقِم " وفي رواية : قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال : " هذا ".*

و الحديث موافق لقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " الأحقاف 13، فمن آمن بالله عز وجل وآمن بباقي كليات الإيمان ولزم طاعة الله تعالى وداوم على ذلك حتى الموت فقد حاز كل خير ولا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه.

و الاستقامة هي الثبات على الإيمان وطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلي عن الفواحش والآثام وهذا هو المطلوب من العبد ولأجله خلق.

و في الاستقامة يقول الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته رحمه الله تعالى :

---

* رواه مسلم في الإيمان مختصراً باللفظ الأول 9/8/2 ورواه كاملاً أحمد 413/3 ج385/4 والترمذي في الزهد 2230 وابن ماجة في الفتن 3972.

الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اسْتَقِيمُوا ولَنْ تُحْصُوا ".

إن الحسنـــات يذهبـــن السيــــئات

عن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال : أَتَتْني امرأةٌ تبتاع تمراً فقلت إن في البيت تمراً أطيب منه فدخلتْ معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرتُ ذلك له فقال : استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال : استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال لي : " أخلَفْتَ غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ " حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار قال : وأطرق رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طويلاً حتى أوحي إليه : " وأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " قال أبو اليسر فأتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأها علي فقال أصحابه يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة قال : " بل للناس عامة ".*

---

* رواه الترمذي 2913 والنسائي 366/6 وابن جرير 137/11 ثلاثتهم في التفسير وحسنه الترمذي وصححه.

و نحوه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وفيه قول عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك.*

و جاء أيضاً عن معاذ رضي الله تعالى عنه وفيه : فأمره أن يتوضأ ويصلي.**

قوله " تبتاع " أي تشتري وقوله " فأهويت " أي ملت إليها.

و الظاهر أن هذه القصة كانت واحدة وقعت لرجل واحد هو أبو اليَسَر بن عمرو الأنصاري تصرف الرواة والناقلون في ألفاظها.

و في الآية الكريمة مع الحديث الشريف فضل واسع ورحمة شاملة للمؤمنين الذين تصدر منهم الهفوات واللمم من الذنوب الساعة بعد الساعة وأن ذلك يكفره الله بالحسنات وأعظم ذلك وأشرفه الصلوات الخمس والمحافظة عليها ومنها الصدقة والصيام والبرور والحج والعمرة والخلق الحسن وكفالة اليتيم . وغير ذلك فإن كل ذلك من مكفرات الذنوب ومحو السيآت.

و في حديثي أبي اليسر وابن مسعود أنه ينبغي لمن صدر منه ذنب في خفاء أن ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في التفسير 427/426/9 وغيره ومسلم في التوبة 81/79/17 وغيرهما.

** رواه الترمذي 2912 في التفسير بسند صحيح ولا يضر انقطاعه.

يستر على نفسه ويتوب إلى الله منه ولا يذكره لأحد فإن الله ذو الرحمة الواسعة والفضل الكامل يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت.

و في الآية الكريمة دليل على أن الحسنات يذهبن السيآت ولو بدون توبة وهو كذلك بالنسبة لمطلق المعاصي فإن كانت كبائر احتاجت للتوبة أو لأعمال عظام خاصة كالحج المبرور أو البرور بالوالدين أو الجهاد في سبيل الله أو كفالة المساكين والأرامل وغير ذلك مما يكفر كبار الذنوب والآثام والفواحش.

من جوامع الإرشادات النبويـــــة

خمـس خصـال

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من يأخذ مني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعَلِّمَ من يعمل بهن؟ " فقال أبو هريرة : قلت، أنا يا رسول الله قال : فأخذ بيدي فعد خمساً وقال : " اتَّقِ المَحارمَ تكُن أعْبَدَ الناس، وارْضَ بما قَسَمَ الله لك تكُن أغنَى الناس، وأحْسِنَ إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تكن مُسلما، ولا تُكْثِرْ الضحك فإن كثرةَ الضحك تُميتُ القلب ".*

قوله " المحارم " هو جمع محرمة بفتح الراء وضمها وهي كل ما لا يحل انتهاكه من المحظورات وقوله " تكن أعبد الناس " أي من أعبدهم لأن ترك ذلك يوجب القيام بالفرائض وقوله " بما قسم الله لك " أي ما أعطاك من الرزق تكن غنيا ___________________

* رواه أحمد 310/2 والترمذي أول الزهد 2127 والبيهقي في الشعب 78/7 وهو حديث حسن لطريق له رواه ابن ماجة في الزهد 4217 وحسنه البوصيري وقسم الضحك رواه ابن ماجة أيضا 4193 بسند صحيح.

بقلبك لقناعتك وقوله " تميت القلب " أي تصيره كالميت لا يأتي منه شيء ينتفع به.

فهذه الخصال من جوامع وصايا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإرشاداته النافعة فمن تخلق بها كان قد حاز قصب السبق في الخير والبر.

فمن توقى المحرمات الظاهرة كالقتل والزنا والسرقة والتعامل بالربا والكذب والنميمة والظلم . والباطنة كالكبر والحسد والعجب وحب الدنيا وإيثارها على الآخرة وبغض المسلم لغير الله . كان أعبد الناس لأن صحيفته تكون نقية من السيآت، ويلزم من ذلك الإتيان بالواجبات، فإن زاد على ذلك الإتيان بالنوافل ولو قليلة ازداد بذلك خيراً وبركة وهذا هو العابد. والإقلال من نوافل الأعمال مع ترك

المحرمات وأداء الواجبات أفضل بكثير للعبد من كثرة الأعمال الصالحة وكثرة السيآت، فإن السلامة لا يضاهيها شيء.

و من رضي وقنع بالقسمة التي قدرها الله تعالى له من الرزق ولم يتطلع لسوى ذلك كان أغنى الناس لأن الغنى حقيقة هو غنى القلب وذلك يكون بالقناعة بالمقدور.

و إسداء الخير إلى الجار ورفع الأذى عنه من أسباب كمال الإيمان وقد أوصى الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالإحسان إلى الجار وإكرامه.

و لا يكمل إسلام المرء حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

و الضحك المشروع المحمود هو التبسم أما مع القهقهة وإن كان مباحاً أحياناً فالإكثار منه والمداومة عليه يجعل القلب مريضاً وقد يصدأ ويتأثر بالران فيموت فلا يؤثر فيه شيء ولا يأتي منه خير.

ست خصال من موجبـات الجنـــة

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " اضْمَنُوا لي سِتّاً مِن أنفُسكُم أضْمَنْ له الجنة : أَدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، وأَوْفُوا إذا عَاهدتم، واصدُقوا إذا حدَّثْتُم، واحفَظوا فروجَكم، وغُضُّوا أبصارَكُم، وكُفُّوا أيديَكُم ".*

هذه ست خصال من ضمنها للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحافظ عليها كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ضامنا له الجنة بإذن الله تعالى وهي :

أداء الأمانات، وحفظ العهود، والصدق في الحديث، وحفظ الفروج من الفواحش، وغض الأبصار عن المحرمات، وكف الأيدي عن سفك الدماء وضرب الآخرين وأخذ أموالهم بالباطل .و غير ذلك.

و ما أشد هذه الست وأثقلها على النفوس إلا من أحاطته عناية الله تعالى.

---

* رواه أحمد 323/5 وابن حبان 506/1 والحاكم 359/358/4 بسند حسن وله شاهد عن أنس رواه الحاكم 359/4 بسند حسن أيضا وشاهد ثان عن الزبير رواه البيهقي في الشعب 365/364/4 فالحديث بذلك صحيح.

خصال خمس أو أربع من فعلهن في يوم دخل الجنة

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " مَنْ أَصْبَحَ منكم اليومَ صائماً " قال أبو بكر : أنا قال : " فمن تَبِعَ منكم اليوم جنازة " قال أبو بكر : أنا قال : " فمن أطعم منكم اليوم مِسكيناً " قال أبو بكر : أنا قال : " فمن عاد

منكم اليوم مريضاً " قال أبو بكر : أنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما اجْتَمَعَتْ في امرئٍ إلا دخل الجنة".*

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة ".**

فهذه سبع خصال من اجتمعت في شخص في يوم واحد – وذلك عزيز جداً– وجبت له الجنة.

---

* رواه مسلم في الزكاة 118/117/7 وفي الفضائل 156/15.

** رواه ابن حبان 6/7 رقم 2771 ورجاله ثقات.

و في الحديث الأول فضل الصديق رضي الله تعالى عنه حيث اختص باتصافه بالخصال الأربع في يوم واحد دون غيره من باقي الصحابة.

العزلة راحة للمؤمن من مخالطة أهل السوء

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أيُّ النَّاس خيرٌ؟ قال : " مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ ومَالِهِ في سبيل الله ورجلٌ في شِعْبٍ من الشعابِ يَعْبُدُ ربَّهُ ويدعُ الناس مِن شَرِّهِ".*

" الشعب " بكسر الشين وسكون العين أصله الطريق بين الجبلين.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " مِنْ خَيرِ مَعَاشِ الناس لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ في سبيل الله يَطيرُ على مَتْنِه كُلما سمع هَيْعَةً أو فَزْعة طار عليه يَبْتَغي القتلَ والموتَ مظانّه أو رجل في غُنَيْمَةٍ في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَفِ أو بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبُد ربه حتى يَأتِيهِ اليقينُ ليس من الناس إلا في خَيْرٍ ".**

---

* رواه البخاري في الجهاد وفي الرقاق 115/14 ومسلم في فضل الجهاد 34/33/13 وغيرهما.

** رواه مسلم في الإمارة باب فضل الجهاد والرباط رقم 1889 والنسائي في الكبرى 357/6 وابن ماجة في الفتن 3977 وفي الباب عن ابن عباس بنحو ما سبق رواه أحمد والترمذي في فضائل الجهاد والنسائي في الكبرى 44/2 وغيرهم.

قوله " على متنه " أي ظهره وقوله " هيعة " أي صوت عند حضور العدو وقوله " يبتغي القتل مظانه " أي يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لعظيم رغبته في الشهادة وقوله " شعفة " بفتحات هي أعلا الجبل وقوله " عنان " بكسر العين هو اللجام.

في الحديثين دليل على أن أفضل الناس وخيرهم الصنفان المذكوران أولهما وهو خيرهما رجل مؤمن يجاهد في سبيل الله لا يسمع صوتا

أو نداء بذلك إلا خرج يطلب القتل والشهادة في سبيل الله حريص على ذلك شديد الرغبة في قتال العدو مخلصاً في ذلك، ثانيهما وهو يتلو سابقه في الفضل رجل مؤمن معتزل عن الناس في غنيمة له في رأس جبل أو في شعب وبطن واد من الأودية أو نحو ذلك قانع بما آتاه الله من الرزق القليل يعبد الله ويتقيه ويؤدي حقوقه بعيد من شرور الناس ليس منهم إلا في خير فلا يؤذي أحداً بشيء يقضي حياته كذلك حتى يأتيه أجله المحتوم. وقد استدل بهذين الحديثين ونحوهما من اختار العزلة على الخلطة وهم أكثر الزهاد والنساك وكثير من أهل العلم لأن في ذلك السلامة من كثير من الغوائل والفتن والمعاصي ومشاهدتها.

و الحق الأبلج الذي لا ينبغي أن يختلف فيه هو أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان فقد تكون العزلة واجبة أو مستحبة على الأقل إذا ظهرت الفتن وكثر الشر وغلب الفســــــــــــــاد.

لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ".*

قوله " شعف " بفتحتين جمع شعفة وهي أعلا الجبل والمراد بذلك أن ينفرد عن الناس ويعتزل فتنهم فراراً بدينه والمحافظة عليه ويتحرى مواقع العشب والنبات ويكتفي بما تدره له غنمه من اللبن.

فالحديث نص في أن الفرار من الفتن من دين الإسلام وأن المسلم الشحيح بدينه ينبغي له أن يفر من فتن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأن لا يشارك الجماهير فيما هم فيه.

---

* رواه مالك وأحمد 57/43/30/3 والبخاري في الإيمان وفي الفتن 152/16 وفي الرقاق وأبو داود 4227 وابن ماجة 398.

و مما استدل به من اختار العزلة الحديث التالي :

فعن ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنه قال : بينما نحن حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ ذكر الفتنة أو ذكرت عنده قال : " إذا رأيت الناس قد مَرَجَت عُهودُهم وخَفَّتْ أماناتهم وكانوا هكذا " وشبك بين أصابعه قال : فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك قال : " الزَمْ بَيْتَك، وأمْلِك عليك لِسانَك، وخذ ما تَعْرِف، ودَع ما تُنْكِر، وعليك بَأمْرِ خاصَّةِ نَفْسِك، ودع عنك أمرَ العَامَّة ".*

و في رواية : " كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يُغربَلُ الناس فيه غربلةً تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا" وشبك بين أصابعه فقالوا : كيف بنا يا رسول الله قال : " تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم ".**

و له شاهد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله

---

* رواه أحمد 212/2 وأبو داود 4343 والحاكم 525/4 وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ المنذري والعراقي والحديث صحيح لطرقه.

** رواه أحمد 221/2 وأبو داود 4342 وابن ماجة والحاكم 435/4 بسند صحيح.

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس؟ " قال : وذاك ما هم يا رسول الله؟ قال : " ذاك إذا مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا " وشبك بين أصابعه قال : فكيف ترى يا رسول الله ؟ قال : " تعمل بما تعرف، وتدع ما تنكر، وتعمل بخاصة نفسك وتدع عوام الناس ".*

قوله " مرجت عهودهم " بفتح الميم وكسر الراء أي فسدت واضطربت واختلفت وقوله " عهودهم " جمع عهد وهو اليمين والآمان والذمة وقوله " وخفت " أي قلت أماناتهم وهي ضد الخيانة وقوله " يغربل الناس " معناه يذهب الصالحون ويبقى الأراذل وقوله " تبقى حثالة " هي بضم الحاء وهي الأرذل من كل شيء والمراد بها هنا تبقى الأشرار والأراذل من الناس.

و الحديث بجميع ألفاظه يدل دلالة واضحة على أنه إذا ظهرت الفتن وما أكثرها وفسد الناس واضطربت عهودهم وقلت أماناتهم وكثرت فيهم الخيانة و________________

* رواه ابن حبان 1849 بالموارد بسند صحيح وذكره البخاري معلقا مجزوما به في أبواب المساجد 112/111/2 مختصراً بلفظ : " يا عبد الله بن عمرو كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس ". " الحثالة " بضم الحاء هي الرذيل من كل شيء والمراد بهم الأشرار والفسقة الفجار.

كانوا في اختلاف وهرج ومرج وذهب صالحوهم ولم يبق إلا الأشرار والأرذلون منهم فعلى المرء أن يلزم نفسه وخاصته ويدع عموم الناس وشأنهم ويتمسك بما يعرفه من دين الإسلام ويترك ما ينكره على الناس مما يخالف الشرع.

و هذا كما ترى من الأحاديث الظاهرة الدالة على اعتزال الفتن ومجانبة أهلها وعدم مشاركتهم فيما هم فيه من الاختلاف والتناطح على الدنيا والمراكز والرياسة لأنه لم يعد فيهم من يريد صلاح الأمة والسعي في مصالحها بإخلاص وتنفيذ أحكام الله ما هي إلا مصالح شخصية . والسعي وراء الدنيا .

الانقطاع إلى الله عز وجـــل

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان أخوان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والآخر يحترف فشكى المحترف أخاه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: " لعلَّك تُرْزَقُ به ".*

فقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " لعلك ترزق به " دليل على أن الانقطاع إلى الله تعالى لعبادته أو تعلم علم نافع في دين المسلم يعد من أعظم أسباب الرزق ويدل على أن أسباب طلب العيش ليست خاصة بالمهن والحرف وغيرها من الأسباب العادية بل من أهمها وأعظمها تقوى الله والانقطاع لعبادته عز وجل قال تعالى : " ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" الطلاق 2-3، ولا أدل على ما ذكرنا من قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للأخ المحترف : " لعلك ترزق به " يعني بسبب عبادته وانقطاعه إلى مجالسة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتعلمه منه ما يأتي إليه من الوحي الإلاهي يهيء

---

* رواه الترمذي في الزهد 2165 والحاكم 94/1 وابن عبد البر في كتاب العلم 59/1 وسنده صحيح على شرط مسلم.

الله له الرزق ويغدقه عليه. ولذلك نشاهد المنقطعين إلى طلب العلم والمشتغلين به كتابة ودعوة إليه والمنقطعين إلى عبادة الله تعالى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون ويهيء الله تعالى لهم من يقوم بهم.

مراقبة الله تعالى والحضور معه وذكره

عن حَنْظَلَة الأُسَيْدي رضي الله تعالى عنه – وكان من كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – أنه مر بأبي بكر وهو يبكي فقال : ما لك يا حنظلة؟ قال : نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضَّيْعَة ونسينا كثيرا قال : فوالله إنا كذلك انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فانطلقنا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ما لك يا حنظلة؟ " قال : نافق حنظلة يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وعلى فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات ".*

و في رواية : أن أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قالوا للنبي :

---

* رواه أحمد 346/128/4 ومسلم في التوبة 67/66/17 والترمذي في صفة القيامة 2273/2332.

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إنا إذا كنا عندك فحدثتنا رقت قلوبنا فإذا خرجنا من عندك عافسنا النساء والصبيان وفعلنا وفعلنا فقال

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن تلك الساعة لو تدومون عليها لصافحتكم الملائكة".*

و في رواية : قلنا يا رسول الله ما لنا إذا كنا عندك رقَّتْ قلوبنا وزهدنا وكنا من أهل الآخرة فإذا خرجنا من عندك فأَنِسْنَا أهالينا وشممنا الأولاد أنكرنا أنفُسنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو أنكم تكونون إذا خرجتم من عندي كنتم على حالتكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلقٍ جديد كَيْ يُذْنِبوا فيغفرَ لهم ".**

قوله " كأنا رأي عين " أي كأننا نشاهد الجنة والنار عياناً وقوله " عافسنا "

---

* رواه أحمد 175/3 وأبو يعلى 114/3 بسند صحيح من حديث أنس رضي الله تعالى عنه وعزاه نور الدين في المجمع 308/10 للبزار وأبي يعلى وقال : رجال البزار رجال الصحيح غير زهير بن محمد الرازي وهو ثقة.

** رواه الطيالسي 75 والحميدي 1150 والترمذي في صفة الجنة 2343 وسنده صحيح وهو من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

أي عالجنا وقوله " والضيعة " هي معاش الإنسان من فلاحة وتجارة وصناعة وحرفة .

دلت هذه الأحاديث على أمور :

أولا، إن التذكير بالجنة والنار له وقع كبير وتأثير عظيم على قلوب المؤمنين وقد قال تعالى : " وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " الذاريات 55، وخاصة إذا كان صادراً عن قلب صادق منور.

ثانيا، قد يصل الإنسان بالتذكير إلى حالة يرق معها قلبه ويعزم على التخلي عن الدنيا والزهد فيها ويعد نفسه من أهل الآخرة ويصير كأنه يشاهد الجنة والنار. وهذا يحصل أيضاً بقراءة القرآن بالتدبر والحضور وبقراءة كتب الرقائق ولا سيما إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى فإن لقراءته تأثيراً عظيماً لاعتماده في ذلك على القرآن وأحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأقوال الزهاد والنساك .

ثالثا، إن هذه الحالة قد تأتي بالتذكير، وقد تأتي بالتفكر، وتأتي حالة ذكر الله تعالى بالتلاوة أو أي ذكر وقد تأتي أحياناً فجأة . ثم سرعان ما تنقلب الأحوال إلى الأمور الطبيعية للإنسان لما يطرأ عليه من مزاولة شئون الحياة ومخالطة الأهل والأولاد وعامة الناس والتمادي فيما لا علاقة للإنسان بالآخرة.

رابعا، فيها دليل على أن المؤمن إذا داوم على الحضور مع الله تعالى ومراقبته والتفكر في شئون الآخرة وذكر الله عز وجل قد يصل إلى مقام مع الله تعالى يشاهد فيه الملائكة وتزوره عياناً وتصافحه في جميع مجال حياته في طريقه ومجالسه وفراشه. وهذه الحالة تحدث كثير من الصالحين عن صدورها منهم وهي من ثمرات الأعمال

الصالحة الخالصة وليراجع القارئ المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ولا بد ليزداد يقينا في هذا.

خامسا، في ذلك دليل على جواز رؤية الملائكة وما وراء الطبيعة من عالم البرزخ والآخرة مما لا يرى لعامة الناس وفي هذا ألف الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى " تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك " ودع عنك المنكرين الذين لا يؤمنون إلا بالماديات وعالم المشاهدة.

سادسا، في ذلك إثبات كرامات الأولياء التي هي الأمر الخارق للعادة مع التقوى والصلاح . والأدلة على ذلك كثيرة كتاباً وسنة وإجماعاً.

الإنسان والشيطـــان

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن إبْليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا، فيقول : ما صنعت شيئا، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت ". وفي رواية : " فيلتزمه ".*

العرش هو سرير الملك وقوله " فيدنيه " أي يقربه منه وقوله " فيلتزمه " أي يحتضنه فرحاً به.

و الحديث يدل على أن الشيطان الأكبر إبليس اللعين له عرش وسرير على البحر وأن له جنودا من أبنائه يبعثهم سرايا في الدنيا يفتنون الناس عن دينهم ويوقدون الحروب والخصام بين الناس فأقربهم منه منزلة ومكانة أشدهم فتنة للناس .

و عداوة الشيطان للإنسان وتسلطه عليه وإغواؤه إياه من الأمور

---

* رواه أحمد 314/3 ومسلم في صفة القيامة 157/156/11.

المعلومة بالضرورة في الإسلام. فهو العدو الأول للإنسان منذ إغوائه لأبينا آدم عليه السلام قال الله تعالى : " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ " فاطر 6.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما منكم مِن أحدٍ إلا وقد وكّلَ به قرينُه من الجن " قالوا : وإياك يا رسول الله وفي رواية : ولا أنت يا رسول الله قال : " ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأَسْلَمَ فلا يأمرني إلا بخير ".*

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج من عندها ليلا قالت : فغرتُ عليه فجاء فرآى ما أصنع فقال : " ما لك يا عائشة أغِرْتِ؟ " فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لقد جاءك شيطانك؟ " قالت : يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال : " نعم "

قلت : ومع كل إنسان؟ قال : " نعم " قلت : ومعك قال : " نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم ".**

---

* رواه أحمد 401/397/385/1 ومسلم في القيامة 157/17 والدارمي 2737.

** رواه مسلم 158/17 وفي الباب عن ابن عباس وجابر عند أحمد.

قوله " وكل به قرينه " أي شيطانه وقوله " فأسلم " رجح القاضي عياض ثم النووي أنه أسلم بمعنى آمن.

و الحديثان يدلان على أنَّهُ ما من عبد أيًّا كان إلا ومعه قرين من الشياطين يأمره بالشر ويغويه وينهاه عن الخير. وهذا من ابتلاء الله تعالى لعباده في هذه الدار لحكم كثيرة يعرفها الربانيون من عباد الله فقد سلط الله الشيطان على الإنسان واقدره على الوساوس والإغواء وجعله سبباً لكفر الناس وحملهم على الضلالة والغواية وعبادة غير الله تعالى ولا ينجو منه إلا أكابر العباد من أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم بعصمتهم منه ومن نزغاته. نعم وكذا بعض أكابر الأولياء قد يضعف قرينهم فلا يتأثرون به لقوة روحانيتهم وكثرة مجاهدتهم .

و في الحديثين دليل على أن قرين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان قد أسلم وآمن بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبما جاء به ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مأمونا من

الأمر بالشر والنهي عن الخير. وهذا من جملة خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فالشيطان من الإنسان يجري مجرى دمه كما في الحديث التالي.

فعن صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمتُ لأنقلب فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أسرعا فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " على رِسْلِكما إنها صفية بنت حُيَي " فقالا سبحان الله يا رسول الله قال : " إن الشيطان يجري من الإنسان مجْرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو قال شيئا ".*

قوله " على رسلكما " بكسر الراء واللام أي كونا على هيئتكما في المشي.

فالحديث يدل على أن للشيطان إقداراً من الله على دخوله في الإنسان وجريانه في عروق دمه وأن له تمكينا من الله تعالى بإلقاء نزغاته ووساوسه الخبيثة في قلب العبد فما يجده الإنسان في باطنه من الكلام بلا حرف ولا صوت يأمر بالشر وينهي عن الخير هو من وحي الشيطان ونزغاته فليستعذ بالله منه كما قال تعالى : " وإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " فصلت 36.

---

* رواه البخاري في الاعتكاف وفي الخمس 18/7 ومسلم في الأدب 156/14 وأبو داود في الصيام 2470 وابن ماجة 1779.

و عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم ".*

" التحريش " الإغراء والتحريض على الخصومة وقوله " أيس " أي قنط.

في الحديث لما أيس الشيطان من تكفير المصلين وخاصة جزيرة العرب ومنها الحجاز حيث مهد الإسلام ومنبعه قنع ورضي بما يوقعه فيما بينهم من التحريض على الخصومات والتهاجر والتقاتل وما إلى ذلك من الفواحش فهو الحامل للناس على ذلك بل كل ما يقع في هذا الكون من منكر وفساد أيا كان فالحامل عليه والواسطة فيه بالتزيين والتحسين هو إبليس ولا دواء للحيلولة بينه وبين العبد إلا الالتجاء إلى الله تعالى والاستعاذة به من المولى العظيم.

و لعظيم شره ووساوسه وتسلطه على العبد أمر تعالى بالاستعاذة به من شره ووساوسه في سورة كاملة وكرر المستعاذ به ثلاث مرات فقال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ " الناس 1-2-3-4-5-6.

---

* رواه أحمد 354/3 ومسلم في صفة القيامة 156/17 والترمذي في البر والصلة 1783.

فقال : " بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، ." وما ذلك إلا لعظم شر المستعاذ منه بينما لما أمر بالاستعاذة من شر ما سواه من المخلوقات اقتصر على رب الفلق فقال : بسم الله الرحمن الرحيم " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وقَبَ، ومِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، ومِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " الفلق 1-2-3-4-5، فتدبر السر في ذلك أعاذنا الله والمؤمنين من شر هذا العدو آمين.

الذنــوب التــــي لا تغفــر

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوانٌ لا يَعْبَأُ اللهُ به شيئاً، وديوان لا يتركُ الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله عز وجل : " إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ ". وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء وأما الديوان الذي لا يترك منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضاً القصاص لا محالة ".* وفي رواية ذكر : " إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ".*

و الحديث يدل على عدل الله عز وجل وبالتالي فضله وشمول رحمته ولطفه بعباده فسيقضي سبحانه وتعالى بين عباده يوم القيامة ويعدل في قضائه ولا يظلم أحداً فمن كفر به وعبد غيره فهذا سيحكم فيه بخلوده في النار ولا يغفر له ظلمه ــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 240/6 والبيهقي في الشعب 52/6 وفيه ضعف ينجر بشاهد له عن أنس بنحوه رواه الطيالسي في مسنده 2184 مع المنحة وأبو نعيم في الحلية 309/6 فالحديث بطريقيه حسن إن شاء الله تعالى.

لأن الشرك ظلم عظيم ولا يغفر أبداً أما ما كان بين العبد وبين ربه من هنات شخصية فالله عز وجل سيتفضل على عباده فيتجاوز عن ذلك برحمته ولا يبالي وهذا من كمال عدله وواسع فضله وشمول رحمته.

أما من ظلم غيره في دم أو مال أو عرض فهذا لا يترك ولا يغفر إلا بالاستحلال في الدنيا أو بأدائه والاقتصاص في الآخرة كما جاء في حديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " إذا خَلَّصَ المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فَيَتَقَاصُّونَ مظالم كانت بينهم في الدنيا ".*

قوله " يتقاصون " أي يقتص بعضهم من بعض فيما كان بينهم من المظالم ويدل لذلك أيضا الحديث التالي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من كانت له مَظْلِمَةٌ لأخيه من عِرْضِهِ أو شيء فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عملٌ صالحٌ أخِذ منه بقَدر مظلَمَتِه، وإن لم تكن له حسنات أُخِذ من سيآت صاحبه فحمل عليه ".**

---

* رواه البخاري في المظالم والرقاق مطولا من حديث أبي سعيد الخدري ولعله يأتي.

** رواه أحمد 506/435/2 والبخاري في المظالم 27/26/6 وفي الرقاق ==

قوله " مظلمة " بكسر اللام أي ما ظلمه إياه قوله " من عرضه " بكسر العين وسكون الراء هو محل المدح والذم من الإنسان وقوله " أو شيء " في رواية : " أو مال " وقوله " فحمل عليه " وفي رواية : " فجعل عليه " وقوله " فليتحلله " أي ليطلب منه أن يجعله في حل ويسامحه .

ففي الحديث وعيد شديد وتهديد أكيد لمن يظلم غيره سواء كان بالنيل من عرضه كتكفيره، أو تبديعه، أو لعنه، أو شتمه، أو قذفه، أو الكلام فيه بأي سوء يكرهه أو كان بأخذ ماله غصبا أو سرقة أو غشاً أو نصباً، أو كان سفكا لدمه أو سعيا في سبيل ذلك .

فالواجب على المسلم الذي عليه مظالم من هذا القبيل أن يتحلل ذلك ما دام على قيد الحياة إن أمكن ذلك وإلا أكثر الدعاء لأرباب المظالم والتصدق لهم فإنه إذا أفضى للآخرة فلا بد من الاقتصاص فيؤخذ من حسناته فتدفع إلى أصحاب المظالم وأرباب الحقوق فإن فنيت حسناته أخذت سيآتهم فجعلت عليه ثم ألقي في النار نعوذ بالله تعالى من غضبه وعقابه آمين. وهذا هو المفلس التالي في الحديث.

== 187/14 والترمذي في صفة القيامة 2239 بتهذيبي.

المفلس يوم القيامـــة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أَتَدْرُونَ مَن المُقْلِسُ؟ " قالوا : المُقلِسُ فينا يا رسول الله مَن لا دِرهم له ولا متاع قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " المُقْلِسُ مِن أمتي مَن يأتي يومَ القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكل مالَ هذا، وسفَكَ دَمَ هذا، وضرب هذا، فيَقعُد فيَقْتَصُّ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار ".*

المفلس بضم الميم من الإفلاس وهو في العرف من أحاطت به الديون وليس له ما يقضي به غرماءه وهو في الحقيقة من أحاطت به خطاياه

يوم القيامة من مظالم العباد فتكون له جبال من الحسنات فيدفعها لأرباب الحقوق ويبقى صفر اليدين فتطرح عليه خطايا غر مائه فيلقى في النار فيصبح من الهالكين نعوذ بالله من ذلك.

---

* رواه مسلم في البر والصلة 136/135/16 والترمذي في صفة القيامة 2238.

الحفظة من ملائكة الله تعـــالى

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يَتَعاقَبُونَ فيكُم ملائِكَةٌ بالليل وملائِكَةٌ بالنهار، ويَجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألُهُم ربُّهم وهو أعلمُ بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون، وآتيناهم وهم يصلون".*

قوله " يتعاقبون " التعاقب هو أن يأتي البعض عقب بعض ويتناوبون، كالحرس في الدوائر الحكومية، وهؤلاء الملائكة هم الحفظة لنا من الطوارئ والأحداث كما قال تعالى : " لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ " الرعد 11، فإذا جاء قضاء الله تعالى وأراد إنفاذ ما قدر تخلوا عنه ليقضي الله أمراً كان مفعولا وفي هذا تكرمة وشرف لنا حيث هيأ لنا هؤلاء الملائكة

لحفظنا وجعل اجتماعهم ومفارقتهم لنا في أوقات عبادتنا واجتماعنا على طاعة الله عز وجل ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 486/2 والبخاري في المواقيت 176/173/2 ومسلم في المساجد 133/5 وغيرهم.

فينبغي لنا أن نفرح بذلك حين يقدم علينا رسل ربنا مع سؤاله تعالى إياهم عنا كما ينبغي لنا أن نستشعر ما هو مراد منا وما يدار حولنا من حرسنا وضبط أحوالنا.

و هؤلاء الملائكة غير الكتبة المكلفين بضبط ما نأتيه من طاعة ومعصية وما يصدر منا من قول وفعل الذين قال فيهم ربنا الكريم جل علاه : " وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ " الانفطار 10-11-12، وقال جل ثناؤه : " ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ق 16-17-18.

" المتلقيان " الملكان الموكلان بكتابة أعمال الإنسان وقوله تعالى " رَقِيبٌ " أي حافظ وقوله " عَتِيدٌ " أي حاضر. وهما الملكان المذكوران.

و قال عز وجل : " أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُم بَلَى ورُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ " الزخرف 80، وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن والمقصود أن الكتبة غير المتعاقبين ليل نهار علينا فإن الكتبة لا يفارقوننا إلا في أوقات خاصة فلكل شخص منا ذكراً كان أم أنثى

من المكلفين ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات والآخر عن شماله يكتب السيآت والكلام على هذا في كتب العقائد.

افتقار العباد إلى الله عز وجل في كل شيء

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : " يا عِبادي إني حَرَّمْتُ الظلم على نفسي وجعلتهُ بينكم مُحرَّماً فلا تظالَمُوا، يا عبادي كُلُّكُم ضالٌّ إلا من هديتُه، فاستهدوني أهْدِكُم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمتُه، فاستطعموني أُطْعِمْكُم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه، فاستكسوني أكْسُكُم، يا عبادي إنكم تخْطِئونَ بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغْفِرْ لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولَكُم وآخرَكُم، وإنسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولَكُم وآخرَكُم، وإنسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولَكُم وآخرَكُم، وإنسَكُم وجِنَّكُم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخِل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحْصِيها لكم ثم أُوَفِّيكُم إيَّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن

وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسَه ".*

هذا حديث عظيم نادى فيه ربنا العظيم عباده عشر مرات وأضافهم إلى نفسه المقدسة تشريفاً لهم. وفيه بإجمال أن العباد كلهم بإنسهم وجنهم . مفتقرون إليه في كل شيء وأن الأمور كلها بيده عز وجل فالهداية بيده والأرزاق بيده وخزائنه واسعة ملآى لا تنفذ وأنه واسع المغفرة يغفر الذنوب والخطايا وكبار السيآت لمن استغفره لا يتعاظمه شيء طاعتنا لا تنفعه ولا تزيد في ملكه مثقال ذرة كما أن معاصينا لا تضره ولا تنقص من ملكه شيئاً جواد ماجد عطاؤه كلام وعذابه كلام إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فله الأمر كله، وله الحكم كله، وله الحمد كله في الأولى والآخرة.

---

* رواه أحمد 177/160/5 ومسلم في البر والصلة 130/16 والترمذي في صفة القيامة 2315 وابن ماجة في الزهد 4257.

الاستحيـــاء من الله عز وجـــل

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اسْتَحْيوا من الله حقَّ الحياء " قلنا : يا نبي الله إنا نستحي والحمد لله قال : " ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله أن تَحْفَظَ الرأس وما وعَى، وتحفظَ البطن وما حوَى، وتذكر الموتَ

والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حقَّ الحياءِ ".*

قوله " الرأس وما وعى " أي ما حفظه والمراد به حفظ ما وعاه من معرفة الله تعالى والعلم بالحلال والحرام وان لا يضيع ذلك ثم حفظ السمع والبصر واللسان من هناتها وقوله " والبطن وما حوى " أي ما جمع فيه بأن يحفظه من أكل الحرام وما فيه شبهة وأن يحفظ كذلك فرجه من الفواحش وقوله " البلى " بكسر الباء أراد به مآل الإنسان في القبر.

---

* رواه أحمد 387/1 والترمذي في صفة القيامة 2279 والحاكم 423/4 وصححه ووافقه الذهبي وفي سنده ضعف لكن له طريق آخر رواه الطبراني في الصغير 177/1 وجاء أيضا عن الحسن مرسلا كما أشار إليه البيهقي في الشعب ج142/141/6 وج354/7.

فيستفاد من الحديث الشريف أن الحياء من الله حقيقة هو أن لا يرى الإنسان على معصية ومخالفة فمن حفظ جوارحه وراقب الله عز وجل في ذلك فهو المستحيي منه وهذا باب واسع فإنه يدخل فيه حتى إتيان بعض المباحات فضلا عن المكروهات أو خلاف الأولى فقد وجد في السلف من كان يستحيي من الله تعالى أن يمد رجليه في جلوسه، أو يكشف عورته عند قضاء حاجته

نسأل الله تعالى العفو والمسامحة وأن يعاملنا بمحض فضله ورحمته آمين.

التوحيد الكامل الموجب للجنــة

عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ".* وفي رواية : " أدخله الله الجنة على ما كان من عمل ".*

قوله " من قال أشهد " أي اعترف وأقر وقوله " وكلمته " لأن عيسى كان بكلمة كن فقط من غير أب وقوله " وروح منه " أي مخلوقة منه تعالى.

و هذا الحديث الشريف قد احتوى على مهمات الدين فهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه جمع فيه ما أنكرته جميع الملل الكفرية على اختلاف عقائدها ففيه الرد على النصارى في طعنهم في نبوة عيسى عليه السلام ورميهم والدته مريم عليها السلام بالزنا. وفيه الرد على الفرق الكافرة المنكرة رسالة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما فيه الرد على المعتزلة والخوارج

---

* رواه أحمد 314/313/5 والبخاري في الأنبياء 285/7 ومسلم في الإيمان 227/226/1.

القائلين بخلود العصاة في النار، وفيه إثبات المعاد والجنة والنار وفيه أن من اعترف بما فيه جملة وتفصيلا ومات على ذلك دخل الجنة قطعا ولو عمل من الذنوب والآثام ما عمل ما عدا الشرك والكفر بالله تعالى.

الخوف والرجـــاء

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دخل على شاب وهو بالموت فقال له : " كَيْفَ تَجِدُك؟ " فقال : والله يا رسول الله أرجو الله وإني أخاف ذ نوبي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يَرْجو وأمَّنَهُ مِمَّا يَخافُ ".*

قوله " كيف تجدك " أي كيف تجد نفسك وأنت قادم على الله في آخر لمحة من حياتك.

الرجاء هو ضد اليأس وهو أن يأمل المسلم من الله تعالى غفران ذنوبه وقبول أعماله ولا يكون الرجاء إلا مع العمل وإلا كان أمنية.

أما الخوف فهو تألم القلب بسبب توقع مكروه في الاستقبال وهو يختلف باختلاف الخائفين فمن الناس من يخاف الموت قبل التوبة، ومنهم من يخاف ـــــــــــــــــــــــــ

* رواه الترمذي في الجنائز 875 وابن ماجة في الزهد 4161 وجوده النووي وحسنه المنذري.

غضب الله وعذابه ومنهم من يخاف سوء الخاتمة، وكل ذلك محمود جاء به القرآن والسنة.

و الحديث يدل على أن المؤمن الحازم ينبغي له أن يكون جامعاً بين حالتي الخوف والرجاء في جميع مراحل حياته فيرجو رحمة الله ومغفرته، ويخاف سطوته وعذابه وهذه حالة الربانيين من عباد الله عز وجل كما قال في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً : " كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ويَدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ " الأنبياء 90، وقال تعالى في أهل التهجد بالله : " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً " السجدة 16، وقال جل علاه: " أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ويَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ " الزمر 9، وهكذا جمع الله عز وجل في القرآن الكريم بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب فلا يكاد يذكر النار أو أهلها إلا ذكر في مقابلة ذلك الجنة وأهلها ولا يذكر عقابه وغضبه إلا وعقب ذلك بذكر رحمته ومغفرته.

كقوله تعالى : " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ " البقرة 38، ثم ذكر ضد هؤلاء فقال : " والَّذِينَ كَفَرواْ وكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " البقرة 39، وقوله جل شأنه : " نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ " الحجر 49-50، وقوله جل جلاله : " إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ولَا يَحْيى " طه 74، ثم قال في في المؤمنين الصالحين ترغيبا في السير على نهجهم : " ومَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى" طه 75.

و قوله عز وجل : " وقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً " طه 111، ثم قال في الربانيين السعداء : " ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً ولَا هَضْماً " طه 112.

و هكذا شأن القرآن الكريم يجمع بين الترغيب والترهيب ليكون المؤمن دائماً جامعاً بين الخوف والرجاء وهكذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في إرشاداته وتوجيهاته. فالخوف والرجاء إذا استويا استوت حالة المؤمن واستقام وإذا نقص أحدهما أو كلاهما نقص دينه أو ذهب بالكلية فإن من غَلَّب جانب الرجاء على الخوف وقع في الأمْن من مكر الله وعقابه واطلق العنان لنفسه ولحق بالمرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء فينحل من التكاليف الشرعية بأوامرها ونواهيها.

و إذا غلب جانب الخوف وبالغ في ذلك وقع في اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وكلا الحالتين ضلال وخروج عن الصراط السوي

أما من فقدهما معا فلا يخاف ولا يرجو فهذا هالك لأنه لا يكون كذلك إلا كافر ملحد.

حسن الظــن بالله عــز وجــل

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يقول الله عز وجل : أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي وأنا مَعَه حِينَ يَذْكُرُني".*

تحسين الظن بالله عز وجل بأن يغلب الإنسان ظنه خيراً بالله بأن يقبل أعماله ويثيبه عليها وأن يتجاوز عن زلاته وتقصيره وأنه ستشمله مغفرته ولا يقنط من رحمة الله فيحسن ظنه بربه في حالتي الطاعة والمعصية ومن مناجاة ابن عطاء الله في الحكم : إلاهي إنّ رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك، فمن كان كذلك كان الله معه بالرعاية والرحمة والهداية.

---

* رواه البخاري في التوحيد 159/155/18 ومسلم في الذكر 3/2/17 في حديث طويل.

تضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعـف

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : قال : " إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فمن هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ".*

قوله " هم بحسنة " الهم بالشيء يطلق على خاطر النفس الذي لا يثبت وعليه حملوا قوله تعالى في شأن سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام : " وهَمَّ بِهَا " أي خطر بباله ولم يعزم على ذلك ويطلق على العزم ومنه في شأن امرأة العزيز : " ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ " أي عزمت وصممت وعلى هذا يحمل هنا الهم أي عزم بفعل الحسنة وعزم بفعل السيئة وجاء في رواية لمسلم " إذا تحدث عبدي " بأن يعمل المراد بالتحدث هنا تحدث النفس وهو الهم والعزم وجاء في رواية لمسلم أيضا : " إنما تركها من جَرَّاي " بفتح الجيم وتشديد الراء أي تركها من ________________

* رواه البخاري في الرقاق 112/106/14 ومسلم في الإيمان 148/147/2 بألفاظ.

أجلي وخوفاً مني.

و في هذا الحديث الشريف فوائد :

أولا، كتابة الله عز وجل على العباد كل ما يأتون من حسنات وسيآت وأنه عز وجل جعلهم مظهراً لتنفيذ قضائه ماضياً فيهم حكمه العادل.

ثانيا، تفضله تعالى على عباده المؤمنين بمجازاتهم بالحسنات على ما يهمون به ويعزمون عليه من الخير وإن لم يعملوه وأنه تعالى يكتب لهم بكل همة حسنة كاملة، بينما هم إذا عزموا على الشيء المشروع وعملوه ضاعف لهم الأجر والحسنات من عشر حسنات للحسنة الواحدة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وذلك حسب إيمان العبد وإخلاصه وخشوعه وحضوره مع الله تعالى ومحبته إياه.

ثالثا، وهي من عظيم لطف الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين أن من عزم على إتيان مخالفة وفعل سيئة ثم جاهد نفسه وتركها خوفاً من الله عز وجل كتبت له حسنة وغفر له ما كان قد عزم عليه فإن باشر السيئة وارتكبها كتبت له سيئة واحدة، وفي ذلك من واسع فضل الله ورحمته بعباده ما يحمل العبد على فرحه بربه ورضاه به والإقبال على عبادته.

رابعا، في الحديث دليل على أن أعمال القلوب تكتب على العباد كأعمال الجوارح الظاهرة وأن الله عز وجل يعطي الكتبة الكرام إطلاعاً على ذلك لكي يكتبونه ويكون قوله تعالى في شأنهم يعلمون ما تفعلون شاملا لفعل القلوب.

خامسا، في الحديث التفرقة بين الخواطر والوساوس النفسانية والشيطانية التي لا تثبت، وبين الخواطر التي يقع عليها العزم لقوله

تعالى : " ولَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ " البقرة 225، فهذا هو الذي يؤاخذ عليه الإنسان وهو العزم.

و على الخواطر النفسانية حمل الحدلث التالي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله عز وجل تَجَاوَزَ لأمَّتي عما حَدَّثَتْ بهِ أنْفُسَهَا ما لم تعمل أو تكلَّم به " وفي رواية : " عما وسْوَسَتْ بِه ".*

و المراد بالوسوسة هنا هو حديث النفس في باطن الإنسان بلا حرف ولا صوت من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده وهي الخواطر التي لا عزم معها ولا تصميم فهذه من المعفوات المتجاوز عن الأخذ بها، لأنها مما لا يستطاع دفعه ________________

* رواه البخاري في العتق 87/6 وفي الأيمان والنذور 375/14 ومسلم في الإيمان 147/2.

و لذلك كان من حدثته نفسه بالوسوسة في شأن الله عز وجل . أو في قتل شخص، أو ارتكاب فاحشة، أو طلاق زوجة مثلا . ودفع ذلك ولم يهم بشيء منه كان معفواً عنه لا إثم عليه في شيء من ذلك ولا يلزمه شيء وهذا من لطف الله تعالى وفضله على عباده.

جزاء المؤمن على حسناته في الدنيا والآخرة

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله تعالى لا يظلمُ مؤمناً حسنة، يُعْطَى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَمُ بحسنات ما عمل بها له في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يجزى بها ".* وفي رواية : " إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته ".*

في الحديث الشريف وعد من الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للمؤمن بأنه تعالى يجازيه على حسناته وأعماله الصالحة في الدنيا وذلك بالرزق الطيب، والعافية، والأمان، والحفظ والرعاية . ثم يجازيه جزاء ثانياً في الآخرة وهو خير وأبقى والحديث موافق لقوله تعالى : " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ " النحل 30، ومن جزائه تعالى لعبده المؤمن في الدنيا أن يحييه حياة طيبة كما قال تعالى :

---

* رواه أحمد 283/123/3 ومسلم في صفة القيامة 150/149/17.

و قوله " أفضى " أي صار إلى الآخرة.

" مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " النحل 97.

و الحياة الطيبة في الدنيا هي الرزق الحلال الكافي مع القناعة والراحة والانشراح والطمأنينة وهي سعادة معجلة للمؤمن.

أما الكافر فما عمله في الدنيا من خير كصلة مثلا أو صدقة أو إحسان أو معاملة بخلق حسن فيجازى على ذلك في الدنيا بالبسط في الحياة ورغد العيش والعافية وطول العمر ونصر على أعدائه ونحو ذلك أما الآخرة فالإجماع على أنه إذا مات على كفره ليس له ثواب أصلا في الاخرة وإنما له العذاب الأليم الخالد.

و قوله في أول الحديث " إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة " معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته كما قال تعالى : " إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ويُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً " النساء 40. وبالله التوفيق.

عجبا لأمر المؤمـــن

عن صُهَيْب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كُلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ وكان خيراً لهُ، وإن أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صبر كان خيراً له ".*

قوله " عجبا " العجب بفتحتين انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظام الشيء أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه وهو في حق الله

عز وجل صفة له تخالف صفات خلقه من المحدثات وقد يفسره بعضهم برضاه تعالى بالشيء.

و لا شك أن أمر المؤمن وما قضى الله تعالى عليه من الخير والشر مما يتعجب منه لأن كل ذلك خير له فإذا نِيلَ ما يَسُرُّه من الخير في الدنيا وما أكثره فحمد الله تعالى على ما أولاه وشكره كان خيراً كثيراً له بما سيجازيه عليه الله من الثواب الجزيل وإذا أصيب بما يكرهه ويكدر عليه حياته من الضراء والبلايا وذلك نادر بالنسبة للخير فقابل ذلك بالصبر والرضا ولم يتسخط ولم يتضجر ولم يقنط كان ذلك أيضاً خيراً له أي خير وسيقابل على ذلك في الآخرة بالأجور العظيمة ومنتهى ذلك جنة الخلد وهذا بخلاف الكافر والمنافق ومن شابههما فإن حياتهم في ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 333/332/3 ومسلم في أحاديث متفرقة آخر الزهد 125/18.

ضنك عياذاً بالله وهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ومآلهم في الآخرة نار يصلونها وبئس القرار.

كبائر الذنوب وصغائرها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اجتنبوا السبع الموبقات " قيل يا رسول الله وما هن؟ قال : " الشركُ بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا

بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ".*

و عن عُمَيْر وكانت له صحبة أن رجلا سأل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ فقال : " هن تسع " فذكر معنى الحديث السابق وزاد : " وعقوق الوالدين المسلمين،و استحلال البيت الحرام، قبلتكم أحياء وأمواتا ".**

قوله " الموبقات " جمع موبقة وهي الخصلة التي توبق وتدخل صاحبها النار وقوله " والتولي يوم الزحف " يعني الفرار من معركة القتال وقوله " المحصنات " ____________________

* رواه البخاري في الوصايا وغيره ومسلم في الإيمان 83/82/2 وأبو داود 2876 والنسائي في الكبرى 114/4 كلاهما في الوصايا أيضا.

** رواه أبو داود في الوصايا 2875 والنسائي في الحماربة من الكبرى 2090/2 وهو حسن لغيره.

أي النساء العفيفات التي أحصن فروجهن عن الزنا.

و عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا " وفي رواية : " أ أخبركم " قالوا : بلى يا رسول الله قال : " الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور " قال : وكان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.*

و نحوه عن أنس رضي الله تعالى عنه وزاد : " وقتل النفس ".**

و عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، أو قال : اليمين الغموس".***

---

* رواه البخاري في الاستئذان 307/13 وغيره ومسلم في الإيمان 82/81/2 والترمذي في الشهادات 2123 وفي التفسير 2824 وغيرهم.

** رواه السيخان أيضا والترمذي.

*** رواه أحمد 201/2 والبخاري في الديات وفي الأيمان والنذور والترمذي في التفسير 2826.

و عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من الكبائر أن يَشْتُم الرجلُ والديه " قالوا : يا رسول الله وهل يشتُم الرجل والديه؟ قال : " نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويشتم أمه فيشتم أمه ".*

هذا موضوع عظيم الأهمية يجب على المؤمن أن يهتم به ويحيط بما فيه فإن المؤمن محتاج إليه كحاجته للطعام والشراب.

و قد أجمع العلماء على أن الذنوب فيها صغائر وكبائر وأكبر كما نطق بذلك القرآن الكريم وجاءت السنة الصحيحة التي منها ما أوردناه هنا.

أما الصغائر فكالنظرة إلى المرأة الأجنبية أو الأمرد مع الشهوة ولغير ضرورة وكاللمس، والقبلة . وأخذ مثل درهم الغير وأكل نحو لقمة، والخلوة بالأجنبية والكلام معها فيما هو خارج عن المعروف، وسماع الملاهي والمزامير، وتعاطي الشبهات ومخالطة الفساق أحياناً، ولبس الديباج، والتختم بالذهب، وسب الولد أو ضربه زيادة على مقدار الأدب، وكذب لا ضرر فيه، واللعب بالقردة، ونطاح الأكباش، ومهارشة الديوك، واقتناء الكلب لغير حاجة، ونحو ذلك وهي

---

* رواه البخاري في الدب 7/13 ومسلم في الإيمان 83/2 وأبو داود في الأدب 5141 والترمذي في البر والصلة 1748.

لا تنحصر وقد ذكر جملة كبيرة منها الشيخ مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى في شرح الإحياء.

و جعل الإمام الغزالي رحمه الله تعالى وغيره من الصغائر الغيبة أو سماعها، والتجسس، وسوء الظن، وترك الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، وإكرام السلاطين الظلمة، ومصادقة الفجار، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد ما يحتاجون إليه من أمر الدين.

و في ما قاله نظر فإن بعض ما ذكره من كبار الذنوب كالغيبة والنميمة .

أما الكبائر فكثيرة جداً وقد ذكرها مفصلة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في كتابه " الزواج " فأبلغها إلى أكثر من أربعمائة كبيرة وفي بعضها نظر ونزاع وقد جاء التنصيص على كثير منها في الكتاب والسنة كالإشراك بالله تعالى والقتل والزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر وقذف المحصنات، والتعامل بالربا وأكل مال اليتيم، وأخذ أموال الناس بالباطل، وقطع الرحم، والسحر، وشهادة الزور، والقوادة والدياثة والمكس، وشتم المسلم أو لعنه وعقوق الوالدين، والفرار من معركة القتال، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله، واليمين الغموس، والإلحاد في بيت الله تعالى وحرمه، والجمع بين الصلاتين لغير ضرورة فأحرى ترك الصلاة . وهي كثيرة.

بماذا تعرف الكبيرة من الصغيرة

و تعرف الكبيرة غير المنصوص عليها بما ذكره العلماء رحمهم الله تعالى :

فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

و قد تتبع العلماء ووجدوا بالاستقراء في حد الكبيرة أنها كل ذنب أوعد الله تعالى على صاحبه بالعذاب أو غضب عليه أو لعنه، أو ذكر أنه فاحشة، أو فسق، أو جاء أنه لا يكلمه ولا ينظر إليه يوم القيامة، أو ذكر أنه بهتان، أو أن صاحبه منافق ونحو ذلك فكل ما جاء كذلك فهو كبيرة وما عدا ذلك فهو صغيرة.

أما ما جاء عن بعض السلف وغيرهم كل شيء نهى الله تعالى عنه فهو كبيرة فمقصودهم أن كل مخالفة هي بالنسبة لجلال الله وعظمته كبيرة ولا يخالفون أن في المعاصي كبائر وصغائر لأن ذلك جاء به صريح القرآن كقوله تعالى : " إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ " النساء 31، وقوله عز وجل : " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ " النجم 32، واللمم هي الصغائر.

بماذا تغفر الذنوب كبيرها وصغيرها

يبقى هنا أمر وهو بالأهمية بمكان وهو بماذا تكفر الذنوب وما يغفر منها وما لا وإجابة عن هذا نقول بإذن الله تعالى وعونه :

أما الصغائر فتغفر باجتناب الكبائر وبكل قربة وعمل صالح بدون استثناء فتغفر بالطهارة والصلاة مطلقاً، وبالصيام، وبالصدقة، وبتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبجميع أنواع البر . وهذا لا خلاف فيه بين

العلماء* فإذا لم يكن للإنسان صغائر يكفر له بعض الكبائر، وإذا لم توجد له كبائر ترفع له بها الدرجات في الآخرة.

أما بالنسبة للكبائر فتغفر بفضل الله تعالى بأمور جاءت بها نصوص الشريعة فمنها الحج المبرور، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، وصلاة التسبيح، وأعظم ذلك وأشمله التوبة النصوح وقد ذكرنا كل هذه الأشياء في كتاب " أحب الأعمال إلى الله " فانظره ولا بد تستفد.

---

* وقد ألف الناس كتبا كثيرة فيما يكفر الذنوب وأشهرها : " بشارة المحبوب ".

نعم قد قدمنا سابقاً أن الذنوب التي لا تغفر هي : الشرك بالله تعالى ومظالم العباد فارجع إلى فصل : " الذنوب التي لا تغفر ".

المؤمن وموقفه من الأعمال الصالحة

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هذه الآية : " إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ، والَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وقُلُوبُهُمْ وجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وهُمْ لَهَا سَابِقُونَ " قالت

عائشة : أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال : " لا يا بْنَتَ الصديق ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ".*

و معنى الآية الكريمة مع الحديث أن المؤمنين الذين هم من جلال الله وعظمته خائفون، ومن خوف عذاب الله حذرون، والذين هم بآيات الله التشريعية والكونية يؤمنون، ولا يشركون مع الله أحداً بل هم مخلصون العبادة له تعالى وحده والذين يعطون العطاء من زكاة وصدقة ويتقربون إلى الله تعالى بأنواع البر والخير وهم مع ذلك يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم فهم دائماً خائفون وجلون.

---

* رواه أحمد 205/159/6 والترمذي 2969 وابن ماجة 4198 والحاكم 394/393/2 وصححه ووافقه الذهبي.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمناً.

فالمؤمن من شأنه أن ينظر دائما إلى سيآته ولا يلتفت إلى أعماله الصالحة ويتهم نفسه دائما بالتقصير وعدم الإخلاص والتفريط في حقوق الله تعالى.

الصحبــــة

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ ".*

الإنسان خلق اجتماعياً فلا بد له من مخالطة الناس فهو محتاج إليهم في دينه ودنياه فلا يمكن له أن يقوم وحده بتحصيل جميع شئون حياته بأن يكون مثلا فلاحاً تاجراً نساجاً خياطاً بناء حداداً خبازاً طباخاً بل هذه أعمال يقوم بها أقوام . وإذا أراد صحبة أحد . وهو أمر ضروري غالباً فليختر الصاحب وهو مقتضى الحديث غير أن الصاحب يشترط فيه أن يكون مؤمناً عاقلا حسن الأخلاق والسلوك ويكون كما قال الشاعر وقد أجاد :

إن أخَاك الحقَّ مَن كان مَعكْ :::::::: ومَن يَضُرُّ نفْسَه لِيَنْفَعَكْ

و مَنْ إذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ :::::::: شَتّتَ فيه شَمْلَه لِيَجْمَعَكْ

و من قول الحافظ الحميدي الأندلسي رحمه الله تعالى :

---

* رواه أحمد 38/3 وأبو داود في الأدب 4832 والترمذي في الزهد 2214 والدارمي 2063 وابن حبان 2049 والحاكم 128/4 وصححه ووافقه الذهبي وقال النووي إسناده لا بأس به.

كَلامُ الناسِ ليسَ يُفيد شَيْئاً :::::::: إلا الهَذَيَانَ والقِيلَ والقالْ

لا تَصْحَبْ أحداً إلاَّ لِـــ :::::::: أَخْذِ عِلمٍ أوْ إصْلاحِ حالْ

فالصاحب الذي لا تنتفع به في دينك أو دنياك وتسلم من غوائله لا خير في صحبته وقد تكلم الناس كثيرا على الصحبة وجعلها الصوفية من شروط السالك كما جعلوها من الواجبات وذكروا لها شروط وآداباً.

و هي مأخوذة من السنة المطهرة حيث إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان خليل الله وجعل له جبريل عليه السلام صاحباً يأتيه بالوحي ويعلمه ما يأتي به من عند الله تعالى وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مرشداً لأصحابه ومعلماً لهم وداعيا إياهم إلى الله عز وجل فكان نعم الصاحب والمرشد لهم وهكذا جاءت الصحبة مسلسلة صغيراً عن كابر.

بيد أن الصاحب المخلص نادر جداً لا يوجد إلا بعد التي والتيه كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إِنَّما الناسُ كإبلِ مائَةٍ لا تَكادُ تَجدُ فَيها رَاحِلَةً ".*

---

* رواه البخاري في الرقاق 118/14 ومسلم آخر الفضائل ج 101/16.

فشبه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الصاحب المختار في الناس باختيار الراحلة الصالحة من مائة إبل فمن أراد اختيار جمل للحمل والركوب لا يكاد يجده إلا في مائة إبل وكذا الحال في الصاحب لا يكاد يوجد إلا في المئين من الناس. قال النووي رحمه الله

تعالى في شرح مسلم على هذا الحديث ناقلا عن العلماء : المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر . ولأهمية اختيار الصاحب قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ".*

فالإنسان يقاس بصاحبه فإن كان الصاحب صالحاً تقياً باراً مستقيما كان من صاحبه كذلك والعكس بالعكس ولم يزل العلماء والناصحون يحذرون من صحبة قرناء السوء وممن لا دين له لأن الطباع تسرق بدون شعور.

و قد ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لجليسين الخير والسوء المثل بجليس العطار وجليس الحداد فالأول إما أن يصيب من عطوره أو رائحته والثاني إما أن يحرقه بشرارات ناره أو يصاب بدخانه. وهكذا الصحبة فما سعد من سعد

---

* رواه أحمد 334/303/2 وأبو داود 4833 والترمذي 2196 بسند صحيح وصححه النووي والحاكم وغيرهما.

إلا بصحبة الصالحين وما شقي من شقى إلا بمخالطة الأشرار وقرناء السوء وليراجع كتاب الصحبة من إحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله تعالى ولا بد فإن فيه تفاصيل للصحبة وفوائد هامة لا توجد عند غيره.

الثنــــاء الحســـن

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ وإذا أسأتُ؟ قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا سمعت جيرانك يقولون : أن قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأتَ فقد أسأتَ ".*

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع ".**

أفاد هذان الحديثان الشريفان أن أهل الخير والجنة هم الذين يثنون عليهم جيرانهم بالخير وهذا لا يكون إلا من أهل العدالة لأن أهل الفسق يثنون على الفسقة أمثالهم ويمدحونهم ويذمون أهل الدين ويثنون عليهم سوءاً فإذا أثنى أهل الدين والصلاح على شخص كان ذلك علامة على سعادته عند الله تعالى وأنه

---

* رواه ابن ماجة في الزهد 4223 بسند صحيح كما قال البوصيري.

** رواه أيضا ابن ماجة 4224 بسند صحيح أيضا.

من أهل الخير كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للصحابة : " أنتم شهداء الله في الأرض من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار ".*

نعم ويشترط في هذه الشهادة أن لا يكون الشهداء خصوماً وأعداء للمشهود عليه فإن للعدوان عاملاً عظيماً في التزوير والطعن في الخصم واختلاق البهتان عليه وإن ادعى صاحب ذلك العلم أو الدين فإن الحسد والعداوة لهما الأثر العظيم في الكيد للخصم والمكر به والشهادة عليه بما هو بريء منه فاعلم ذلك.

---

* رواه أحمد 197/179/2 والبخاري 471/3 ومسلم 53/3 والترمذي 943 في الجنائز.

الحســـد والبغــــــي

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٌ آتاه الله مالاً فهو يُنفق منه آناء الليل وآناءَ النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ".*

و في رواية : " . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ".**

و في رواية ثالثة . " رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيتُ ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل : ليتني أُوتيتُ مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ".***

---

* رواه البخاري في الأحكام 238/16 ومسلم في فضائل القرآن 97/6 والترمذي في البر والصلة 1782 وغيرهم.

** رواه أحمد 432/382/1 والبخاري في العلم 176/1 وغيره ومسلم في فضائل القرآن 97/6 كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

*** رواه أحمد 479/2 والبخاري في فضائل القرآن.

المراد بالحسد هنا الغبطة والتمني مع التنافس كما في الرواية الأخيرة فهو الجائز المستثني أما الحسد المذموم الذي هو تمني زوال النعمة عن الآخرين مع إضمار الضغن والحقد فهذا من كبار الذنوب والآثام وأول من عصى الله تعالى به إبليس لعنه الله تعالى ولذا أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به من صاحبه فقال عز وجل : بسم الله الرحمان الرحيم " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، ومِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، ومِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " الفلق 1-2-3-4-5، فشر الحاسد عظيم قد يحمل صاحبه على اقتراف جميع

الآثام والمهلكات ولذلك فكل عداوة يرجى لصاحبها التوبة إلا الحسد فإن صاحبه لا يتوب منه ولا يرجى منه رجوع وقد قال القائل وأجاد :

كل العداوات قد ترجى إماتتها :::::::: إلا عداوة من عاداك من حسد

و الحسود في الحقيقة يحارب الله تعالى ويحاده فإن النعمة التي لأجلها يحسد غيره عليها ويبغضه ويضمر له العداوة هي من فعل الله تعالى وخلقه وإفضاله على عبده فهو منازع لربوبية خالقه ومن نازع الله في صفة من صفاته أهلكه الله عز وجل : " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ " النساء 54.

و قد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن التحاسد وأخبر بأنه داء من قبلنا دب إلينا فقال في حديثه المشهور : " لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخـــــــــواناً".*

و قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ".**

و في حديث لعبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا فتحت عليكم فارس والروم " وفيه : " يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون ".***

فاحذر أيها المؤمن الحسد وإياك ثم إياك أن تكون من الحاسدين فإن الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا

لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الدب 95/94/13 ومسلم في البر والصلة 116/115/16 والترمذي فيه أيضا 1781 من حديث أنس.

** رواه الترمذي في صفة القيامة 2328 من حديث الزبير رضي الله تعالى عنه وجوده الحافظان المنذري والهيثمي وله شواهد.

*** رواه مسلم في الزهد.

الموقف إلا فضيحة ونكالا قاله بعض الحكماء.

و قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله تعالى وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار.

و قال بعض الربانيين : الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى. لأن الحسود لا يزال في غم وكدر وهم من نعمة المحسود فمرضه لا علاج له إلا من شاء الله تعالى.

و الحسد قد أصاب حتى أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأول حسد وقع في الأرض كان من قابل ابن آدم عليه السلام حسد اخاه هابل حتى قتله وهذا يوسف عليه السلام وما أصيب به من محن كان سبب ذلك حسد إخوته إياه وهكذا تسلسل هذا الداء وانتشر بين الأمم فقطعت الأرحام وسفكت الدماء واستحلت المحارم بسببه.

فائدة : قال العلماء : إنَّ الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس فإذا رآى لغيره ما ليس له احب أن يزول ذلك عنه له ليرتفع عليه أو مطلقاً ليساويه وصاحبه مذموم إذا عمل بمقتضى ذلك من تصميم أو قول أو فعل، وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه كما يكره ما وضع في طبعه من حب المنهيات. واستثنوا من ذلك ما إذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله تعالى.

و قد أطال سيدي أبو حامد رحمه الله تعالى الكلام في هذا الموضوع في الإحياء وأجاد.

أما البغي فهو التعدي والاستطالة على الاخرين ومجاوزة الحد في الظلم سواء كان في عرض أو مال أو جسم.

و قد قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض ".* وفي رواية : " إن الله أوحى إلي : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد ".**

أفاد الحديثان الشريفان الأمر بالتواضع وعدم الترفع والتعاظم على الغير والنهي عن الاعتداء وظلم المسلمين والغي عليهم.

---

* رواه البخاري في الأدب المفرد 426 وابن ماجة في الزهد 4214 من حديث أنس رضي الله تعالى عنه وحسنه البوصيري في الزوائد.

** رواه مسلم في الجنة 200/17 عن عياض بن حمار وفيه زيادة النهي عن الفخر وهو من قبيل التكبر والتعاظم كما يأتي.

و عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مـا يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم ".*

فهذا الوعيد الشديد يدل على أن هاتين الخصلتين من كبار الذنوب. وهما البغي وقطيعة الرحم وأن تعجيل عقوبة المتصف بهما محققة في الدنيا مع ما هو مدخر له في الآخرة من النكال والعذاب عياذاً بالله والبغي مذموم شرعاً وعقلا فإن الاعتداء على الغير من صفات الظالمين والطغاة والكافرين وقد ذمه الله تعالى في القرآن الكريم وذم اليهود عليه ونهى عنه في الآية الجامعة المانعة فقال تعالى : " إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء والْمُنكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " النحل 90.

فحذار حذار أيها المسلم من البغي والاعتداء على غيرك من خلق الله تعالى حتى الحيوانات المحترمة والكافر المعاهد . فضلا عن المسلم فإن الله عز وجل ليس ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أبو داود في الأدب 4902 والترمذي في صفة القيامة 2329 وابن ماجة في الزهد 4211 وغيرهم بسند صحيح وقال الترمذي : حديث صحيح.

و قوله " أجدر " أي أحق وأولى.

بغافل عما يفعله الظالمون. وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ : " وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ " "* هود 102.

" يملي " بضم الياء أي يمهل ويطيل له المدة وقوله " لم يفلته " أي لم يطلقه وينفلت منه.

ففي الحديث مع الآية الكريمة تهديدُ أكيد للعتاة والطغاة والظالمين وأن الله عز وجل يمهلهم ويمد لهم في هذه الحياة برهة من الزمان ويعطيهم من كل أنواع المتاع ويوسع لهم في الملك وقد ينصرهم على من ناوأهم ويمنحهم قوة ونفوذاً ويطيل أعمارهم ويملأ قصورهم بالخدم والجواري والفتيات الحسان حتى يطمئنوا لذلك فيستدرجهم من حيث لا يعلمون فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر فيصبحوا لا ترى إلا مساكنهم عياذاً بالله تعالى منهم.

---

* رواه البخاري في التفسير 425/9 ومسلم في البر والصلة 137/16 وأهل السنن إلا أبا داود.

الكبــر والتـــواضع

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يَدخُل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرة من كبر " قال رجل : إن الرجل يحب أن يكونَ ثوبُه حسناً، ونعلُه حسنة قال : " إن الله جميلٌ يُحِبُّ الجمال، الكبر بطرُ الحق وغَمْطُ الناس ".*

" بطر الحق " أي دفعه وعدم قبوله. و" غمط الناس " ويقال غمص بالصاد احتقارهم وازدراؤهم.

في الحديث وعيد شديد للمتكبرين المتعاظمين الذين لا يقبلون الحق ولا يعترفون به وهم مع ذلك يحتقرون غيرهم ويستصغرونهم وأن من مات على كبريائه حرم دخول الجنة إن كان كافراً أو مؤمنا استحل ذلك.

و الكبر من الذنوب العظام والفواحش الكبار لأن المتكبر ينازع الله عز وجل في كبريائه وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار " وفي ________________________

* رواه مسلم في الإيمان 90/89/2 وأبو داود 4091 والترمذي في البر والصلة 1843 وابن ماجة في الزهد 4173.

رواية : " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته ".*

و قوله " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري " هذا من أحاديث الصفات والله تعالى منزه عن صفات خلقه وقوله من ينازعني أي من يتخلق بالعظمة والكبرياء قصمه الله تعالى وألقاه في النار.

و في الحديث وعيد عظيم لمن نازع الله في عظمته فمن تكبر على عباد الله تعالى وتعاظم عليهم عذبه الله لأنه نازع الله في صفة من صفاته وتخلق بالكبرياء الذي هو من خصائص الربوبية.

و المتكبر هو الذي يرى نفسه أنه أكبر وأعظم من غيره. قال الغزالي الإمام رحمه الله تعالى في الإحياء : الكبر على قسمين فإن ظهر على الجوارح يقال : تكبر، وإلا قيل في نفسه كبرٌ، والأصل هو الذي في النفس، وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبرا عليه يرى نفسه فوقه، ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب، فمن لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون معجباً لا متكبراً .

---

* رواه أحمد 442/414/376/248/2 ومسلم في البر والصلة 173/16 وأبو داود في الأدب 4090 وابن ماجة في الزهد 4174 بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

و في حديث ابن مسعود الذي صدرنا به دليل على أن حب الإنسان التظاهر بالثوب الحسن والحذاء الحسن ونحو ذلك ليس من الكبر إن لم يرد بذلك التفاخر والتعاظم على الغير لأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

فللإنسان أن ينتفع ويتمتع بكل ما خلق الله تعالى له من نعم إذا خلا ذلك من تجاوز الحد الشرعي والكبرياء والتفاخر.

ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة ".*

الإسراف هو التبذير وتجاوز الحد والمخيلة هي التكبر والخيلاء وكلاهما يكونان في كل شيء في الأكل والشرب واللباس والمركب والسكن . فاحذر أيها المسلم التكبر والتفاخر " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " لقمان 18.

و عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه خطبهم فقال :

---

* رواه ابن ماجة 3605 بسند حسن أو صحيح لشاهد له عن ابن عباس رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح وذكرهما البخاري في اللباس معلقاً.

" إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد ".*

التواضع ضد الكبر قال الحافظ في الفتح مشتق من الضعة وهي الهوان والمراد بالتواضع إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد

تعظيمه، وقيل هو تعظيم من فوقه لفضله هـ. والتفاخر من مقتضيات الكبر فمن تواضع لله عز وجل رفعه ومن تكبر قصمه وعذبه والتواضع يكون في كل حركات الإنسان ومراحل حياته كالكبر والتواضع في الحقيقة أن يتنازل الإنسان عن قدره ويرى نفسه أصغر شيء وأذله فلا يرى لنفسه منزلة ولا قيمة ويسلم على الصغير والكبير ويكلم الغني والفقير والشريف والوضيع ويماشي ويجالس كل طبقات الناس ومن مظاهر التواضع ما جاء في الحديثين التاليين :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما استكبر من أكل معه خادمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها ".**

---

* رواه مسلم في الجنة 200/17 وابن ماجة في الزهد 4179 وتقدم.

** رواه البخاري في الأدب المفرد 550 بسند حسن صحيح.

و عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال : يقولون لي في التِّيهِ وقد ركبت الحمار، ولبست الشملة، وقد حلبت الشاة، وقد قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من فعل هذا فليس فيه من الكبر شيء ".*

" التيه " أي يصفونه بالكبر.

فالحديثان يدلان على أن من اتصف بما فيهما من الأكل مع الخادم وركوب الحمار، وحلب الشاة كان متواضعاً بريئاً من الكبر لأن هذه الخصال لا يتصف بها ويزاولها إلا الطبقة الفقيرة أو القريبة منها ممن يستحقرهم الناس، ولا يتصور من المتكبر أن يجالس خادمه حتى يأكل معه ومن المستحيل عادة ان يركب المتكبر الحمار أو أي مركوب عصري سافل كالدراجة مثلا وسيارة قديمة او كانت من نوع لا يقتنيه إلا عامة الناس.

و هكذا الحال في حلب الشاة فالمتكبر يستنكف من معاونة أهل المنزل من الخدم والرعاء والفلاحين .

و التواضع الكامل كان متمثلا في النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكان ــــــــــــــــــــــــــ

* رواه الترمذي في البر والصلة 1845 بسند صحيح.

مع عظمة منزلته عند الله وعند ملائكته وعند سائر خلقه الغاية في التواضع يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد ويجالس الفقراء والعبيد ويسلم على الصغير والكبير والذكر والأنثى ويجيب دعوة كل من دعاه ويركب الحمار ويمشي حافياً ويجلس مع الأمة حتى يقضي لها حاجتها إلى غير ذلك مما جاء في شمائله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فهو الأسوة العظمى والقدوة الحسنة لمن أراد الله والدار الآخرة، وفقنا الله لاتباع سنته وهديه ونهجه وأماتنا على ذلك آمين.

و لنحل هذا الفصل بكلام رائع للإمام الغزالي رحمه الله تعالى في التحذير من الكبر والحض والحمل على الاتصاف بالتواضع فليصبر معنا القارئ على طوله فإنه نافع ومهم جداً .

قال رحمه الله تعالى في ربع المهلكات من الإحياء في بيان طريق معالجة الكبر واكتساب التواضع ما نصه : اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين، ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له، وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصالُ أصله من سنخه، وقلع شجرته من مغرسها في القلب، الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره.

المقام الأول في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل، وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله تعالى. أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضاً يطول، ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والمذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله تعالى فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته، وقد قال تعالى : " قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا

أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ " عبس 17 ـــ 22.

فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية، أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكوراً، وقد كان في حيز العدم دهوراً بل لم يكن لعدمه أول، وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم، وقد كان كذلك في القدم، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقذرها، إذ قد خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعله عظماً، ثم كسا العظم لحماً، فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئاً مذكوراً، فما صار شيئاً مذكوراً إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت

إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا، بل خلقه جماداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه، وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبفقره قبل غناه، وبعجزه قبل قدرته، فهذا معنى قوله تعالى : " مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ " عبس 18-19، ومعنى قوله : " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ " الإنسان 1-2، كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال : " ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ " عبس 20، وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت* وكذلك قال : " مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً "

الإنسان 2-3، ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولا ونطفة ثانياً، وأسمعه بعدما كان أصم، وبصره بعدما كان فاقداً للبصر، وقواه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما

---

* هذا أحد ما قيل في السبيل يسره وقيل : يسره للخروج من رحم أمه طريقه وهو الفرج والله تعالى أعلم.

فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال، فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره، فقال تعالى : " أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ " يس 77، " ومِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ " الروم 20، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم، وحيا بعد الموت، وناطقاً بعد البكم، وبصيراً بعد العمى، وقويا بعد الضعف، وعالماً بعد الجهل، ومهدياً بعد الضلال، وقادراً بعد العجز، وغنياً بعد الفقر، فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أخس من لا شيء، وأي قلة أقل من العدم المحض، ثم صار بالله شيئا، وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف بها نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه، ويعلم بها عظمته وجلاله، وانه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا، ولذلك امتن

عليه فقال: " أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ، ولِسَاناً وشَفَتَيْنِ ، وهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " البلد 8-9-10، وعرف خسته أولا فقال : " أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً " القيامة 37-38، ثم ذكر منته فقال : " فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والْأُنثَى " القيامة 38-39، ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولا . بالاختراع، فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء؟ وهو على التحقيق أخس الأخساء، وأضعف الضعفاء، ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكمله وفوض إليه أمره، وأدام له الوجود باختياره، لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه تعالى سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة، والأسقام العظيمة، والآفات المختلفة، والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرها، ويعطش كرها، ويمرض كرهاً، ويموت كرها، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، ولا خيراً ولا شراً، يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والأفكار بالأضرار، فلا يملك قلبُه قلبَه، ولا نفْسُه نفْسَهُ، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره، وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله، ويختطف روحه، ويسلب جميع ما يهواه في

دنياه، فهو مضطر ذليل، إن ترك بقي، وإن اختطف فَنِيَ، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه، ولا شيء من غيره. فأي شيء أَذَلُّ مِنهُ لَوْ عَرَفَ نفْسَه، وأنَّى يليق الكبر به لولا جهله. فهَذَا أَوْسَطُ أحْوَالِهِ فليتأملـــــــــه.

و أما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى : " ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ " عبس 21-22، ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول أمره لا يبقى إلا شكلُ أعضائِه وصورته لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة، كما كان في الأول نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه، وتنخر عظامه، ويصير رميماً رفاتاً، ويأكل الدود أجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما، وبخديه فيقطعهما، وبسائر أجزائه، فيصير روثاً في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان، ويهرب منه لشدة الإنتان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يعمل منه الكيزان، ويعمر منه البنيان*، فيصير مفقوداً بعدما كان موجوداً وصار كأن لم يغن بالأمس حصيداً كما كان في أول أمره أمداً مديداً، وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك تراباً، لا

---

* ذكر القرطبي رحمه الله تعالى في التذكرة أنه كان أيام الشباب وطلبه العلم ينقل مع رفاق له التراب من مقرة اليهود فيبيعونه لصناع

القرمود والآجر. ومعناه أن جثث اليهود أصبحت قرموداً فوق الأبنية وآجراً يبنى بها الدور والقصور فاعتبروا يا أولي الأبصار.

بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة، وسماء مشققة ممزقة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة، ونجوم متكدرة، وشمس مكسفة، وأحوال مظلمة، وملائكة غلاظ شداد، وجهنم تزفر، وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له : " اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً " الإسراء 14، فإذا شاهده قال : " يَا ويْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " الكهف 49، فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى : " ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ " عبس 22.

فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم، بل ما له وللفَرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر، فقد ظهر له أول حاله، ووسطه، ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً ولا يكون إنساناً يسمع خطابا أو يلقى عذاباً، وإن كان عند الله مستحقاً للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب، وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق. ولو رآى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله

تعالى عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح ويبطر، وكيف يتكبر ويتجبر، وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد له فضلاً. قال : فهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر، وأما العلاج العملي فهو التواضع لله تعالى بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما يحكى عن أحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأحوال الصالحين.

قال ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالإيمان والصلاة جميعاً، وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عماداً ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائماً وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديماً يأنفون من الانحناء، فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم، وبه أمر سائر الخلق، فإن الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير الواضع له خُلُقاً فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً، وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت، والقلب من عالم الملكوت .

ثم استرسل الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يتكلم على باقي أسباب الكبر فذكر من ذلك الجاه والمال والعلم والعبادة وأطال في ذلك ولا يشك أن هذه الأشياء الأربعة لها الأثر العظيم في الكبر وأخطرها العلم والعبادة فإن العلماء والعباد إلا من حفتهم عناية الله تعالى يحتقرون سواهم ويزدرونهم ويتكبرون عليهم ولا يعدونهم شيئاً وهذا هلاك وضلال عياذاً بالله تعالى.

إذا عرفت هذا فلنعد إلى ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحض على التواضع والترغيب فيه وفي ذلك أحاديث :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مال، وما زاد اللهُ عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى ".*

ففيه أن من تواضع لله تعالى وتنازل عن قدره واستصغر نفسه ومنعها من

---

* رواه أحمد 386/235/2 ومسلم 141/16 والترمذي 1872 كلاهما في البر والصلة والدارمي 1683 وغيرهم.

الكبر رفعه الله عز وجل في الدنيا وأجلَّه عند الناس وجعل له عندهم مكانة ومنزلة ورفعه في الآخرة في الدرجات العلى وأعظم ثوابه وجزاءه.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " من يتواضع لله سبحانه درجة يرفعه

الله به درجة، ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله به درجة حتى يجعله في أسفل السافلين ".*

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها.**

هذا من كما تواضعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتنازله إلى درجة أصغر طبقة من الناس وهكذا كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع سائر الناس.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله

---

* رواه أحمد 76/3 وابن ماجة في الزهد 4176 وفي سنده دراج عن أبي هيثم وفي ذلك كلام لا يضر هنا.

** ذكره البخاري في الأدب من صحيحه معلقا مجزوماً به ووصله ابن ماجة في الزهد 4177 وفي سنده ابن جدعان وفيه ضعف معروف.

و سلم يعود المريض، ويُشيِّع الجنازة، ويُجيب دعوة المملوك، ويركبُ الحمار، وكان يوم قريظة والنضير على حمار، ويوم خيبر على حمار مخطوم بِرَسَنٍ من لِيفٍ، وتحته إكافٌ من ليف .*

قوله " برسن " بفتح الراء والسين هو الحبل الذي تقاد به الدابة وقوله "إكاف" بكسر الهمزة هي برذعة الحمار.

و تقدم لنا حديث إن الله أوحى إلي أن تواضعوا . الحديث وهو في صحيح مسلم وقال البخاري في الرقاق من صحيحه : " باب التواضع " فذكر فيه حديثين الأول عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كانت ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تُسمَّى العضباء وكانت لا تُسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا : سُبقت العضباء فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إنَّ حَقّاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه ".**

---

* رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجة في الزهد 4178 والحاكم وصححه وانظر فصل تواضعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الإحياء ج 2.

** رواه البخاري في الرقاق 125/14.

قوله " على قعود " بفتح القاف هو الذكر من الإبل الذي أمكن أن يركب.

ففي الحديث الشريف إشارة إلى التواضع وعدم التعاظم والتكبر والتفاخر وأنه لا حرج في تأخر الإنسان في شئون الدنيا وتقدم غيره عليه ولذلك لما استعظم الصحابة رضي الله تعالى عنهم سبق

الأعرابي عضباء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هَوَّنَ الأمْرَ عليهم بقوله " إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه " فكانت الناقة عند الصحابة عظيمة وأنها لا تسبق فلما سبقت ووضع الله رفعتها وأرجعها إلى أصلها وهو الذلة والتواضع كبر ذلك عليهم ثم ذكر البخاري رحمه الله تعالى حديثاً ثانيا وهو حديث الأولياء فروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إن الله تعالى قال " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ".*

---

* رواه البخاري في الرقاق من صحيحه 131/125/14 وهو من أفراده والكلام ==

هذا حديث عظيم يعرف بحديث الأولياء وإدخال البخاري إياه في باب التواضع ظاهر من حيث أن التقرب إلى الله تعالى بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتوكل عليه وإن قوله : " من عادى لي وليا " يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم، وموالاة جميع الأولياء لا تأتي إلا بغاية التواضع إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا

يؤبه له وبهذا يعرف شفوف البخاري رحمه الله تعالى ودقيق استنباطه.

أما معنى الحديث فالكلام عليه من وجوه ملخصة من فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

الوجه الأول في قوله " وليا " فالمراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته . وفي القرآن الكريم : " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وكَانُواْ يَتَّقُونَ " يونس 62-63، فكل من آمن بالله وبما جاء به رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واتقى الله فهو ولي لله والولاية لها مراتب كما يعلم في غير هذا الموضع.

الوجه الثاني معاداة الولي محاربة لله عز وجل ومن حاربه الله أهلكه وإذا ثبت ________________

== في سنده من فضول النقاد وأغلاطهم.

هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله . ولما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديقٌ، وصديق العدو عدوٌّ، فعدو ولي الله عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه، ومن حاربه فكأنما حارب الله تعالى.

الوجه الثالث إن أحب الأعمال إلى الله تعالى التقرب إليه بأداء الفرائض سواء كانت من فروض الأعيان أم من فروض الكفاية.

الوجه الرابع أن أداء الفرائض مع الدوام على التقرب إلى الله تعالى بالنوافل من صلاة وصدقة، وصيام، وحج . يوجب محبة الله تعالى عبده وتلك هي نهاية منى المؤمن لأن من أحبه الله عز وجل كان سعيداً يستحق كل خير ولذلك ذكر عقب محبته إياه ثمرات ذلك وهو الوجه الخامس وهو أن من أحبه الله أكرمه بمنح وعطايا لا تعطى لغيره وذلك بأن يكون الله سمعَه وبصرَه ويدَه ورجلَه وقد ذكر العلماء لمعنى هذه الكلمات أقوالاً وأظهرها عندي والله أعلم أن الله عز وجل يعطي عبده سمعاً يسمع به المسموعات الشاسعة ويعطيه قوة في بصره يبصر به غير المشاهدات للناس، ويمنحه قدرة في يده يأخذ بها ما شاء ويبطش بها ما أراد كما يعطيه في رجله قوة تفوق السيارات والقطارات والطائرات فيطوي له الأرض ويقطع المسافات البعيدة في خطوات لأن كل ذلك بالله تعالى وقدرته فلا يملك من ذلك قلامة ظفر ولا قطمير. والأقوال الأخرى محتملة، ولا يظنن القارئ أننا نومئ بما قلنا للحلول فمعاذ الله من ذلك فالعبد عبد وإن تعالى والرب رب وإن تنازل، فالله عز وجل مباين لخلقه منزه عن صفات المحدثات.

الوجه السادس يؤيد ما قلناه قوله " وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه " فإن هذا العبد المحبوب يصير عند الله تعالى في منزلة بحيث لا يرد سؤاله ولا استعاذته بل يقضي له كلما أراد فيكون في معنى الحديث الآخر وهو قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " إن من عباد الله مَنْ لو أقسم على الله لأبره ".*

فالله تعالى يعطيه وينفد له ما حلف عليه ولا يحنثه بحيث لو قال : والله لا ينتصر الكفار على المسلمين أو شيئا من هذا لأبر الله قسمه ولقضى له ما أقسم عليه بل هناك من عباد الله تعالى من ينفد الله لهم الشيء بمجرد جريانه ببالهم بحيث يتمنى أن لو حج هذه السنة فيهيئ الله له ذلك بدون كسب ولا تدبير. وهذا الإكرام وما في معناه كله يأتي ثمرات لكثرة الطاعات وأنواع القربات ومحبة الله

---

* رواه أحمد 284/167/128/3 والبخاري في التفسير 243/9 وفي الجهاد ومسلم في القسامة 162/11 وأبو داود 4595 والنسائي في القسامة وابن ماجة في الديات 2649 مطولا في قصة كسر الرّبيِّع عمةِ أنس ثنية جارية والقصة مشهورة.

عز وجل للعبد جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

الوجه السابع في معنى تردد الله عز وجل في قبض روح عبده المؤمن :

فالتردد في الشيء والبداء فيه بالنسبة لله تعالى مستحيل غير جائز وقد تضاربت أقاويل العلماء في معنى ذلك والذي نرتضيه هو قول من قال : إن الله عز وجل خاطبنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته قالوا : بل هو من جنس " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه المحبة، وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما،

ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد . فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد.

الوجه الثامن في قوله " يكره الموت وأنا أكره مساءته " الكراهة هنا لما يلقى المؤمنُ مِن صعوبة الموت وكربه وإلا فالموت طريق إلى لقاء الحبيب ورحمة الله تعالى ومغفرته بالنسبة للمؤمن الصالح.

الوجه التاسع قال بعض الأكابر يؤخذ من الحديث أن لا يحكم لإنسان آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله تعالى فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدّين مثلا . نعم قد ينتقم الله تعالى ممن يؤذي أولياءه إذا كانوا مجاذيب أصحاب أحوال أودعوا على من آذاهم كما هو مجرب معروف.

العبد التقي النقي الخفي محبوب لله

و من أفضل الناس

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : كان سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في إبلٍ له وغنمٍ فأتاه عمر إبنه فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب فلما انتهى إليه قال : يا أبت أرضيتَ أن تكون أعرابياً في إبلك وغنمك والناس بالمدينة يتنازعون في الملك قال : فضرب صدره بيده وقال : اسكت يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي ".*

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ممن اعتزل القتال الذي وقع بين الإمام علي عيه السلام وبين معاوية فابتنى دارا خارج المدينة وسكنها واعتزل الناس طلباً لسلامة دينه من الفتن فأتاه ولده عمر هذا وكان ممن خاض في فتن ذلك الوقت فعير والده باعتزاله فأخبره بسبب ما جعله يعتزل الناس وأنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخبر بأن فاعل مثل ذلك يحبه الله عز وجل : خصال ثلاث التقوى والغنى والخمول. فالتقوى هي ملاك الأمر ورأس مال

---

* رواه مسلم أوائل الزهد 100/18 وأحمد 168/1 والبغوي في شرح السنة 22/21/15.

المسلم والغنى والمراد به غنى النفس والقناعة كما يأتي في حديث ولكن الغنى غنى النفس رواه الشيخان ثم التفرد واعتزال الناس والخمول وعدم مشاركة العموم فيما هم فيه من الشرور. وفي ذلك سلامة المرء مما يخدش دينه وعرضه. فالمتصف بهذه الصفات محبوب لله تعالى له فضل على غيره وخاصة إذا كان صادق اللهجة سليم الصدر لا يضمر لأحد شراً كما في الحديث التالي :

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال : قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : أي الناس أفضل؟ قال : " كُلُّ مَخْمُوم القلب صدوق اللسان " قالوا : صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال : " هو التقي، النقي، لا إثمَ فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حسد ".*

قوله " مخموم القلب " هو السليم القلب الطاهر السريرة " التقي النقي " جملة صغيرة ومحيطها واسع ومتشعب فقل من يسلم من الاتصاف ببعض هذه الخصال إلا من حفته عناية الله تعالى وقليل ما هم، جنبنا الله عز وجل كل ما يوجب سخطه وغضبه، ووفقنا وهو الكريم الرحيم لكل ما فيه رضاه آمين.

---

* رواه ابن ماجة في الزهد 4216 قال الحافظ البوصيري : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

ذهاب الصالحيـــــن

عن المرداس الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يَذْهَبُ الصالحون الأولَ فالأولَ، ويَبْقَى حُثَالَةٌ كحثالة الشعير أو التمر، لا يُبَاليهم الله بالةً ".*

قوله " حثالة " بضم الحاء ثم ثاء وفي رواية : حفالة بالفاء بدل الثاء وهو الرديء من الشعير أو التمر وقوله " لا يباليهم الله بالة " أي لا يعبأ بهم.

الحديث يدل على أن الصالحين والأتقياء ينقرضون في كل زمان حتى لا يبقى إلا شرار الناس، وقد يكون الحديث مشيراً إلى ما حدث عبر

العصور حتى بلغ الحال إلى ما نحن فيه الآن حيث تغرب الدين وأهله وظهر الشر ومتعاطيه.

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا مشت أمتي المُطَيْطَاءَ، وخَدمها أبناءُ الملوك، أبناء فارس والروم سُلِّط شرارُها على خيارها ".**

---

* رواه أحمد 193/4 والبخاري في الرقاق 28/27/14 والدارمي 27/22.

** رواه الترمذي في الفتن 2090 من طريقين أحدهما سنده صحيح.

" المطيطاء " بفتح الطاءين بينهما ياء ساكنة هي مشية فيها تبختر وهي مشية المتكبرين.

ففي الحديث الإخبار منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتسلط الأشرار على الأخيار . والمراد بالأشرار الكفار والظلمة وأهل الجور وذلك يكون عند ظهور الترف والإسراف في التنعم، والإخلاد إلى الحياة، والتظاهر بالتعاظم والاتصاف بالتكبر كما وقع ذلك في تاريخ الإسلام فإنه عندما فتحت الأقطار والأقاليم والأمصار، وجلبت الأسارى واتخذ الناس العبيد والإماء، والخدم والخادمات من الأعاجم . أصبح كثير من الناس كالملوك في حياتهم ثم بغتهم الله عز وجل بتسلط شرار الخلق عليهم وعمهم بالفتن والمشاكل التي لا مخرج لهم منها إلا بالرجوع إلى دينهم جملة وتفصيلا وأنى لهم ذلك وقد

استحوذت عليهم المادة وأحاطت بهم من كل جانب وولوا وجهتهم لحضارة الكفار شر الأشرار.

فضل التمسك بالدين عند تغربـــه

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إنكم في زمان من ترك منكم عُشُرَ مَا أُمِرَ به هلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منهم بعُشُر ما أمر به نجا ".*

المراد بالعُشُر في الحديث كما قال العلماء : في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا التكاليف الشرعية، فإنه لا يجوز تركها بحال، وإنما كان الأولون هالكين إذا تركوا عشر دينهم لأن الدين في وقتهم كان قائما منصوراً وأهله متوافرين. أما الآخرون فوقتهم وقت كفر وظلم وضعف وتغرب وعموم المعاصي وانتشار الفساد بجميع أنواعه وأشكاله وقلة أنصار الدين . فلذلك كانوا ناجين لأنهم قاموا بما في وسعهم فهم كما في الحديث التالي :

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

---

* رواه الترمذي في الفتن أيضا 2095 والطبراني في الصغير 138/2 وأبو نعيم في الحلية 316/7 ورجاله ثقات غير نعيم بن حماد

الحافظ فتكلموا فيه لكن وثقه أحمد وابن معين والعجلي وروى له البخاري تعليقاً وكفى.

" يأتي على الناس زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر ".*

الحديث مطابق لحالتنا التي نعيشها اليوم، فإن التمسك بالدين فيه صعب جداً لا يطيقه أكثر من يدعي الإسلام، فمن تمسك بدينه اليوم فأحل حلاله وحرم حرامه، وقام بالتكاليف الشرعية حسب طاقته كان كأنه قابض على جمرة من النار لشدة الأمر وصعوبته وفي هذا يأتي أجر الواحد منهم كأجر خمسين صحابياً كما جاء في بعض الأحاديث.

---

* رواه الترمذي في الفتن 2088 وله شاهد عن أبي هريرة رواه أحمد 391/390/5 بسند حسن وشاهد ثان عن أبي ثعلبة الخشني رواه الترمذي في التفسير 2860.

لا يزداد الأمر إلا شـــــدة

عن الزبير بن عَدِي رحمه الله تعالى قال : أتينا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.*

فهذا علم من أعلام النبوة فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذا الحديث بأن الأمر سيشتد ويتوالى الشر بكثرة يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام حتى نلقى الله تعالى فالحديث نص في أن الأزمنة اللاحقة شر من السابقة وهو على إطلاقه فيه إشكال من حيث إن بعض الأزمنة قد تكون أخف شراً مما قبلها ويجاب بأن ذلك أغلبي ولا بد للناس من تنفيس كما وقع في بعض العصور وكما سيقع أيام المهدي وعيسى عليهما السلام.

و قوله " شر منه " المراد بالشر ذهاب العلماء وأهل الدين وظهور المعاصي وكثرة أهلها وانتشار الظلم والجور وعمومه المعمور كما هو الحال اليوم، وليس المراد بالشر القحط والجدب والأزمات الاقتصادية وظهور الفقر والمجاعات بل الأمر بالعكس فقد فتحت أبواب الدنيا وبسطت على أهلها وأغدق الله تعالى على العباد النعم والتوسع في الحياة.

---

* رواه البخاري في الفتن 127/126/16.

التوكـــل واليقيـــن

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لو أنكم تَوَكَّلْتُم على الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لرَزَقَكُم كما يَرْزقُ الطيرَ تَغْدُو خِماصاً وتَرُوحُ بِطاناً ".*

التوكل هو أن يفرد العبدُ الله تعالى بالاعتماد عليه في الرزق وغيره ولا يخطر بباله مداخلة الغير في شيء أصلا وقوله " تغدو . وتروح " أي تخرج أول النهار وتأتي آخره وقوله " خماصا " أي جياعا جمع خميص وقوله " بطانا " أي ممتلئة الأجواف جع بطين.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال : " إعقلها وتوكل ".**

قوله " أعقلها " أي أربط دابتي بالعقال.

---

* رواه أحمد 30/1 والترمذي في الزهد 2164 وابن ماجة كذلك 4016 وابن حبان 2548 والحاكم 318/4 وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

** رواه الترمذي في صفة القيامة 2335 بسند حسن وهو صحيح لشاهد له رواه ابن حبان 2549 عن عمرو بن أمية الضمري بسند صحيح.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب : هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ".* ويأتي مطولا.

فالتوكل على الله تعالى من أعظم مقام الإيمان واليقين ومعناه الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمور إليه في جميع شئون العبد فيعتمد عليه عز وجل في الإتيان بالرزق طوال الحياة، ويعتمد عليه في النصر على الأعداء، ويعتمد عليه في الشفاء من الأمراض، ويعتمد عليه في الحفظ من الآفات وطوارئ الحياة، ويعتمد عليه في غفران الذنوب والعفو عن السيآت، ويعتمد عليه في دخول الجنة والحفظ من النار وكل ذلك لا بد وأن يكون مع تعاطي الأسباب دون الاعتماد عليها.

فالأسباب لا تنافي التوكل ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لصاحب الناقة " أعقلها وتوكل " فأمره بربطها ثم يعتمد على الله تعالى في حفظها وهكذا الشأن في الطير تخرج غدوة جائعة وتنتشر هنا وهناك تطلب رزقها مع اعتمادها على الله تعالى نعم قد يكون أحيانا الاعتماد على الله مع ترك الأسباب كالسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب فإنهم تركوا التداوي ونزهوا

---

* رواه البخاري ومسلم ويأتي لاحقاً بيانه.

أنفسهم عن التطير واعتمدوا على الله تعالى فأباحهم الجنة فضلا منه بلا تقدم حساب ولا عتاب وقد جاء في القرآن الكريم الأمر بالتوكل على الله والحض عليه ومدح أهله كثيراً ويكفي في ذلك قوله تعالى : " ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " الطلاق 3.

المؤمن القـــوي والضعيـــف

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِص على ما يَنْفَعُك واستعِنْ بالله، ولا تَعْجِز، فإن غلبك أمرٌ فقل : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل، وإيَّاكَ واللَّوْ فإن اللو تفتحُ عَمَلَ الشيطانَ ".*

معناه أن المؤمن القوي أفضل من المؤمن الضعيف وذلك في إيمانه وعقيدته ومعرفته بربه، وفي أعماله الصالحة وطاعة مولاه، والصبر على مشاق الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وليس معناه القوي في شئون حياته كما يفسره من لا علم له بالشريعة ومع ذلك ففي كل منهما خير وأي خير لاشتراكهما معا في أصل الإيمان وهو أفضل الأعمال على الإطلاق فهو باب دخول الجنة والخلود فيها وقوله " احرص على ما ينفعك " الحرص على الشيء الرغبة فيه فالواجب على المؤمن أن يكون راغباً فيما ينفعه في دينه ودنياه ولا يضيع وقته وقوله " واستعن بالله " أي اطلب العون على ما تفعل من الله عز وجل فإنه نعم المعين فلا يقدر على خلق العون إلا هو وقوله " ولا تعجز " أي لا

---

* رواه أحمد 370/366/2 ومسلم في القدر 215/16 وابن ماجة 4168/79.

تكن من العاجزين والكسالى والمتماوتين وقوله " فإن غلبك أمر فقد قدر الله " الخ في هذه الجملة رد الأمور كلها إلى الله وأنه مقدر الأشياء وخالقها ومبدئها خيراً كان أم شراً فمن أصيب بشيء يسوءه ولا يلائمه فليرد ذلك إلى الله وليقل: هذا ما قدر الله تعالى وسبق به علمه ولا يسترسل مع نزغات الشيطان ووحيه ويقول : لو فعلت كذا لما كان كذا أو لكان كذا فإن الانسياق مع لو كان كذا . يؤدي إلى فعل الشيطان وطاعته ونسيان قضاء الله تعالى وقدره.

من الوصايـــا النبويـــة

عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرَفت منها العيون، ووجِلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ فما تعهد إلينا فقال : " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالةٌ ".*

في هذا الحديث فوائد :

أولا، في قوله " فوعظنا " الموعظة هي التذكير والنصح والموعظة البليغة أي الفصيحة المؤثرة التي سالت بسببها عيون الصحابة وخافت

منها قلوبهم وظنوا أنها موعظة منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونصح مودع يودعهم لفراقه عنهم فلذلك سألوه وصايتهم والعهد إليهم.

---

* رواه أحمد 127/126/4 وأبو داود في السنة 4607 والترمذي في العلم 2490 والدارمي 96 وابن ماجة 43 وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه.

ثانيا، قوله " أوصيكم بتقوى الله " بدأ بالوصية بتقوى الله لأن التقوى هي ملاك الأمور ورأس مال المسلم وهي وصية الله تعالى لكل الأنبياء والأمم كما قال تعالى : " ولَقَدْ وصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ " النساء 131، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر التقوى في القرآن الكريم كما قدمنا سابقاً ومن أعظم ما جاء في ثمراتها قوله تعالى : " ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " الطلاق 2-3، وبالجملة فالخير كله في الدنيا والآخرة للمتقين.

ثالثا، في قوله " والسمع والطاعة "الخ أمرهم بالسمع والطاعة للأمراء لما في ذلك للمصلحة العامة وحقن الدماء وجمع الكلمة وتوحيد الصف وتجب الطاعة والسمع للولاة وإن كانوا غير أكفاء بحيث لو تغلب حبشي أسود وجبت طاعته غير أن ذلك مشروط في طاعة الله ولا يطاعون في معصية الله تعالى وما دام الولاة يصلون

فإن كفروا وتظاهروا بذلك فلا سمع ولا طاعة ووجب على المسلمين القيام عليهم ومحاربتهم.

رابعا، قوله " فإنه من يعش منكم " الخ في هذا إخبار منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما سيقع ووقع في الأمة من الاختلافات في العقائد وفورع الشريعة حتى تفرقت الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها مخالفة لأصول الدين وفروعه إلا فرقة واحدة.

خامسا، في قوله " فعليكم بسنتي "الخ فأمر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عند وقوع الاختلاف باتباع سنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسنة خلفائه الأربعة الراشدين رضي الله تعالى عنهم ولزم من ذلك البحث عن سنته وتعلمها والحصول عليها والعناية والاهتمام بها، وكان ذلك هو الملجأ وفي ذلك السعادة في الدنيا والآخرة.

و سنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هي كل ما وصلنا من أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق ثابتة حسب القواعد التي أصلها العلماء رحمهم الله تعالى وسنته هي أصل قائم بنفسه كالقرآن الكريم كما أجمع عليه المسلمون.

أما سنة خلفائه فيجب العمل بها إن فقدت سنة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم نجد شيئا في الباب سواء كان ذلك من تسنين جميع الخلفاء أو تسنين بعضهم فالكل يعتبر تشريعاً بإذن من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الله عز وجل : " ومَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وحْيٌ يُوحَى " النجم 3-4، فيجب علينا معشر الأمة

أن نتمسك بسنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسنة خلفائه وأن نعض على ذلك بأضراسنا وأنيابنا لننجى من البدع والضلالات.

سادسا، في قوله " وإياكم ومحدثات الأمور "الخ أي المحدثات في أمور الدين وهي البدع التي لا يشهد لها أصل ولا قاعدة من قواعد الدين وقوله " وكل بدعة ضلالة " جاء في حديث جابر : " وكل ضلالة في النار " وهي عند النسائي.

و هذا عام مخصوص فإن البدع فيها ما هو محرم، ومكروه، وواجب، ومستحب، ومباح، كما قسمها العلماء رحمهم الله تعالى كما يعلم من قواعد العز ابن عبد السلام ومن فتح الباري وشرح النووي لمسلم قال النووي رحمه الله تعالى 154/6 من شرح مسلم : والمراد غالب البدع ثم ذكر تقسيمها فقال : إذا عرفت ما ذكرته على أن الحديث من العام المخصوص وكذا ما أشبهه من الأحاديث وهو معقول فإن هناك بدعاً كثيرة واجبة، ومباحة كجمع القرآن مثلا وتدوين السنة النبوية، وتأسيس العلوم الإسلامية ونحو ذلك ولم يقل أحد بأنها بدعة ضلالة .

و قد نص على هذا المعنى الشافعي، والبيهقي، والبغوي، والقرطبي، وابن العربي، والعز ابن عبد السلام، وابن الأثير، والعراقي، والحافظ وغيرهم كما ذكرت ذلك في غير هذا الموضع وقد ابتلينا في هذا الزمان بأقوام ليس لهم من التحقيق إلا هذه بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فضلوا وأضلوا وفقنا الله لطريقه القويم وجنبنا سبيل الضلال والزلل.

عن الحارث الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكرياء عليهما السلام بخمس كلمات أن يعملَ بها وأن يأمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يُبطِئَ بها فقال له عيسى عليه السلام إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتامر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمُرهم بها وإما أن آمرهم بها، فقال يحيى عليه السلام : أخشى إن سبقتني بها أن يُخْسف بي أو أُعَذَّبَ، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد بهم وقعدوا على الشرف فقال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأن آمركم أن تعملوا بهن،
أولاهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهَبٍ أو ورِقٍ، وقال : هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله تعالى أمركم بالصلاة، فإذا صليتُم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرةٌ فيها مسكٌ، وإن ريح فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عُنقَه فقال : أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل

رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : وأنا آمركم بخمس الله تعالى أمرني بهن : السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قِيدَ شِبْرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو في جهنم " فقال رجل : وإن صام وصلى يا رسول الله؟ قال : " وإن صام وصلى فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله تعالى ".*

قوله " كاد أن يبطئ " أي كأنه تأخر عن ذلك وقوله " ينصب " أي يقبل بوجهه تجاه عبده وهذا من أحاديث الصفات يمر كما جاء ولا ندري كيفيته وقوله " سراعا " أي مسرعين وقوله " فأحرز " أي حفظ وقوله " قيد شبر " بكسر القاف أي مقدار وقوله " ربقة الإسلام " أي عروته التي يتمسك بها.

---

* رواه أحمد 202/130/4 والترمذي في الأمثال 2674 وابن خزيمة 483 وابن حبان 1550/1222 والحاكم 118/117/1 وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم على شرطهما وروى النسائي بعضه في الكبرى 412/6.

هذا حديث عظيم فيه عشر وصايا خمس أخبر بها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن يحيى بن زكرياء عليهما السلام وخمس أمر بها أمته وكلها من الوصايا العظيمة في الإسلام.

فالخمس الأولى الأمر بعبادة الله تعالى وحده لأنه المستحق للعبادة دون سواه فمن أشركَ معه غيره فقد خاب وخسر، ثم أداء الصلاة لأن فيها مناجاة الله تعالى والاقتراب منه ثم الصيام وأن ريح فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ثم الصدقة التي تعتبر فدية لصاحبها من النار ثم ذكر الله عز وجل بكثرة من تلاوة وتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وغير ذلك فإن ذلك حصن حصين من مكايد الشيطان. فهذه الخمس هي التي أمر بها يحيى أن يبلغها بني إسرائيل ويعملوا بها وهي أمر لنا أيضاً لأن شريعتنا جاءت بالأمر بجميعها.

أما الخمس التي أمر بها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمته فهي السمع والطاعة للأمراء في المعروف وطاعة الله تعالى ثم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ثم الهجرة من بلاد أهل الحرب إلى بلاد إسلامي يقيم فيه دينه ثم لزوم جماعة المسلمين وهم أهل الحق، فهذه الخصال العشر هي أهم دعائم الدين وأصوله وقواعده والكلام في تفاصيلها يطول.

احذروا فتنة المرأة فإنها عظيــمة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مُسْتَخْلِفُكُم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أوَّلَ فِتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء".*

و عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما تَرَكْتُ بعدي فتنةً أضَرُّ على الرجالِ مِنَ النساءِ ".**

" حلوةٌ " أي تستحليها النفوس لنضارتها وبهجتها وزينتها وقوله " خضرة " بكسر الضاد أي تعجب الناظرين إليها ويحبونها كحبهم الخضرة قوله " مستخلفكم " أي جاعلكم سبحانه وتعالى تعمرونها وتخلفون فيها من سبقكم.

إن المرأة كلها فتنة صوتها الرخيم الرقيق ومحاسنها وجميع أطرافها وخاصة المثيرات منها كوجهها الجميل ونهديها وشعرها وفخذيها وذراعيها ومظهرها

---

* رواه أحمد 22/19/3 ومسلم في الرقاق 55/17 والترمذي في الزهد وابن ماجة 4000.

** رواه أحمد 210/200/5 والبخاري في النكاح ومسلم في الرقاق 54/17 والترمذي في الاستئذان 2590 وابن ماجة في الفتن 3991.

العام ولذلك كانت أعظم فتنة للرجل وأضر عليه وعلى دينه ولعظم فتنتها ومحل شهوتها للرجال جعلها الله تعالى في طليعة مشتهيات الدنيا فقال تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ " آل عمران 14.

فحياتنا كلها فتن. فتنة المال والغنى والرياسة، وفتنة الفقر والأزمات، وفتنة الأولاد، وفتنة الكفر والكفار، وفتنة المعاصي الكثيرة، وفتنة التفرق والاختلاف، وفتنة الحروب، وفتنة الظلم والظلمة، وفتنة الدجال وهو شر ما ينتظر .

و رغم كل هذه الفتن ففتنة المرأة أخطر شيء على الرجل بعد الكفر .

فهي أصل كل فتنة لا سيما بعدما طغت وأبانت عن وقاحتها وخرجت عن طبيعتها وتركت أنوثتها وأصبحت تشارك الرجل في جميع ميادين الحياة في الشارع في المدرسة في الجامعة في المحكمة في الدائرة في النادي في الرياضة في شواطئ البحار والأنهار في المسرح في الوزارة في البرلمان في السفارة الخارجية . متبرجة متفرنجة راقصة مغنية عارية أمام العالم . وجلبت على الرجل وخاصة المسلم الملتزم كل ويل وبلاء وكلفته ما لا طاقة له به حتى قال ناصح معاصر غيور رحمه الله تعالى :

نِساءٌ رِجالٌ كالعُراةِ تَعَانَقُوا :::::::: بأحْسَنِ أشكالٍ تُثيرُ الهَوَى قَهْرَا

فَلَوْ نَظَر العِنِّينُ فِيهِنَّ نَظْـرَةً ::::::: لَمَا احْتاجَ في تَقْوِيم قُوَّتِهِ أُخْـرى

و أتْقَى عِبَادِ اللهِ لَيْسَ بِمُمْكِنِ :::::::: هُنَالِكَ تَقْواهُ إذا لمْ يَكُنْ صَخْـرَا

فإن لَمْ يَكُنْ هذا زِنــاً فَإِنَّهُ :::::::: أخُوهُ سِوَى أنَّ الزنا فِعْلُهُ سِــرَّا

و مِن قُبَيْلِ هذا ما سَمِعْنا بأمة :::::::: قدْ اسْتَحْسَنَتْهُ هَكذا عَلَناً جَهْــرَا

فَنَحْمَدُ ربَّ العالَمينَ لِشَرْعِهِ :::::::: حِجَاباً عن الإسْلامِ قد حَجَبَ العَهْرَا

هذا الأخ الفاضل الغيور* قال هذا منذ أكثر من مائة سنة تقريباً في نساء مصر والشام ولبنان في بداية ظهور التفرنج وتحرير المرأة ولو عاش لوقتنا هذا من القرن الخامس عشر الهجري والقرن الحادي والعشرين المسيحي لرآى ما يستحيي منه الشيطان لا سيما بعد انتشار جهاز التلفاز فهنالك بعض الدول الغربية من يعيشون حياتهم الاجتماعية عراة وعرايا أما في الشواطئ والمسابح العامة وفي الأندية وفي المراقص ومواضع الفجور فاستوى في ذلك الغرب والشرق والكفار والمتمسلمون فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فالله المستعان على هذه المصيبة ولهذا لما شعر النبي صلى الله تعالى عليه وآله ــــــــــــــــــــ

* هو الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى حسان عصره في بيروت.

و سلم بهذا الخطر الفاتك وجعل إقبال المرأة وإدبارها في صفة الشيطان أرشد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من رآى امرأة فأعجبته أن يبادر فيأتي أهله ليخفف من فتنة ما أصابه :

فعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رآى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تَمْعَسُ مَنِيئَة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال : " إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه " وفي رواية : " إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه " وفي رواية : " فإذا رآى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها " وفي رواية : " كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جالسا فمرت به امرأة فأعجبته ."الخ.*

و عن أبي كبشة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جالساً في أصحابه فدخل ثم خرج وقد اغتسل فقلنا : ____________________

* رواه أحمد 395/341/330/3 ومسلم 177/9 وأبو داود 2151 والترمذي 1041 والنسائي في الكبرى 35/5 كلهم في النكاح.

يا رسول الله قد كان شيء قال : " أجل مرت بي فلانة فوقع في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي فأصبتها، فكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال".*

قوله " تَمْعَسُ " بفتح التاء والعين بينهما ميم ساكنة أي تدلك قوله " منيئة " بفتح الميم وكسر النون ثم همزة وآخرها تاء هو الجلد الذي يوضع في الدبغ وقوله " إن المرأة تقبل في صورة شيطان "الخ

شبهها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بصورة الشيطان لأن مظهرها وبروزها يدعوان إلى الشر والوسوسة، ويثيران الشهوة والفتنة والهوى وذلك لما جبل عليه الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بالنظر إليهن وما يتعلق بهن، فهي من هذه الناحية شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر وتزيينه له فكانت لذلك كأنها شيطان.

و يؤخذ من الحديثين أمور ستة :

أولا، الناس كلهم في الطبائع البشرية سواء حتى أكابر المقربين منهم فهذا نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يتأثر بجمال النساء ويعجبه حسنهن ——————————

* رواه أحمد 231/4 والطبراني في الأوسط 3275 بسند حسن وقال في المجمع 292/6 رجال أحمد ثقات.

و في الكتاب العزيز : " ولَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ " الأحزاب 52، لأن هذا من الأعراض البشرية الجائزة حتى على الأنبياء ولا تقدح في عصمتهم.

ثانيا، قد يترتب عن النظر إلى النساء فتنة لا يُطفئها إلا قضاء الشهوة الجنسية ولو كانت نظرة المفاجأة كما صدر من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ثالثا، فيهما إرشاد منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأمته إلى علاج إخماد الشهوة إذا ثارت بالنظر إلى محاسن النساء . وذلك بقضائها من الزوجة في القريب العاجل لئلا يترتب على ثورانها

ضرر في الجسم والقلب، فإن لم توجد زوجة فعلى المسلم أن يتصبر ويكثر الصيام أو يبحث عن الأدوية المادية التي تخفف من شهوته، وأن يتباعد كل البعد عما يثير شهوته والله المستعان.

رابعا، فيهما أن الزوجة يجب عليها إطاعة زوجها في قضاء شهوته ولو كانت في شغلها الشاغل .

خامسا، أخذ العلماء من الحديثين وغيرهما تقليل خروج المرأة وبروزها ومرورها بين الرجال إلا لضرورة ملحة خشية أن تفتن الرجال وعملا بقوله تعالى لسيدات الأتقياء : " وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ " الأحزاب 33، وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لسائر النساء : " وبيوتهن خير لهن " أي خير لهن من الخروج إلى الصلاة في المسجد فكيف بالخروج لغير ذلك.

و هذا قد أصبح اليوم في خبر كان لطغيان النساء وخروجهن عن تعاليم الإسلام الحقة وتجاوزهن الحدود التي أمرن بها أو نُهِنَّ عنها.

سادسا، ما جعله الله عز وجل من ميول الجنسين الذكر والأنثى بعضهما لبعض وتبادل الالتذاذ بينهما هو من الابتلاء الإلاهي الذي جعله تعالى علينا في هذه الدار وما أعظمه وأشقه على النفوس فإنه لا يصبر على ذلك ويجاهد نفسه عليه إلا أكابر الصالحين الذين أخلصهم الله عز وجل لنفسه وحفتهم عنايته تعالى فالله المستعان على هذه البلية.

من عبر صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام

ووصايا لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال : كانت أمثالا كلها : أيها المَلِك المُسلَّط المُبتَلَى المغرورُ : إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها وإن كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعاتٌ : فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث : تزود لمعاد، أو مَرَمَّةٍ لمعاش، أو لذةٍ في غير مُحَرَّم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلا على شأنه، وحافظا للسانه، ومن حسَبَ كلامَه من عمله قل كلامُه إلا فيما يعنيه.

قلت : يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟

قال : كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو يَنْصَب، عجبت لمن رآى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل. قلت : يا رسول الله أوصني، قال : أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله زدني، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنه نور لك في الأرض

ودُخْر لك في السماء، قلت : يا رسول الله زدني، قال : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه، قلت : يا رسول الله زدني، قال : عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي، قلت : يا رسول الله زدني، قال : أحب المساكين وجالسهم، قلت : يا رسول الله زدني، قال : انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك، قلت : يا رسول الله زدني، قال : قل الحق وإن كان مراً، قلت : يا رسول الله زدني، قال : لِيَرُدَّكَ عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، ويكفيك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك، وتجد عليهم فيما تأتي. ثم ضرب بيده على صدري فقال : يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن خلق".*

---

* الحديث بطوله رواه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر في تاريخ دمشق ج189/187/186/185/25 كما عزاه إليهم الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور في سورة "سبح" وذكر له ابن عساكر طرقاً وأصله عند أحمد 265/266/179/5 ==

قوله " الملك المسلط " هو بفتح اللام المشددة أي الذي سلط على الناس وابتلوا به " المغرور " أي المخدوع بما أوتي من الملك والسلطة وقوله " ظاعناً " أي مرتحلا وقوله " مرمة " بفتح الميمين

مع تشديد الثانية أي إصلاح ما به العيش وقوله " كانت عبراً " بكسر العين وفتح الباء أي عظات وتذكر.

هذا حديث عظيم فيه عظات وإرشادات ووصايا هامة وهو ينقسم إلى أقسام ثلاثة : ما في صحف إبراهيم عليه السلام من أمثال، وما صحف موسى عليه السلام من العبر، ووصايا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله تعالى عنه.

أما القسم الأول فيشتمل على خصلتين رئيستين أولاهما تذكير الظالم الجبار المغرور بنفسه وجاهه وسلطانه وأنه يجب عليه دفع الظلم عن العباد ورد دعوة المظلومين بتمكينهم من حقوقهم فإنهم إن دعوا على ظالمهم استجيب لهم وإن كانوا غير مسلمين فدعوة المظلوم مستجابة.

== والبزار وابن حبان 70/69/14 والحاكم 262/2 وغيرهم مختصراً وهو صحيح عند بعضهم على شرط مسلم.

ثانيتهما تنظيم الوقت فإن وقت العمر قصير والسفر طويل فتجب المحافظة على الوقت حسب الإمكان فالعاقل يجب عليه أن تكون أيام حياته ولياليها أربعة أقسام: قسم يجعله لله عز وجل وعبادته ومناجاته حسب الأوقات وقسم يحاسب فيها نفسه على ما فعل من خير وشر في يومه وليله، وقسم يجعله في التفكر في مخلوقات الله تعالى وآياته الكونية وقد يكون ذلك مع تلاوة القرآن الكريم، وقسم يخصه لنفسه

وحاجاتها من المطعم والمشرب ليستعين بذلك على عبادة الله تعالى وليحافظ على حياته وبقائها حتى يأتيه أجله المقدر له.

ثم إن العاقل الحازم لا يكون هدفه من هذه الحياة إلا أموراً ثلاثة : أولا التزود للدار الآخرة وهذا يكون في طليعة أهدافه لأنه هو المقصود والمطلوب من الإنسان في هذه الدار، ثانياً السعي في تحصيل ما به حياته من شئون العيش من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكح، ثالثا قضاء شهواته ومستلذاته التي أباحها الله تعالى له كما أنه ينبغي له أن يكون متيقظا غير مغفل عالما بزمانه وما يدور حوله وما يحاك للإسلام والمسلمين ومع ذلك فيجب عليه أن يكون مشتغلا بنفسه مقبلا على عبادة ربه حافظا جوارحه لا يشتغل بما لا يعنيه.

أما صحف موسى عليه السلام فكانت كلها عبراً ومواعظ ذكر منها خمسة أشياء يتعجب منها ويستعظم أمرها :

أولا كيف يصح للإنسان الفرح . وهو يعلم يقيناً أنه سيذوق حرارة الموت ويدفن تحت الأرض وتأكله الديدان ثم يصير رميماً .

ثانيا كيف يتسنى للمرئ الضحك وهو متيقن بوجود النار معدة لمن عصاه وفسق وفجر.

ثالثا يتعجب كثيراً لمن آمن بقدر الله وقضائه ثم هو يتعب نفسه ويقضي جل حياته في طلب الرزق والتدبير لذلك مع تلهف.

رابعا مما يتعجب منه أن الإنسان يرى بتجربته الدنيا وما يحصل فيها من التقلبات والأزمات وطوارئ الحياة على اختلافها ثم هو بعد ذلك يميل ويخلد إليها.

خامسا والعجب الأخير هو أنَّ كُلَّ واحد منا متيقن بيوم القيامة وحساب العباد على النقيبر والقطمير ثم يغفل ولا يستعد لذلك اليوم بالإيمان والتقرب إلى الله عز وجل بأنواع الطاعات والقربات.

أما وصايا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله تعالى عنه فتشمل ثمانية خصال :

أولا تقوى الله وأنها رأس الأمر كله ولذلك اهتم الله تعالى بها في القرآن الكريم فذكرها وأصحابها في عشرات السور كقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ولْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " الحشر 18، هذا في الأمر بها وقال : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ " الأحقاف 13-14، الآية، والكلام فيها طويل.

ثانيا تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإن من أحب شيئا أكثر من ذكره فتلاوة القرآن وذكر الله من علامات حب الله عز وجل لأن الاهتمام بالقرآن والعناية به وقراءته لا يكون إلا مع محبة الله تعالى ولذلك جاءت أحاديث نبوية تحمل بشارات رائقة لأهل القرآن كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ".*

و قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يقال لقارئ القرآن يوم القيامة : اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ".**

---

* هو في الصحيح.

** رواه أحمد 2/ 192 وأبو داود 1464 والترمذي 2722 وصححه.

و قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعا لأصحابه ".*

و غير ذلك مما جاء في فضله وفضل أهله وهكذا الحال في ذكر الله تعالى وقد ألف العلماء كتباً خاصة في فضائل القرآن والذكر فلتراجع وقد ذكرت طرفاً من مهمات ذلك في كتابي " أحب الأعمال إلى الله تعالى ".

ثالثا ذم كثرة الضحك لأن ذلك يؤدي إلى الغفلة ونسيان الآخرة وقساوة القلب ثم موته مع خسف الوجه وتغييره.

رابعا الحض على الجهاد في سبيل الله فهو من رهباينة الإسلام وأهم ما يتعبد به ويتقرب به إلى الله وقد جاء فيه وفي فضائله الكثير الطيب من آيات وأحاديث.

خامسا الأمر بحب المساكين والفقراء والجلوس معهم لأن ذلك من علامات التواضع والبعد عن التكبر وجبر قلوب ضعاف الناس وإدخال السرور عليهم وفي ذلك خير كبير وأجر جزيل.

سادسا النهي عن النظر إلى من فوق الإنسان في الدنيا وشئونها ممن أوتي غنى ___

* رواه مسلم في الصلاة رقم 804 مطولا.

و ثروة مثلا أو كان له جاه عريض أو رياسة ونحو ذلك فإن النظر إلى مثل ذلك يؤدي بالإنسان إلى استصغار ما أوتيه من نعم وآلاء وهي كثيرة جداً فالواجب عليه أن ينظر إلى من هو دونه في الدنيا ليعظم عنده ما أعطاه الله تعالى.

سابعا الأمر بالصدع بالحق والقول به وإن كان صعباً وفيه مرارة فإن تلك هي طريقة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وخلفاؤه من العلماء الربانيين والدعاة إلى الله تعالى.

ثامنا وهي مسك الختام أن يكون المسلم ناظراً إلى أخلاقه السيئة بدل نظره إليها في غيره لأنه من العار بمكان أن يعيب الإنسان غيره ويبغضه ويحتقره بما هو متصف به فلا ينبغي له أن يجد عليهم في قلبه بما يراه منهم مما هو متخلق به وفي هذا جاء : " يرى أحدكم القَذَى في عين أخيه ولا يرى الجِذْعَ في عينه ".* فحسب الإنسان من العيب أن يعرف من غيره من العيوب ما هو متخلق به وهو جاهل بذلك : " فطوبى لعبد شغله عيبه عن عيوب الناس ".**

---

* رواه ابن حبان في صحيحه 1848 وأبو نعيم في الحلية 99/4 وغيرهما وهو حديث ثابت.

** عزاه السخاوي في المقاصد الحسنة للديلمي عن أنس به مرفوعاً.

تاسعا بعد هذه الوصايا الرائقة النبوية ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بيده في صدر أبي ذر وزاده فوائد ثلاث :

أولا إن العاقل هو الذي لا يقدم على شيء حتى يتروى وينظر إلى العواقب لأنه ربما تسرع في فعل شيء بدون تفكير فوقع فيما لا تحمد عقباه.

ثانيا الورع الحقيقي هو الكف وترك كل ما فيه التباس واشتباه فضلا عما هو ظاهر الحظر.

ثالثا الحسب عند الناس هو المال والجاه والنسب . وفي الحقيقة أن الحسب هو معاملة الآخرين بالأخلاق الحسنة الطيبة وأهمها الرفق والليونة وإسداء الخير وتحمل الأذى والعفو عن جهل الجاهلين والله الموفق الهادي إلى أقوم طريق.

قصة الأقرع والأبرص والأعمى نموذج في شكر النعمة وكفرانها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قَذِرني الناس فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً قال : فأي المال أحب إليك؟ قال : الإبل أو قال : البقر . قال : فأعطى ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها، قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قَذِرني الناس قال : فمسحه عنه وأعطى شعراً حسناً قال : فأي المال أحب إليك قال : البقر فأعطى بقرة حاملاً فقال : بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك قال : أن يرد الله بصري فأبصر به الناس قال : فمسحه فرد الله إليه بصره قال : فأي المال أحب إليك قال : الغنم فأعطى شاة والداً فَأُنْتِجَ هذان وولّدا هذا قال : فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري فقال : الحقوق كثيرة، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال : وأتى الأقرع في صورته فقال له : مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال : وأتى الأعمى في

صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رُضي عنك وسُخِط على صاحبيك ".*

قوله " قذرني الناس " بكسر الذال أي اشمأزوا من رؤيتي وكرهوني وقوله " ناقة عشراء " بضم العين وفتح الشين مع المد هي الحامل التي مر عليها في حملها عشرة أشهر وهي من أنفس الأموال وقوله " شاة والداً " أي ذات ولد وقوله " فأنتج " بفتح الهمزة إذا كان للإنسان إبل حوامل تنتج ويصح أن يكون بضم ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في ذكر بني إسرائيل 314/312/7 ومسلم في الزهد 100/97/18 آخر الكتاب.

الهمزة وكسر التاء ومعناه تولي النتج والإنتاج والمشهور في اللغة هذا الثاني وقوله " وولد هذا " بتشديد اللام هو بمعنى الإنتاج وقوله " الحبال " بكسر الحاء المهملة بعدها باء موحدة جمع حبل أي الأسباب وقوله " أتبلغ به " أي أتوصل به إلى مرادي وقوله " لا أجهدك " هو بالجيم والهاء أي لا أشق عليك برد شيء تأخذه أو تطلبه من مال وفي رواية للبخاري : لا أحمدك من الحمد أي لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه أو تريده.

هؤلاء الثلاثة ابتلاهم الله عز وجل بحسن الخلق والبشرة والمال فكفر إثنان النعمة وشكر واحد فقضى سبحانه وتعالى على من كفر نعمته ولم يشكره بالسلب منها والرد إلى حالته الأولى أما من تذكر ما كان عليه من العمى والفقر وشكر نعمة الله تعالى عليه فرضي الله تعالى عليه وبارك له في ماله.

و في هذا الحديث من الفوائد :

وجوب شكر نعمة الله تعالى والتحدث بها وأن من شكرها زاده الله نعماً على نعم كما قال تعالى : " لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ " إبراهيم 7.

و فيه دليل على أن الشاكر من الناس قليل وفي القرآن الكريم : " وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " سبأ 13.

و فيه الحث على الرفق بالضعيف والمسكين وخاصة المسافر المنقطع.

و فيه جواز قول الرجل " أنا بالله ثم بك " وأنه ليس من الشرك بالله وجاء في الحديث الصحيح : " لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان ". رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه.

و فيه دليل على أن الملائكة قد يراهم آحاد الناس حتى العصاة منهم وفي ذلك أحاديث وقد ألف السيوطي رحمه الله تعالى : " تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك " مطبوع والله الهادي إلى أقوم طريق.

الاعتبار بالمعذبين الهالكيـــن

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : مررنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم " ثم زجر فأسرع حتى خلّفها. وفي رواية : " لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم ".*

الحجر بكسر وسكون الجيم المراد به هنا ديار ثمود قوم نبي الله صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ما زالت ديلرهم وآثارهم باقية ليومنا هذا وقد مر بها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم في طريقهم إلى تبوك وأمرهم أن يسرعوا فيها باكين خشية أن يصيبهم ما أصاب أولئك الملاعن.

و الحديث يدل على التباعد من ديار المغضوب عليهم وأن من دخل ديارهم ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في المساجد وفي المغازي وفي الأنبياء 190/7 وفي التفسير 452/9 ومسلم في الزهد 111/110/18.

ينبغي له أن يراقب الله تعالى ويتفكر في شأنهم ويبكي على نفسه أو يتباكى خوفاً من أن ينزل به ما نزل بهم من النقمة وغضب الله تعالى.

و قد أخذ العلماء من هذا الحديث عدم الدخول لمواقع غضب الله تعالى كالمحاكم الجائرة ودور اللهو والفساد وديار الكفار والظلمة إلا أن يكون الإنسان باكياً أو متباكياً بل ذكر الزمخشري في نفسيره تحريم الاستظلال من الشمس بظلال دور الظلمة وما قالوه وجيه لأن ديار الظلم والظلمة تنزل عليها لعنة الله تعالى كما أن المساجد ودور الصالحين والمؤمنين تتنزل عليها الرحمات فليعتبر المؤمن بهذا الحديث الشريف وبقوله تعالى : " وسَكَنتُمْ فِي مَسَـاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ " إبراهيم 45، جنبنا الله مواقع سخطه وغضبه آمين.

قصة الراهب والغلام وما فيها من العبر

عن صهيب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك : إني كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها

فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع به جليس للمِلِك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال : إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله تعالى فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له : من رد عليك بصرك قال : ربي قال : ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك؟ قال : كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفينهم بما شئت فانكفأت بهم

السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال : كفانيهم الله فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : وما هو؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : باسم رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس : آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فحفرت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيه فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق ".*

" ستبتلى " أي ستمتحن بالتعذيب، " الأكمه " الذي خلق أعمى، " الأبرص " من فيه داء البرص، " الأدواء " الأمراض جمع داء، " مفرق رأسه " أي وسطه، " ذروته " أي أعلاه وهو بكسر الذال وضمها، " فرجف بهم الجبل " اضطرب وتحرك حركة شديدة، " قرقور " بضم القافين هو الزورق والسفينة الصغيرة، " الأخدود " بضم الهمزة شق مستطيل في الأرض، " أضرم النيران " أي أوقدها، " اقتحم " أي ادخل، " فتقاعست " أي تأخرت.

---

* رواه أحمد 18/16/6 ومسلم آخر صحيحه 133/130/18 والترمذي 3117 بتهذيبي وغيرهم.

كان هناك طاغية بعد عيسى عليه السلام ادعى الربوبية وحمل الناس على اعتقاده فقيض الله عز وجل لإنقاذ الناس من عبوديتهم له غلاماً تعلم عند راهب خفية ودان لله عز وجل بالتوحيد وطاعته ولما فطن به امتحن في الله تعالى حتى استشهد لكنه خلف وراءه انقلاباً فكريا دينيا حيث آمن الناس كلهم بسبب قتله فأصدر ذلك الطاغية الأمر بتعذيب كل من أصر على دينه بإلقائهم في النار التي أعدها لهم وكان منهم ومن آخرهم تلك المرأة التي أرادت أن ترتد وترجع إلى دين الطاغية فأيدها الله تعالى بطفلها الرضيع فكلمها : يا أماه اصبري فإنك على الحق . فألقت نفسها في النار واستشهدت.

هذه هي غربة الدين وهذه حالة الغرباء في كل زمان حينما يستعلي الطغاة على أزمة الرياسة ويفشو الفساد ويتميع الناس وينسلخون من عقائدهم الحقة وأخلاقهم الكريمة ويصبحون عبيداً لشهواتهم فيسلط الله تعالى عليهم من يستعبدهم ويذلهم ويحملهم على ما يريد.

و في هذه القصة عبرة لنا وفيها من الفوائد ما يحملنا على مزيد من التفكر فيها والتذكر بما فيها.

ففيها ابتلاء أهل الإيمان والدين وتسلط الأعداء عليهم تمحيصاً لهم وهذه سنة إلاهية في خلقه كما قال تعالى : " ألم أحسب أَحَسِبَ النَّاسُ

أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لَا يُفْتَنُون، ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ " العنكبوت 1-2-3، وقال تعالى : " وكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ " آل عمران 146، وقال جل علاه : " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ ولَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ " البقرة 214.

و لا يخفى ما أصيب به رسولنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واصحابه الأولون من شدة البلاء حتى قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن نفسه : " لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ".

و في الحديث إثبات كرامات الأولياء ولا خلاف في ذلك بين أهل السنة.

و فيه كلام ذلك الطفل تأييداً لوالدته وهذا أحد الأطفال الذين تكلموا في المهد وثانيهم طفل جريج الراهب، وثالثهم شاهد يوسف عليه السلام ورابعهم ابن ماشطة بنت فرعون وخامسهم الرضيع الذي مر عليه بالغنى . والأمة المظلومة وكل هؤلاء جاءت بهم السنة الصحيحة وقد ذكرتهم وما جاء فيهم في غير هذا الموضع.

و في الحديث أيضا جواز تسليم المسلم نفسه للعدو ليقتله إذا كان في ذلك مصلحة عامة للإسلام والمسلمين وفيه غير ذلك مما هو ظاهر.

خلق الإنسان لا يتمـــالك

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لمَّا صوَّر الله آدم عليه السلام في الجنة تركه الله ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف انه خُلِق خَلْقاً لا يتمالك ".*

قوله " يطيف به " أي جعل يدور حوله وقوله " أجوف " الجوف هو الذي داخله خال وقوله " لا يتمالك " أي لا يملك نفسه عن الشهوات.

الحديث نص في أن سيدنا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام صور في الجنة فما سوى هذا من الأقوال التي ذكرها المفسرون وغيرهم زائفة وهو يدل على أن الشيطان كان في الجنة أيضاً والقرآن نص على ذلك حيث قال : " قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً " البقرة 38، على قول من جعل الشيطان داخلا في الخطاب.

و فيه أن الشيطان كان عالماً بأن الإنسان لا يملك نفسه عند الشهوات وقد صدق الله ذلك فالإنسان أسير نفسه وهواه وشهواته فلا يستطيع حبس نفسه ________________

* رواه أحمد ومسلم في البر والصلة 164/16.

عما تشتهيه إلا من حفته عناية الله كما أنه لا يقدر دفع وساوس الشيطان ونزغاته وما يوحيه إليه إلا مع المجاهدة الدائمة.

صنائع المعـــروف

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الفلاة صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ".*

هذه أنواع من القرب كلها تعتبر صدقة لصاحبها ويا لها من صنائع وأعمال المعروف والخير، فكل خصلة منها لها أهمية تستحق الاهتمام بها فالتبسم في وجه الأخ المسلم يدخل عليه السرور، والأمر بالخير والنهي عن الشر من الأعمال العظيمة في الإسلام، وإرشاد الضال في الفلاة طريق لنجاته من التلف، وإقادة الأعمى ومن في معناه لها شأن وثواب جزيل، أما تنقية السكك وممر الناس عما يؤذيهم من الأذى فمن موجبات الجنة كما ورد، وهي أدنى خصال الإيمان نعم وسقي الماء والمساعدة عليه من أجل القرب وأفضل الصدقات

---

* رواه البخاري في الأدب المفرد 891 والترمذي في البر والصلة 1802 بتهذيبي وابن حبان رقم 2076/864 والحديث صحيح لشواهده في الصحيح وغيره.

وفقنا الله تعالى للعمل بهذه الصنائع بصدق وإخلاص.

من موجبات غرف الجنـــــة

عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن في الجنة غرفاً ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها " فقام أعرابي فقال : لمن هي يا رسول الله؟ قال : " لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ".*

هذه بعض صفات غرف الجنة التي لا تتصورها العقول ولا تخطر لهم على بال كما سيأتي بعض صفاتها لاحقاً إن شاء الله.

و إنما هذه غرف خاصة أعدت لمن اتصف بهذه الخصال الأربع : مخاطبة الناس بالكلمة الطيبة والابتعاد عن صفات الأجلاف ذوي العنف والخشونة في الكلام ومساعدة المحتاجين وإطعام الجائعين، والمثابرة على الصيام وخاصة أيام الهواجر، ثم قيام الليل والتهجد لله تعالى والناس غافلون نائمون.

فمن أحرز على هذه الخصال وكانت سمة له أعطى هذه الغرف التي

---

* رواه الترمذي في البر 1828 وهو حديث صحيح له شواهد بعضها صحيحة على شرط البخاري ومسلم وانظر تهذيبي للترمذي 1828.

لم تر عين مثلها قط، ولا سمعتها أذن، ولا خطرت على قلب إنسان.

من ثمرات الإنفـــاق

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " بينا رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما إسمك؟ قال : فلان للإسم الذي سمع في السحابة فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن إسمي؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لإسمك فما تصنع فيها؟ قال : أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه ".*

" الحرة " هي أرض ذات حجارة سود، و" الشرجة " بفتح الشين وإسكان الراء هي مسائل الماء.

و في الحديث بيان ثمرات الإنفاق مما يخرج من الأرض وأن الله عز وجل قد يكرم الفلاح الصادق المنفق مما تخرجه مزرعته بآيات وخوارق فهذا الرجل الذي كان ينفق ثلث ما يخرجه حرثه قد أكرمه الله بمفرده بإمطار حديقته دون غيره وأن

---

* رواه أحمد ومسلم في الزهد 114/18.

السحاب المعصرة أمرت من قبل الله عز وجل أن تذهب فتمطر مزرعته وفي هذا فضل عظيم للفلاحين المؤدين حقوق الله وحقوق

عباده مما تخرجه أرضوهم. واستدلوا بالحديث على ثبوت كرامات الأولياء فإن سقي مزرعة رجل واحد بأمر من الله كرامة عظيمة.

فضل القيام بالأرامل والمساكيـــن

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله " وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر.*

" الساعي " هو الكاسب لهم والقائم بنفقاتهم و" الأرملة " بفتح الميم من لا زوج لها سواء كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها مأخوذة من الإرمال وهو الفقر يقال أرمل الرجل إذا فني زاده وافتقر.

الحديث دل على فضل عظيم للقيام بشئون الأرامل والمساكين فقلما عمل يوازيه ولم يرد هذا الفضل إلا في أعمال قلائل كالجهاد في سبيل الله مثلا، فالقيام للصلاة بلا فتور، والصيام بدون فطور لا يطيقه أحد فهذا جزاء الساعي على من لا زوج لها . وعلى الضعيف المحتاج فيا بشرى من وفقه الله تعالى لهذا العمل الجليل ويا سعادته إن لقي الله تعالى مؤمناً.

---

* رواه البخاري في النفقات 426/11 وفي الأدب 44/13 والترمذي في البر 1814 والنسائي وابن ماجة.

الإجهار بالمعاصي وخطورة ذلك

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " كل أمَّتِي معافاةٌ إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعملَ العبدُ عملا ثم يُصبح قد ستره ربه فيقول : يا فلان قد عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات يَسْتُره ربُّه فيبيتُ يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ".*

الواجب على من ابتلاه الله بمعصية فأتاها في خفية عن الناس وغياب عن الأبصار أن يستر نفسه ويستغفر ربه فإن ذلك أقرب إلى رحمة الله تعالى ومغفرته ولا يجوز له أن يحدث الناس بذلك فإن هذا ليس من أخلاق ذوي المروءة بل هو من أخلاق السقطاء والأراذل وصاحب هذا الخلق بعيد من عفو الله ومغفرته كما دل عليه الحديث الشريف : كل أمتي معافاة إلا المهاجرين وقد جاء في حديث آخر عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من ابتلي منكم بهذه القاذورات فليستتر "** أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

---

* رواه البخاري في الأدب 13 ومسلم في الزهد 119/18.

** رواه مالك في الحدود من الموطأ 1604 بالزرقاني والشافعي في الأم 145/6 والبيهقي في الكبرى 330/326/8 وهو مرسل عندهم من طريق مالك وأخرجه الحاكم وغيره موصولا ==

فمن ستره الله في الدنيا ستره في الآخرة كما جاء في الحديث التالي.

== من رواية ابن عمرو صححه على شرطهما كما صححه ابن السكن وإمام الحرمين وغيرهم وجاء في بعض رواياته : من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله وفي لفظ : اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله.

من ستره الله في الدنيا ستره في الآخرة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا يَسْتُرُ اللهُ على عبدٍ في الدنيا إلا ستره اللهُ يوم القيامة ".*

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى يحتمل وجهين : أحدهما أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتهما في أهل الموقف. والثاني ترك محاسبته

عليها وترك ذكرها قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر : يقرره بذنوبه يقول : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.**

---

* رواه مسلم في البر والصلة 143/16.

** جاء هذا في حديث النجوى وسيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

من فضل صلة الرحـــم

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه ".*

قوله " ينسأ " أي يؤخر والأثر الأجل وبسط الرزق توسيعه وكثرته والبركة فيه.

صلة الرحم من واجبات الإسلام جاءت في شأنها أحاديث مشهورة تحض عليها بل جاء في الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يدخل الجنة قاطع رحم ".**

و قد استشكل العلماء رحمهم الله الزيادة في الرزق والأجل بصلة الرحم مع الإجماع على أن الأرزاق والآجال مقدرة محدودة لا تزيد ولا تنقص قال تعالى : " فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولاَ يَسْتَقْدِمُونَ " النحل 61، في آيات وأحاديث تدل على ذلك.

* رواه البخاري في الأدب من صحيحه ومسلم في البر 114/16.

** رواه مسلم في البر 114/16 والمراد بعدم دخوله الجنة إما مع السابقين وإما إذا استحل ذلك.

و أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة : قال النووي رحمه الله تعالى : الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك. والثاني أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زِيدَ لَهُ أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى : " يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ " الرعد 39، فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره لا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث انتهى من شرح النووي على مسلم وهو تحقيق رائع رافع للإشكال والله تعالى أعلم.

الحب في الله عز وجـــــل

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ".*

قوله " المتحابون بجلالي " أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا وقوله " يوم لا ظل إلا ظلي " معناه أنهم سيظللون تحت العرش من حر الشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق ويكونون في كنف الله عز وجل وستره مكرمين مبعدين من المكاره.

و في هذا فَضْلٌ عظيم للمتحابين في الدنيا في الله تعالى كتحاببهم في الإيمان والأعمال الصالحة وفي تعلم القرآن وتعليمه وتعلم العلوم النافعة وتحاببهم في الاجتماع على ذكر الله تعالى وعبادته وتحاببهم في الدعوة إلى الله والسعي في المصالح العامة للإسلام والمسلمين وقد جاء عن نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن الله عز وجل يحبهم.

فعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى أنه قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى

---

* رواه مالك في الموطأ رقم 1840 مع الزرقاني ومسلم في البر والصلة 123/16.

شابٌّ براق الثنايا وإذا بالناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه وصدروا عن قوله فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرتُ فوجدتُّه قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي قال : فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت : والله إني لأحبك لله فقال : آ لِله فقلت : آ لِله فقال: آ لِله فقلت : آ لِله فقال : آ

لِله فقلت : آ لِله قال : فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال : أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : قال الله تبارك وتعالى : " وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ ".*

و في هذا الحديث بشارة عظيمة للتحابب في الله مطلقاً سواء كان ذلك في تبادل الزيارة أو التجالس أو المساعدة بالمال . أو غير ذلك وأن المتصفين بذلك محبوبون لله عز وجل ومن أحبه الله كان من المفلحين السعداء ويزيد هذا وضوحا الحديث التالي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً

---

* رواه مالك رقم 1843 والحاكم وصححه على شرطهما وقال ابن عبد البر هذا إسناد صحيح.

فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال : فإني رسول الله إليك بأن اله قد أحبك كما أحببته فيه ".*

" فأرصد " أي جعله يرصده. " على مدرجته " أي طريقه. " تربها " أي تقوم بإصلاحها.

فالتزاور في الله من موجبات محبة الله تعالى عبده ومن أحبه الله عز وجل حببه لعباده المؤمنين كما في الحديث التالي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال : إني أحب فلاناً فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال : ثم يوضع له القبول في الأرض " ثم ذكر في البغض مثل ذلك.**

---

* رواه مسلم في البر والصلة 124/16.

** رواه البخاري في التوحيد ومسلم في البر 184/16.

و هذه نهاية السعادة في الدنيا فمن أحرز على ذلك فقد رضي الله تعالى عليه فلا يسخط عليه بعده أبداً وإن عمل ما عمل غير الشرك بالله وهو في أمن منه بإذن الله ورحمته.

المرء مع من أحـــب

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فقام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الصلاة فلما قضى صلاته قال : " أين السائل عن قيام الساعة؟ " قال الرجل : أنا يا رسول الله قال : " ما أعددت لها؟ " قال : يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم إلا أني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم : " المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت ".* قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " فإنك مع من أحببت " قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.*

و أقول وأنا العبد المذنب الفقير إلى الله تعالى فإني أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجميع أنبياء الله ورسله وملائكته صلوات الله وسلامه عليهم جميعا وأحب جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان من الصالحين والأبرار كما أحب بعد الأنبياء والملائكة زوجات نبينا ________________

* رواه البخاري في الفضائل 49/8 ومسلم في البر 185/16 وباقي الجماعة.

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الطاهرات وأبناءَهُ وبناته سيدات السيدات والخلفاء الأربعة الراشدين وباقي العشرة الربانيين وكما أحب جميع العباد والزهاد والعلماء الربانيين من هذه الأمة فأرجو الله تعالى بمحبتي لهم وإيماني أن أكون معهم يوم القيامة في جميع مشاهدها حتى ندخل الجنة مع السابقين منهم فإنه تعالى جواد كريم رءوف رحيم فلا يخيب عبده ولا يخلف وعده.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله كيف ترى في

رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " المرء مع من أحب".* ومثله عن صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه.**

قوله " ولما يلحق بهم " يعني لم يعمل بأعمالهم ولم يصل إلى مقاماتهم في الفضل والصلاح وهو يدل على أن للمحبة في الله لشأنا حيث إنها لتلحق صاحبها بالأكابر.

---

* رواه مسلم في البر 188/16.

** رواه الترمذي في الزهد 2205 وكذا أحمد 240/4 والنسائي 71/1 وابن خزيمة 196 وغيرهم بسند صحيح على شرط مسلم عند بعضهم.

غفران الذنوب يومي الإثنين والخميـــس

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا ".*

و في رواية : " تعرض الأعمال في كل يوم خميس وإثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأً كانت

بينه وبين أخيه شحناء فيقال : اتركوا أو أركوا هذين حتى يصطلحا " وفي رواية " حتى يفيئا ".**

و قوله " أركوا " أي أخروا وقوله " حتى يفيئا " أي يرجعا وقوله " شحناء " أي بغضاء وقوله " تفتح أبواب الجنة " ذلك علامة على كثرة الصفح ونزول الرحمات وإعطاء الثواب الجزيل.

و في الحديث فضل يوم الإثنين والخميس وأن لهما هذه المزية من فتح أبواب ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه مسلم في البر والصلة 123/122/16.

** هي عند مسلم أيضاً 123/16.

الجنان وغفران ذنوب عباد الله المؤمنين جميعهم إلا المتهاجرين المتعاديين لغير موجب شرعي فإنهما يؤخران حتى يصطلحا. ولفضل هذين اليومين ولما فيهما من عرض الأعمال على الله عرضا خاصاً كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصومهما وقال : " إن الأعمال تعرض على الله فيهما فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم ".*

ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 329/2 والترمذي 659 وابن ماجة 1740 وله طرق وشواهد هو بها صحيح.

الحذر من فتنة الدنـــــيا

عن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هو صالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين رآهم وقال : " أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء؟ " قالوا : أجل يا رسول الله قال : " فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم " وفي رواية : " فتهلككم كما أهلكتهم ".*

قوله " فتنافسوها " الأولى بحذف إحدى التاءين فأصلها فتتنافسوها .

بشر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصحابه بالخير وأطمعهم بما يدخل ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 19/14 ومسلم في الزهد 95/18 والترمذي في صفة القيامة 2283 وابن ماجة 3997 وكذا أحمد 137/4.

عليهم الفرح والسرور إما عاجلا أو آجلا ثم حلف لهم بأنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يخاف عليهم نزول الفقر وضيق العيش بهم وإنما يخاف عليهم البسط في الدنيا والتوسع فيها وانتشار المال وكثرة الثراء والغنى فيقع التحاسد والتقاطع والتقاتل بسبب التنافس في الدنيا فيصبح الناس من الهالكين كما حَصل للأمم قبلنا.

و ما خشيه علينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد نزل بالأمة منذ القرون الأولى فأحرى العصور الأخيرة وذلك من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

و الحديث يدل على أن جانب الفقر أسلم من الغنى لأن مضرة الفقر دون مضرة الغنى بمراحل لأن مضرة الفقر دنيوية غالبا بخلاف مضرة الغنى فإنها دينية لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى فقد يجر الإنسان إلى هلاك دينه بخلاف الفقر فالإنسان في أمن منه واستدلوا بالحديث على أن الفقر أفضل من الغنى وفي ذلك نزاع طويل، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض " قيل : وما بركات الأرض؟ قال : " زهرة الدنيا " فقال رجل : هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى ظننت أنه ينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال : " أين السائل؟ " قال : أنا قال أبو سعيد : لقد حمدناه حين طلع لذلك قال : " لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خضرة حلوة، وإن كل ما أنبت الربيعُ يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ، إلا آكلة الخضرة

أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس اجترت وثَلَطَتْ وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة، من أخذه بحقه، ووضعه في حقه فنِعْمَ المَعُونَةُ هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ".*

قوله " زهرة الدنيا " المراد بها زينتها وبهجتها وما ينتفع به الناس من أنواع المتاع والعين والثياب والزروع والمكاسب وغير ذلك مما يفتخر به الناس.

و قوله " هل يأتي الخير بالشر " سأله عن ذلك لأن ما يخرجه الله من بركات الأرض خير ونعمة من الله تعالى فكيف يخاف من ذلك فأجاب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الخير لا يأتي إلا بالخير ولكنه قد يعرض للخير الشر أحياناً ولذلك ضرب له المثل الآتي.

و قوله " إن هذا المال خَضِرة حُلْوة " خَضِرة بكسر الضاد وحلوة بضم الحاء ومعناه أن صورة الدنيا وما فيها من زينة ومتاع . حسنة مونقة قد زينت للناس ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 21/20/14.

فالكل يستحسنها ويعجب بمظهرها كما قال تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " آل عمران 14، وقال تعالى : " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " الكهف 46، وقال تعالى : " إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا" الكهف 7، فالدنيا

وما فيها محبوبة للنفوس حلوة ولكن باطنها سم قاتل وقوله " حبطا " بفتحتين هو انتفاخ البطن من كثرة الأكل وقوله " اجترت " أي أخرجت ما أدخلته في كرشها من العلف . فأعادت مضغه وقوله " وثلطت " أي ألقت ما في بطنها رقيقاً.

ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هنا مثلا للمفرط في جمع الدنيا المانع من أداء حقوقها الهالك بالآكلة من الأنعام التي تأكل حتى تنتفخ فتموت . ومثلا للمقتصد في الدنيا وجمعها والانتفاع بها واداء ما وجب عليه فيها بآكلة الكلأ حتى إذا شبعت استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ثم تحيلت في دفع ذلك بأن اجترت فيزداد ما في بطنها نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمى بها فيسهل خروجه فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً قاله الحافظ ببعض تصرف.

و نقل الحافظ عن الطيي رحمهما الله تعالى قال : يؤخذ منه أي الحديث أربعة أصناف : فمن أكل منه أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تنتفخ أضلاعه ولا يقلع فيسرع إليه الهلاك ومن أكل كذلك لكنه أخذ في الاحتيال لدفع الداء بعد أن استحكم فغلبه فأهلكه ومن أكل كذلك لكنه بادر إلى إزالة ما يضره وتحيل في دفعه حتى انهضم فيسلم. ومن أكل غير مفرط ولا منهمك وإنما اقتصر على ما يسد جوعته ويمسك رمقه.

فالأول مثال الكافر، والثاني مثال العاصي الغافل عن الإقلاع والتوبة إلا عند فوتها، والثالث مثال المخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة،

والرابع مثال الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة. وقوله " من أخذه بحقه ووضعه في حقه " الخ يدل على أن المال ذو حدين ففيه خير وشر فمن قام بحق الله تعالى فيه كان عونا له على الآخرة طريقاً له إلى السعادة وهذا كما جاء في حديث : " نعم المال الصالح للرجل الصالح ".*

---

* قاله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعمرو بن العاص رواه أحمد 202/4 والبخاري في الأدب المفرد 299 بسند صحيح.

و من ضيع حق الله تعالى فيه وصرفه في شهواته المحرمة كان طريقاً له إلى الهلاك والوبال كالذي يأكل ولا يشبع.

و لذلك قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : مثل المال مثل الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها العارف الذي يحترز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة، وإن أصابها الغبي فقد لقي البلاء المهلك.

و في الحديث فوائد انظر بعضها في الفتح من كتاب الرقائق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها 24/23/14.

ما يتقى من فتنة المال وقوله الله تعالى :

" إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ "التغابن 15

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " تَعِسَ عبدُ الدينار والدرهم، والقطيفة والخميصة، إن أُعْطِي رَضِي، وإن لم يُعطَ لم يرض ".*

" تعس " بكسر العين وفتحها أي هلك والتعاسة الشر والبعد ومنه قوله تعالى : " فَتَعْساً لَّهُمْ " محمد 8، أي بعداً لهم. قوله " القطيفة " الثوب الذي له خمل. و" الخميصة " الكساء المربع وجاء في رواية : " تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " و" انتكس " معناه عاوده السقوط وقوله " وإذا شيك الخ " أي إذا أصيب بشوكة لم يجد من يخرجها بالمنقاش.

جعل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الراغب في الدنيا الحريص على جمعها عبداً لها ولمتاعها لأن أصل العبادة هي التذلل والخضوع فمن تفانى في محبة شيء وتذلل له كأنما عبده فالحريص على الدنيا المتهافت عليها هالك خاسر تَعِسٌ

---

* رواه البخاري في الجهاد وفي الرقاق 29/14 وابن ماجة 4136.

و من سماته أنه إذا أعطى ما تمناه رضي وفرح وبطر وإذا لم يقدر له ما آمله سخط وضجر وكفر فالدنيا جعلت للإنسان فتنة وقد جاء في حديث لكعب بن عياض رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال ".*

---

* رواه الترمذي في الزهد 2156 وأحمد 160/4 وابن حبان 2470 والحاكم 318/4 وصححه ووافقه الذهبي.

لا يشبع ابن آدم من المـــال

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب ".*

قوله " من مال " في رواية ابن الزبير وأنس : من ذهب وقوله " لابتغى " أي لطلب وقوله " ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب " هو كناية فكأنه قال : لا يشبع من الدنيا حتى يموت وهذا موافق لقوله تعالى : " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ " التكاثر 1-2، فلا يزال الناس يتفاخرون في الإكثار من الدنيا حتى يموتوا، وقوله " ويتوب الله على من تاب " معناه أن الله عز وجل يقبل توبة الحريص على المال وجمعه وكان هذا قرآنا يتلى ثم نسخ لفظه وبقي معناه.

و في الحديث ذم الحرص والشره على الدنيا والتهافت عليها والسعي خلفها وحب الاستمتاع بها ونسيان حقوقها والغفلة عن الآخرة ولذلك آثر أكثر السلف من الصحابة فمن بعدهم التقلل من الدنيا والقناعة والرضا بالكفاف واليسير منها.

---

* رواه البخاري 30/14 في الرقاق ومسلم في الزكاة 139/7 ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن ابن الزبير في البخاري 32/14 وانظر تهذيبي للترمذي 2157 من كتاب الزهد.

ذم الإكثار من الدنيا لمن لا يجود بها

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : انتهيت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو في ظل الكعبة وهو يقول : " هم الأخسرون ورب الكعبة، هم الأخسرون ورب الكعبة، الكثرون أموالا إلا من قال : هكذا وهكذا وهكذا " وفي رواية : " إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال : هكذا وهكذا . عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم ".*

الحديث يدل على أن الأثرياء وذوي الأموال الطائلة خاسرون هالكون إلا من أدى حق الله في ماله وتوسع في الإنفاق في وجوه الخير وهؤلاء نادرون في الأغنياء.

---

* رواه أحمد 158/152/5 والبخاري في الأيمان والنذور ومسلم 76/75/7 والترمذي 549 والنسائي 8/5 كلهم في الزكاة والرواية الثانية عند البخاري في الرقاق 39/38/14.

الاستخلاف في الدنـــيا

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء".*

قوله " مستخلفكم " أي جعلكم تخلفون من قبلكم فيها.

إن مظاهر الدنيا بهجة حلوة كالخضرة تحبها النفوس وتميل إليها بالطبع وقد جعلها الله تعالى فتنة للإنسان وجعله يخلف غيره فيها ليظهر ماذا يعمل أيشكر الله تعالى فيطيعه فيما أعطاه أم يكفره فيخالف ما استخلف فيه.

و الحديث يدل على أن استخلافنا في هذه الدنيا إنما هو امتحان لنا فيها ولذلك حذرنا من فتنتها وفتنة النساء وما أعظمهما من فتنة أما فتنة الدنيا فتقدم الكلام عليها ويأتي مزيد لذلك وأما فتنة النساء فهي شديدة وعظيمة بل هي أخطر فتنة على الرجل وأضرها عليه فقد قال صلى الله تعالى علسيه وآله وسلم : " ما تركت بعدي فتنة أضر على

الرجال من النساء " وقد تقدم. وقد عنون البخاري

---

* رواه أحمد 84/22/19/3 ومسلم 54/17 والترمذي في الفتن 2021 ضمن حديث مطولا.

في صحيحه بحديث الباب وبقوله تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء والْبَنِينَ .الخ " الآية آل عمران 14، قال ابن التين بدأ في الآية بالنساء لأنهن أشد الأشياء فتنة للرجال قال : ومعنى تزيينها إعجاب الرجل بها وطواعيته لها .

فإعجاب الرجل بالمرأة ولا سيما الحسناء الفاتنة شيء طبيعي فيه وكذا العكس لا يستطيع أحد الصبر عن الميل إليها والالتذاذ بالنظر إليها وإلى محاسنها والاستماع إلى كلامها الرقيق الرخيم إلا من جاهد نفسه وحفظه الله تعالى.

قال البخاري رحمه الله تعالى عقب هذه الآية : قال عمر رضي الله تعالى عنه : " اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا " إلى آخره.*

قال الحافظ : وفي هذا الأثر إشارة إلى أن فاعل التزيين المذكور في الآية هو الله تعالى وأن تزيين ذلك بمعنى تحسينه في قلوب بني آدم وأنهم جبلوا على ذلك لكن منهم من استمر على ما طبع عليه من ذلك وانهمك فيه وهو المذموم، ومنهم من راعى فيه الأمر والنهي ووقف عند ما حد له من ذلك وذلك بمجاهدة نفسه بتوفيق الله تعالى فهذا لم

يتناوله الذم، ومنهم من ارتقى عن ذلك فزهد فيه بعد أن قدر عليه وأعرض عنه مع إقباله عليه وتمكنه منه فهذا هو المقام المحمود .

---

* ذكره في الرقائق 35/14.

مال الإنسان هو ما قدمه لآخرته

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أيكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟ " قالوا : يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه. قال : " فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر ".*

في الحديث الحث والتحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في الحياة قبل حلول الموت فإن ما أنفقه المسلم في حياته لوجه الله هو ماله الذي ينتفع به في الآخرة أما ما خلفه بعده فهو لوارثه وقد ينتفع بثواب كسبه بعد موته إن شاء الله.

---

* رواه البخاري في الرقائق 36/14.

فضل الكفاف والقناعـــة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله تعالى ".*

و عن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع ".**

في الحديثين فضل الكفاف والقناعة وأن من رزق ذلك مع الإيمان والهداية كان من أهل الجنة المفلحين.

لأن سعادة المرء في الدنيا هو أن يكون مسلماً موفقاً له ما يكفيه وليس له شيء زائد يطغيه.

و عن عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه أنه انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقول : " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ " قال : " يقول ابن آدم : مالي

---

* رواه أحمد 173/168/2 ومسلم في الزكاة 145/7 والترمذي في الزهد 2169.

** رواه أحمد 19/6 والترمذي 2170 وابن حبان 2541 والحاكم 35/34/1 وصححه الترمذي والحاكم والذهبي.

مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيتَ، أو أكلت فأفنيتَ، أو لبست فأبليتَ ".*

هذا هو ابن آدم فهو دائما في هذه الحياة ينسب إلى نفسه ماله الذي هو في الحقيقة إعارة عنده لا يملك منه شيئا وإنما جعله الله عز وجل في يده حيناً من الدهر وليس له منه إلا ما تمتع به في مرافق حياته وضرورياته كالأكل والشرب واللباس . وكل ذلك يصبح في خبر كان وإنما الذي ينتفع به في مآله وآخرته هو ما قدمه من صدقة وإنفاق في سبل الخير وما خلفه وراءه أخذه ورثته واقتسموه بينهم .

و عن عثمان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: " ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيتٍ يسكنُه، وثوب يواري عورته، وجِلْف الخبر والماء ".**

---

* رواه أحمد 26/25/4 ومسلم في الزهد رقم 2958 والترمذي فيه 2162 وفي التفسير 3136.

** رواه أحمد 62/1 والترمذي في الزهد 2161 والحاكم 312/4 وصححه الترمذي والحاكم والعراقي في المغني.

" جلف " بكسر الجيم يعني ليس معه إدام وقوله " يواري " أي يغطي. والحديث يدل على أنه لا حق للإنسان ولا حاجة له إلى اكتساب غير الأمور الضرورية التي بها قوام بنيته وهي السكن، وما تدعو إليه الضرورة من الملابس والمآكل وما سوى ذلك فهو من الفضول المباح نسأل الله عز وجل أن يعاملنا بمحض فضله ورحمته.

و عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسك شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى ".*

" إن تبذل الفضل " أي تعطي الشيء الزائد على الحاجة، قوله " ولا تلام على كفاف " أي لا لوم عليك على تحصيل ما يكفيك عن الناس من القوت.

و في الحديث الحض على إنفاق ما زاد على الحاجة وأن ذلك خير للإنسان في آخرته ولا لوم عليه في تحصيل ما يكفيه وادخاره والاستمتاع به أما إمساك الفاضل فقد يكون شراً للإنسان لأنه يضيع ويفنى ولا ينتفع به في عقباه.

---

* رواه أحمد 262/5 ومسلم في الزكاة 126/7 والترمذي في الزهد 2163.

و عن عبيد الله بن مِحْصن الخِطْمي وكانت له صحبة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من أصبح منكم آمنا في سِرْبه، مُعَافى في جَسَدِهِ، عنده قُوتُ يومِهِ، فكأنما حِيزتْ له الدنيا ".*

قوله " في سربه " بكسر السين وسكون الراء أي في نفسه أو في أهله وعياله وبفتح السين أي في مسلكه وطريقه وبفتحتين أي في بيته وكلها مرادة فمن أحرز على هذه الخصال فكأنما ملك الدنيا كلها.

و هي أن يصبح في أمن وأمان في نفسه وأهله وعياله وطريقه وبيته وأن يكون جسمه معافى ليتسنى له التحرك لقضاء مآربه وعبادة ربه وأن يكون له ما يكفيه في يومه من القوت. فهذه نعم عظيمة لا يلقي لها أكثر الناس بالا ولا يعيرونها أي اهتمام .

و في الحديث التزهيد في التوسع في الدنيا والترغيب في التقلل مما يشغل الإنسان عن مهامه الأخروية وفقنا الله تعالى لطاعته ومرضاته.

---

* رواه الحميدي في مسنده 439 والبخاري في الأدب المفرد 300 والترمذي في الزهد 2166 وابن ماجة 4141 وله شاهد عن أبي الدرداء رواه ابن حبان 2503 هو به حسن.

فضل الفقر والفقراء وبيان

الغنى الحقيقـــي

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين ".*

ظاهره يدل على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يحب أن يكون مسكيناً في جميع مراحل حياته الدنيوية والأخروية حيث دعا أن يحيى مسكيناً وأن يموت مسكينا وأن يحشر يوم القيامة مع المساكين

وقد كانت حياته كذلك فإنه كان مقلا من الدنيا زاهداً فيها بعيداً عن أهل الثرى قريباً من الفقراء كثير الجلوس معهم محباً لهم وهكذا توفي فلم يخلف بعده لا ديناراً ولا درهماً ولا دوراً ولا قصوراً بل توفي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ودرعه مرهونة في آصع من الشعير نفقة لأهله والعقار التي كان غنمها تركها صدقة . وهذا لا يعارض ما جاء عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من التعوذ من الفقر لأن تعوذه كان من شر الفقر الذي يصدر عنه التضجر والتسخط وغير ذلك من شروره مع التشريع لأمته في التعبد بذلك.

---

* في سنده الحارث بن النعمان وهو ضعيف لكنه حسن لشواهده منها عن أبي سعيد رواه ابن ماجة 4126 وآخر عن عبادة رواه الطبراني .

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم " وفي رواية " وهو خمسمائة عام ".*

في هذا فضل الفقر والفقراء فإن للسابقين دخول الجنة فضلا على متأخريهم لأن حسابهم خفيف بخلاف الأغنياء فإنهم يأتون مثقلين فيطول حسابهم ونقاشهم من أين اكتسبت وأين أنفقت؟

و لا ينجو منهم إلا القليل ولذلك كان أكثر سكان الجنة الفقراء كما في الحديث التالي : فعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه عن

النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ".** ويأتي الكلام على السر في كثرة نساء أهل النار لاحقاً.

---

* رواه أحمد 513/2 والترمذي 2174 وابن ماجة 4122 وسنده صحيح وحسنه الترمذي وصححه.

** رواه البخاري في الرقاق 57/14 ومسلم 54/53/17 فيه والترمذي في الزهد 2422 ونحوه عن ابن عباس رووه الثلاثة أيضاً.

غير أن هذا لا يوجب فضل الفقير على الغني كما قال العماء وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء، والذي أدخلهم الجنة هو صلاحهم وسبب ذلك هو فقرهم وابتعادهم عن طغيان الغنى وآثاره السيئة فكان الفقر لذلك أفضل من الغنى ويدل لفضل الفقر الحديث التالي :

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : مر رجل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال لرجل عنده جالس : " ما رأيك في هذا؟ " فقال : رجل من أشراف الناس هذا والله حري إن خطب أن يُنكح، وإن شفَع أن يُشفَّع قال : فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما رأيك في هذ؟ " فقال : يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا يُنكَّح، وإن شفع أن لا

يُشقَّع، وإن قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " هذا خير من مليء الأرض مثل هذا ".*

فظاهر هذا الحديث أن الفقير أفضل من الغني وقد اختلفت أقاويل العلماء في ذلك فرجح بعضهم الفقر وهو قول أكثر الصوفية والزهاد والنساك لما فيه من ــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 55/54/14.

السلامة ورجح آخرون الغنى ولكل دليل اعتمد عليه وخلاصة ذلك ما نقله الحافظ عن بعض المتأخرين فيما وجد بخط أبي عبد الله بن مرزوق : كلام الناس في أصل المسألة مختلف فمنهم من فضل الفقر ومنهم من فضل الغنى، ومنهم من فضل الكفاف قال : وهو أي الحالتين أفضل عند الله تعالى للعبد حتى يتكسب ذلك ويتخلق به هل التقلل من المال أفضل ليتفرغ قلبه من الشواغل وينال لذة المناجاة ولا ينهمك في الاكتساب ليستريح من طول الحساب؟ أم التشاغل باكتساب المال أفضل ليستكثر به في التقرب بالبر والصلة والصدقة لما في ذلك من النفع المتعدي؟ قال : وإذا كان الأمر كذلك فالأفضل ما اختاره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجمهور أصحابه من التقلل في الدنيا والبعد عن زهرتها .

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس ".*

" العرض " بفتحتين كل ما ينتفع به من المتاع.

الحديث ظاهر في أن الغنى الحقيقي ليس بكثرة المال فإن كثيراً ممن وسع الله ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 50/49/14 ومسلم فيه 1051 والترمذي 2191 وابن ماجة 4137 كلاهما في الزهد.

تعالى عليهم في الدنيا لا يشبعون ولا يقنعون بما عندهم ولو كانت قناطير مقنطرة فهم أغنياء الأيدي فقراء القلوب ولذلك لفت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأنظار إلى أن الغنى الحقيقي هو القناعة بما قدر الله تعالى للإنسان والرضا به وعدم الالتفات إلى كثرة الثرى وأن تكون النفس مطمئنة بما آتاها الله عز وجل غنية بذلك وإن كان قليلا.

أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن عمر رضي الله تعالى عنه في حديث اعتزال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نساءه في غرفة فذكر الحديث بطوله . وقال أعني عمر فرفعت رأسي فما رأيت في البيت إلا أهبة ثلاثة فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدونه فاستوى جالساً فقال : " أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم

في الحياة الدنيا " وفي رواية : " يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا " قلت : بلى.*

الحديث يدل على ان التوسع في التمتع بالحياة والطيبات من الرزق ليس من صفات أكابر المؤمنين بل الاسترسال في ذلك والانهماك في تناول المشتهيات من صفات الكفار فإن الله عز وجل جعل الدنيا جنات لهم يتمتعون بها ويأكلون منها كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ولذلك أنكر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على سيدنا عمر سؤاله الله أن يوسع على أمته وذكره بقوله هل لا زلت في شك

---

* رواه أحمد 34/1 والبخاري في العلم والنكاح وفي التفسير 283/10 ومسلم في الطلاق 94/82/10 والترمذي في تفسير التحريم 3100 مطولا.

مما نحن عليه وما ندعو إليه ولم تتيقن حقارة الدنيا وهوانها على الله عز وجل ولذلك زاده تثبيتاً بقوله : " ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا " فأجابه بقوله بلى. وبناء على ذلك فلا يجوز التنافس مع الكفار على الدنيا طلباً للتمتع بها والانشغال بها عما يقرب للآخرة، نعم من المفروض أن نحصل الدنيا لنستعين بها على ديننا والاستعداد بها لمقاومة أعدائنا الذين يحاربوننا في نشر ديننا والدعوة إليه.

لا عيش إلا عيش الآخـــرة

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالخندق وهو يحفر ونحن ننقل التراب وبَصُر بنا فقال :

" اللهُمَّ لاَ عَيْشَ إلا عَيْشُ الآخرة :::::::: فاغْفِر للأنصارِ والمُهَاجِرَة ".*

و نحوه عن أنس وقال فيه : " فأكرم الأنصار والمهاجرة ".**

الحديث موافق لقوله تعالى : " وإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" العنكبوت 64، أي لهي الحياة الحقيقية وغيرها باطل بل لا مناسبة بين الدنيا ومتاعها وبين الآخرة ونعيمها ولذلك أكثر الله عز وجل من التزهيد في الدنيا وذم الانشغال بها وحض على العمل للآخرة والتزود لها وأخبر في غير ما آية أنها خير للمتقين كما قال تعالى : " والْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ " الزخرف 35، وقال: " ولَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ " النحل 30،

---

* رواه البخاري في الرقاق 6/5/14 وغيره ومسلم في غزوة الحزاب 172/12 والترمذي 3224.

** رواه الثلاثة أيضا.

و قال : " والدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ " الأعراف 169، والآيات في هذا كثيرة.

ففي حديثي الباب تحقير لعيش الدنيا لما يطرأ عليه من المنغصات والأكدار وسرعة فنائه كما فيه الترغيب في الآخرة والعمل لها.

مثل الدنيا في الآخـــرة

عن المستورد بن شداد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مِثْلُ ما يجعل أحدُكم أصْبُعَه هذه وأشار يحيي بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع ".*

قال النووي رحمه الله تعالى ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر . فالدنيا بالنسبة للآخرة شيء ضئيل جداً قال تعالى: " قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى " النساء 77، ولذلك عقب البخاري رحمه الله تعالى ترجمته بهذا الحديث بقوله تعالى : " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَةٌ وتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ والْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ومَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَانٌ ومَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ " الحديد 20، فقد صور الله عز وجل في هذه الآية الكريمة الدنيا وحالة أهلها معها وأتى بمثال رائع لسرعة زوالها واضمحلالها وأنها ما هي إلا متاع الخداع ينخدع ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه مسلم في فناء الدنيا 192/17 والترمذي وغيرهما.

بمظاهرها وبهجتها عشاقها.

و عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزَّحه وملحه قد علم إلى ما يصير ".*

و هذا مثل آخر ضرب للدنيا في خستها وزوالها فهي كالطعام الذي يؤكل لذيذا ثم بعد سويعات ينقلب عذرة قذرة منتنة.

و عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : جاء قوم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : " ألكم طعام؟ " قالوا : نعم قال : " فتصفونه " قالوا : نعم قال : " وتبزرونه " قالوا : نعم قال : " فإن معادهما كمعاد الدنيا يقوم أحدكم إلى خلف بيته فيمسك على أنفه من نتنه".** قوله " تبزرونه " أي تجعلون فيه الأبازير.

---

* رواه عبد الله بن أحمد في زوائد أبيه 136/5 وابن حبان 2489 بسند صحيح. قزحه أي جعل فيه التوابل والأبازير وقوله " ملحه " بفتحات أي ألقى فيه الملح.

** أورده النور في المجمع 288/10 بزوائد الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح.

حقارة الدنيا وهوانها على الله تعـــالى

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مر بالسوق فمر بجدي أسَك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : " أيكم يحب أن هذا له بدرهم " فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال : " أتحبون أنه لكم "؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيباً لأنه أسك فكيف وهو ميت فقال : " والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم ".*

قوله " أسَكٌّ " أي صغير الأذنين.

و عن المستورد بن شداد رضي الله تعالى عنه قال : كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها " قالوا : من هوانها ألقوها يا رسول الله قال : " الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها ".** " السخلة " بفتح السين ولد المعز.

---

* رواه أحمد 365/3 ومسلم 93/18 في الزهد وورد عن جماعة.

** رواه أحمد 229/4 من طرق والترمذي 2141 وابن ماجة 4111 كلاهما في الزهد أيضاً.

و الحديثان يدلان على أن الدنيا عند الله عز وجل أهون وأحقر من الجدي الميت المنتن على أهله ولذلك متع بها الكفار والجبابرة والطغاة وجعلها جنة لهم وحمي منها أحباءه من الأنبياء وأتباعهم وبغضها إليهم ولم يأخذوا منها إلا الكفاية.

و عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو كانت الدنيا تَعدِلُ عند الله جناح بعوضةٍ ما سَقَى كافراً منها شرْبة ماء ".*

و هذا نهاية ما يكون من الدناء والخسة. فالحياة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة كيف تكون لها قيمة، فلو كان لها قيمة جناح بعوضة لما متع بها الكفرة والملاحدة ولو بجرعة ماء.

فلخستها عند الله تعالى وهوانها عليه متع بها من كفر به وتجبر وطغى وجعلهم مفتونين بها يحسبون لها ألف حساب ليس لهم هدف إلا خدمتها والسعي وراءها ولله تعالى في خلقه شئون فمن وجد خيراً فليحمد الله.

---

* رواه الترمذي 2140 وابن ماجة 4110 كلاهما في الزهد وحسنه الترمذي وصححه. والعبوضة هي صغار البق كما في النهاية لابن الأثير.

نبذ من عيش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

و عيش أصحابـــه

إن أشرف العصور العصر الذي كان يعيش فيه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأفضل الأيام أيام نزول الوحي عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث كان جبريل عليه السلام يتردد بين الله وبين هذا النبي العظيم ولذلك كان القرن الأول من الهجرة يعتبر أزهى القرون وأجلها ثم يأتي القرن الثاني والذي يليه وما قاربه.

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه ".* وفي رواية : ثم يخلف قوم يحبون السمانة.*

و مثله عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وفيه زيادة : ويخونون ولا ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 378/1 والبخاري في الفضائل 8/8 وفي الشهادات 189/6 ومسلم في الفضائل 85/84/16 والترمذي في المناقب 3627.

يؤتمنون، ويَنذُرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ.*

فهذه العصور الثلاثة هي أشرف أيام هذه الأمة على الإطلاق لوجود النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في القرن الأول منها ثم أصحابه بعده ثم عصر من صحب الصحابة أو قارب ذلك ثم بعد هذه العصور تغير المجتمع الإسلامي تغيراً عاماً فأقبل الناس على الدنياو التكالب عليها والرغبة فيها والانهماك في التمتع بها وظهرت فيهم الخيانة وقلت الأمانة وتهاونوا بالفرائض والتكاليف الشرعية.

و إذا رجعنا إلى القرون الأولى وجدنا فيها من الزهاد والعباد والربانيين المقبلين على الله تعالى العاملين للآخرة الشيء الكثير.

و كان في طليعتهم رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وآله وزوجاته وأصحابه البررة رضي الله تعالى عنهم.

و كان رسولنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المثال الأسنى والقدوة العليا في التخلي عن الدنيا والتقلل منها والزهد فيها وكان يقول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

---

* رواه البخاري في المناقب 7/5/8 ومسلم في الفضائل 87/86/16 والترمذي في الشهادات 2125 وفي الفتن 2052 بتهذيبي.

" اللهم اجعلْ رزق آلِ محمد قُوتاً ".*

و كان يبيت الليالي المتوالية طاوياً.

كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : " كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير ".**

و قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال : " ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ".***

---

* رواه أحمد 232/2 والبخاري في الرقاق 73/14 ومسلم 105/18 والترمذي 2181 وابن ماجة 4139 ثلاثتهم في الزهد والقوت هو قدر الحاجة مما لا فضول فيه أو نقص.

** رواه الترمذي في الزهد وابن ماجة في الأطعمة 3347 وأحمد 373/355/1 وحسنه الترمذي وصححه وقوله طاوياً أي جائعاً لا يجدون ما يتعشون به من الطعام.

*** رواه أحمد 441/1 والترمذي 2195 وابن ماجة 4109 وحسنه الترمذي وصححه والوطاء الفراش الوطيء.

سيد الأولين والآخرين وأكرم ولد آدم على الله من السابقين واللاحقين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينام على حصير ليس فوقه وطاء ولا فراش حتى أثر في جنبه الشريف ويجعل الوطاء من الدنيا التي هو

منزه عن الاستمتاع بها ويخبر أصحابه بأن مثله كالمسافر الذي ظل تحت شجرة يستريح بها حتى إذا أدبر النهار ارتحل عنها وتركها.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو على سرير مضطجع مرمل بشريط، وتحت رأسه وسادة من أدَمٍ حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه ودخل عمر فانحرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انحرافة فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبا، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فبكى عمر فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما يبكيك يا عمر؟ " فقال : والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كسرى وقيصر وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة " فقال

عمر : بلى قال : " فإنه كذلك " وفي رواية : فقلت : يا رسول الله استغفر لي.*

و قالت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها وقد دخل عليها مسروق فقدمت له طعاماً ما أشبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قال : لم؟ قالت : أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم.** وفي

رواية : ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من خبز شعير يومين متتتابعين حتى قبض.***

و قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأهله ثلاثا تباعا من خبز البر حتى فارق الحياة.****

فهذا عيش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهذه حياته المتواضعة ________________

* رواه بهذا السياق عن أنس أحمد 140/139/3 وقد سبق عن ابن عباس عن عمر في الصحيحين بنحوه.

** رواه الترمذي 2176 بهذا اللفظ ورواه مسلم في الزهد 108/18 وقال زيتا بدل لحم.

*** رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

**** رواه البخاري في الأطعمة,,,, ومسلم 109/108/18 والترمذي 2178 بتهذيبي كلاهما في الزهد.

و هكذا كان أصابه رضي الله تعالى عنهم معه.

فعن محمد بن سرين رحمه الله تعالى قال : كنا عند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وعليه ثوبان ممشقان فَمَخَّط في أحدهما ثم قال : بخ بخ يتمخط أبو هريرة في الكتان : لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحجرة عائشة من الجوع

مغشيا علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون، وما بي جنون، وما هو إلا الجوعُ.*

" ممشقان " أي مصبوغان بالمشق وهي المغرة.

و عن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، وهم أصحاب الصفة، حتى تقول الأعراب : هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انصرف إليهم فقال : " لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة " قال فضالة : أنا يومئذ مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.**

---

* رواه البخاري والترمذي في الجامع 2186 وفي الشمائل 129.

** رواه الترمذي 2187 وابن حبان 2538 مع الموارد وحسنه الترمذي وصححه. ==

و عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلَة وهذا السَّمُر حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة.* الحبلة بضم الحاء وسكون الباء والسمر بفتح السين وضم الميم من أشجار بادية الحجاز.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : خرج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال : ما جاء بك؟ فقال : خرجت ألقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنظر في وجهه والتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر فقال : ما جاء بك يا عمر؟ قال : الجوع يا رسول الله قال : وأنا قد وجدت بعض ذلك وذكر الحديث في ذهابهم إلى دار أبي الهيثم وأكلهم عنده وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " هذا

== الخصاصة الحاجة. الصفة بضم الصاد وفتح الفاء المشددة موضع بالمسجد النبوي كان ينزله فقراء الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* رواه أحمد 186/181/174/1 والبخاري في الرقاق 68/14 وغيره ومسلم 101/100/18 في الزهد وأهل السنن.

و الذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظِلٌّ باردٌ، ورُطَبٌ طيبٌ، وماء بارد ".*

فهذا عيش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهذا عيش أصحابه الذين هم أفضل الأمة بعده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يجدون ما يسدون به رمقهم ويبيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

جائعاً هو ونساؤه رضي الله تعالى عنهن جائعين لا يجدون عشاء ويسقط الصحابة في صفوف الصلاة من شدة الجوع.

فهل لنا أن نقتدي بهم ونتبع آثارهم في العزوف عن الدنيا والتقلل منها والزهد في سرابها والإقبال على الآخرة والرغبة فيها أم نتأسى بهم فيما يوافق أهواء نفوسنا؟ أفلا نستحيي من الله عز وجل أن نخالفهم في هيدهم ونسلك سبيل المترفين ونزعم التسلف فالفقير منا يجد ما يقتات به أياماً بل شهوراً، وله من الملابس ذوات العدد والأصناف، ومن الفرش والأغطية ما لم يره الأقدمون، فكيف بالطبقة المتوسطة، بل كيف بالأغنياء والمترفين.

جاء عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما وسأله رجل فقال : ________________

* رواه مسلم والترمذي 2188 وفي الشمائل 134 وهو عنده مطولاً.

ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال : ألك امرأة تأوي إليها؟ قال : نعم، قال : ألك مسكن تسكنه؟ قال : نعم، قال : فأنت من الأغنياء. قال : فإن لي خادماً قال : فأنت من الملوك.*

فمن كان له مسكن وزوجة وخادم يعتبر من الملوك عند هذا الصحابي فماذا يقول فينا لو عاش لعصرنا؟ نسأل الله تعالى العفو والمغفرة آمين.

و من مظاهر الخصاصة للصحابة ما وقع لهم يوم أحد مع مصعب بن عمير فعن أبي وائل رحمه الله تعالى قال : عدنا خباباً رضي الله

تعالى عنه فقال : هاجرنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نريد وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله تعالى فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عُمَير قتل يوم أحد وترك نمرة فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسه فأمرنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه من الإذخر ومنا من أنيعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها.**

قوله " نمرة " بفتح النون وكسر الميم إزار من صوف أو نحو ذلك

---

* رواه مسلم في الزهد 110/18.

** رواه البخاري في الرقاق 56/55/14.

و قوله" أينعت " أي استحقت القطف والجني وقوله " يهدبها " أي يجنيها ويقطفها.

يريد خباب رضي الله تعالى عنه أن الصحابة الذين تأخروا حتى فتحت الأمصار قد أخذوا حظاً من رغد العيش والتوسع في الحياة.

المؤمن في الدنيا مسجون وغريب

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ".*

الدنيا مأخوذة من الدنو وهو القرب فهي أقرب من الآخرة أو من الدناءة والخسة والسقوط لما يحدث فيها من الكفر والشرب والفسوق والفجور .

كانت الدنيا سجن المؤمن لأن التكاليف الشرعية والأوامر والنواهي تحد من حريته الطبيعية فكان باعتبار دائرة الحلال والحرام كالمسجون وسط هذه الدائرة لا حرية له كاملة وهذا بخلاف الكافر فإن حبله على غاربه يرتع في الملذات والشهوات دون قيود ولا حدود فكانت الدنيا جنة له ويوشك أن يخرج من هذه الجنة فيصير إلى سجن القبر ثم السجن المؤبد سجن النار والجحيم الذي تتضاءل دونه كل السجون أما المؤمن فسيقضي سجنه القصير المحدد في هذه الدار ثم يخرج إلى فضاء فسيح ونعيم خالد وسعادة دائمة.

---

* رواه أحمد 485/389/323/2 ومسلم 93/18 والترمذي 2144 وابن ماجة 4113 كلهم في الزهد.

و عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمنكبي فقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ". وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.*

قال النووي رحمه الله تعالى : معنى الحديث لا تركن إلا الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه.

و قال غيره : هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة.

و كلام ابن عمر منتزع من حديث ابن عباس عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ".**

---

* رواه البخاري أول الرقاق 9/8/14 والترمذي 2153 وابن ماجة 4114.

** رواه الحاكم 306/4 وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي ورواه ابن المبارك في الزهد والخطيب في اقتضاء العلم العمل مرسلا بسند حسن وقد تقدم الكلام على الحديث.

و هي نصيحة غالية عظيمة ينبغي للمؤمن العاقل ملاحظتها والعمل بها فإنها متضمنة لنهاية قصر الأمل واغتنام الوقت والمحافظة على العمر.

خاتمـــــة :

و لنختم الكلام على الدنيا بكلام هام رائع للإمام الغزالي رحمه الله تعالى قال في ربع المهلكات من الإحياء وهو يتكلم على الدنيا وأصناف الناس فيها :

اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ أوسع الأماكن وألينها واوفقها لمراده، وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة، ونغمات طيورها الطيبة، وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسب زبرجدها وعجائب صورها، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً حرجاً فاستقر فيه، وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقاً، وصار ثقيلا عليه ووبالا، فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكاناً لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار، واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع

ذلك خائف على نفسه من السباع، وغير خال من السقطات والنكسات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه، وغصن يجرح بدنه، وشوكة تدخل في رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته، ويمنعه عن الانصراف لواراده، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلا بما معه، ولم يجد في المركب موضعاً، فبقي في الشط حتى مات جوعاً، وبعضهم لم يبلغه النداء وصارت السفينة فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيفة المنتنة. وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيماً مدبراً ومن رجع قريبا ما فاته سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً فهذا مثل أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم وعن عاقبة أمورهم وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو

في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل

و قد تكلم الناس كثيراً على الدنيا وغرورها وخداعها وفتنتها وجعلوها العدو الثالث للإنسان كالشيطان والنفس فهذه الثلاث هي القواطع للمرء المردية له.

المـــــوت

كان من المفروض علينا – لو وفقنا – أن نكثر من ذكر الموت وسكراته وأهوال ما بعده من فتنة القبر وأهوال القيامة وشدائدها فإن تذكر ذلك من أعظم الزواجر وأقوى الأسباب للإقلاع عن الانهماك في الدنيا والإقبال على الله تعالى فالموت من الأمور الجديرة بالاهتمام والذكر المرة بعد المرة إذ ذلك هو العلاج النافع لأمراض النفوس واهوائها ولذلك أرشدنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الإكثار من ذكره فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أكثروا من ذكر هادم اللذات ".* يعني الموت. هاذم بالذال المعجمة أي قاطع اللذات وبالدال المهملة أي دافع ومخرب والمعنى متقارب.

و قال أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : " يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه .".**

* رواه أحمد 293/2 والترمذي وابن ماجة 4258 والنسائي 5/4 وابن حبان 2559 والحاكم 321/4 وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

** رواه أحمد 132/5 والترمذي 2278 والحاكم 421/2 وصححه ==

الراجفة النفخة الأولى والرادفة النفخة الثانية.

و ذكر الموت ليس معناه ترديد ألفاظه وذكرها باللسان كما يفعله البعض بل المقصود التفكر فيه وفي سكراته وشدائده وما سيئول أمر الإنسان إليه من نعيم أو عذاب وبماذا سيختم له؟ ومن سيتولى قبض روحه؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وماذا سيلقى في قبره . ولا يخفى أن التفكر في هذه الأهوال ينغص على الإنسان عيشه ويحمله على الاستعداد للموت وهو المطلوب أما نسيانه والغفلة عنه فيعد كارثة وخسارة. ويرحم الله القائل :

و اذكُر الموتَ تَجِدْ راحةً :::::::: في ادِّكارِ الموتِ تَقْصيرُ الأمَلِ

و القائل الآخر : صاح شمر ولا تَزل ذاكرَ :::::::: الموتِ فنسيانُه ضلالٌ مُبين

و قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " جاء الموت بما فيه " عظة بالغة وكرر الجملة ليوقظ القلوب الغافلة، وعبر بالفعل الماضي في

قوله جاء الموت لتحقق وقوعه ونزوله بالإنسان حتى لا يقع في التسويف فإنه لا يدري متى ينزل به : " إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ " الأنعام 134.

== وهو كما قال فهو حسن صحيح.

زيارة القبـــور

و من أسباب ذكر الموت زيارة القبور وكثرة التردد إليها وإمعان الفكر في مآلها وأحوال أهلها وما صاروا إليه من فناء أجسامهم واضمحلال صورهم، ولما في زيارة القبور من الذكرى أرشدنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليها فقال : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة " وفي رواية : " فإنها تذكر الموت " وفي رواية : " فإنها ترقق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً".*

" هجراً " بضم الهاء وسكون الجيم الكلام القبيح الفاحش.

فزيارة القبور لها أثر في صحوة القلوب وترقيقها وجلب الحزن ودمع العيون ولذلك كان التردد لزيارتها من السنن النبوية الهامة.

قالت مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 361/5 ومسلم 46/7 وأبو داود 3235 والنسائي 73/4 والترمذي 939 من حديث بريدة والرواية الثانية عند مسلم 46/45/7 والنسائي 74/4 عن أبي هريرة والثالثة أخرجها الحاكم 376/1.

يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غداً مُؤَجَّلُون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بَقيع الغَرْقَدْ ".*

و كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلم أصحابه أن يقولوا إذا خرجوا إلى المقابر ما رواه بريدة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر : " السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية ".**

و كان السلف الصالح يزورون القبور كثيراً ولهم في ذلك أخبار وحكايات :

قيل للإمام سيدنا علي رضي الله تعالى عنه : ما شأنك جاورت المقبرة – وكان يجلس في المقابر – قال : إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة . وللإمام علي كلام في الزهد كثير وهو القائل عليه السلام : " ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة

---

* رواه مسلم 44/7 وأحمد 252/6 والبقيع مقبرة المدينة والغرقد بفتح الغين والقاف شجر العوسج.

** رواه مسلم مطولا 44/7 من حديث بريدة.

منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل ".*

و كان سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر فقال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد ".** وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما رأيت منظرا قط إلا القبر أفظعُ منه ".**

و كان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول : " قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ " المؤمنون 99-100، ثم يرددها ويرد على نفسه :

---

* ذكره البخاري في الرقاق 11/10/14 عنه معلقا وعزاه الحافظ مرفوعا وموقوفا لابن أبي شيبة في المصنف وابن المبارك في الزهد ولأبي نعيم في الحلية.

** رواه الترمذي 2130 وابن ماجة 4267 والحاكم 371/1 والبيهقي 56/4 وسنده حسن.

يا ربيع قد أرجعناك فاعمل.

و قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى خرجت مع عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال : يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتاهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلى، وأصابت الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمِنَ مِنْ عذاب الله تعالى.

و قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

و أيْن المُدِلُّ بِسلطانِه :::::::: وأين المُزَكّي إذا ما افْتَخَر

فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً :

تَفَانَوا جميعا فما مُخْبِـرُ :::::::: وماتُوا جميعا ومات الخبـرْ

تَرُوحُ وتَغْدُو بناتُ الثَّرى :::::::: فَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلك الصُّو ر

فيا سائلي عن أُنَاسٍ مَضَوْ :::::::: أمَا لك فيما تَرى مُعْتَبَــرْ

ووجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيب من الأحباب مُخْتَلَسٌ :::::::: لا يَمنعُ الموتَ بوابٌ ولا حـرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذاتهـــا :::::::: يا من يُعدُّ عليه اللفظُ والنفَسُ

أصبحتَ يا غافلا في النقص مُنغَمِساً :::::::: وأنت دهرك في اللذات منغمس

لا يرحم الموتُ ذا جهل لغِرَّتــه :::::::: ولا الذي كان منه العلم يُقتبـسُ

كم أخرس الموتُ في قبر وقفت به :::::::: عن الجواب لسانا ما به خــرسُ

قد كان قصرك معموراً له شرف :::::::: فقبرك اليوم في الأجداث مُنـدرسُ

و كلامهم في الموت والقبور أكثر من أن يأتي عليه الحصر.

فرقة القلوب وصفاؤها إنما ينفع بتذكر الموت والقبور، والثواب والعقاب وأهوال القيامة . نعم والقساوة تقع بنسيان ذلك والغفلة عما هنالك كما قال تعالى عن قوم : " فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ " الحديد 16.

علامات اقتراب الأجل والموت

و نزول الموت بالإنسان وإن لم تكن له سن خاصة، لأن المرء قد يموت طفلا وغلاما يافعا وفي مقتبل الشباب وقد يعيش حتى يجاوز عقد التسعين والمائة فما بعد ذلك.

غير أن له علامات يعرف بها دنوه واقترابه وأظهرها وأكثرها تقدم السن وظهور الشيب والهرم وكثرة العلل . فهذه كلها رسل الموت يقدمها الله عز وجل بين يدي الموت تؤذن بقربه لعل الإنسان يعتبر فيستعد للقاء الله عز وجل على أن مجاوزة الستين من مظان الموت فأحرى ما بعدها فمن بلغ هذا العقد من حياته فليكن متأهباً وفي ترقب للموت ليل نهار وإلا فاجأه ولقى الله صفر اليدين من الأعمال الصالحة نادماً متحسراً فيقال له : " أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءكُمُ النَّذِيرُ " فاطر 37.

أسباب المـــــوت

نعم للموت أسباب كثيرة فقد يكون بسبب مرض مزمن، أو هرم مفند، أو جراحة طبية، أو حادثة سير، أو غرق، أو حرق، أو سقوط ردم، أو زلزال، أو طعن جن، وقد يكون بالقتل حداً أو اغتيالا، أو عمداً ظلماً، أو خطأ، أو انتحاراً، أو استشهاداً في سبيل الله، أو بحروب عامة أو في سبيل أغراض وأهداف دنيوية، وقد يكون السبب ظاهراً، وقد يخفى، فيأتي الموت فجأة فلا يعرف له سبب . وقد تقع بعض هذه الأسباب ولا يقع الموت لأن الأجل لم يأت بعد.

تحسين الظن بالله تعالى عند الموت

و ينبغي للمسلم إذا رآى من نفسه ملامح الموت أن يحسن ظنه بالله تعالى ويغلب الرجاء والطمع في عفو الله ورحمته على الخوف من عذابه وعقابه عكس ما كان عليه أيام الصحة.

لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا يَمُوتَنَّ أحدُكم إلا وهو يُحَسِّنُ ظنَّه بالله عز وجل ".*

و تقدم حديث : " يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ".**

و لتكن أيها الإنسان على يقين أنه لا ينجو من الموت أحد مهما كان حاله ومستواه وقوته بل وفضله وقربه من الله تعالى فهو من السنن الإلاهية في خلقه وفي القرآن الكريم العديد من الآيات تلفت الأنظار إلى هذا الأمر الجلل، والحدث

---

* رواه أحمد 3/5/3 وفي مواضع ومسلم 309/17 وأبو داود 3113 وابن ماجة 3167 من حديث جابر بن عبد الله.

** انظر تخريجه فيما سبق.

الخطير الذي لا دواء له ولا مفر منه.

قال تعالى : " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " الأنبياء 35، وقال عز وجل : " أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ولَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ " النساء 78، وقال في اليهود: " قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ "

الجمعة 8، وقال في المنافقين : " قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " آل عمران 168، وقال تعالى : " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وجْهَهُ " القصص 88.

و يرحم الله تعالى أبا العتاهية حيث قال :

بَيْنَ عَيْنَيْ كل حَيّ :::::::: عَلَمُ الموتِ يلـــوحُ

نُحْ علَى نَفْسِكَ يا :::::::: مسكينُ إن كنتَ تنوحُ

لتموتن وإن عُمِّـ :::::::: رتَ ما عُمِّرَ نَــوحُ

سكرات الموت وقبض الروح وما بعد

ذلك من فتنة القبر

إن أي إنسان ذكر أم أنثى لينتظر أهوالا لم يرها ولم تخطر بباله طول حياته وبدايتها الموت وهو أهون مما بعده.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لَم يَلْقَ ابنُ آدم شيئاً قط منذ خلقه اللهُ تعالى أشدَّ عليه من الموت، ثم إنَّ الموتَ لأهونُ مِما بعده ".*

و عن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : " لا إله إلا الله إنَّ للموت لَسَكَراتٍ ".**

و قالت رضي الله تعالى عنها رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماءٌ فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء، ثم ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 154/3 حديث حسن انظر المجمع 319/2 ج334/10.

** رواه البخاري في المغازي وفي الرقاق . مطولا.

يقول : " اللهم أعني على سَكَراتِ الموت ".*

و المراد بسكرات الموت غمراته وأهواله وشدائده. ولذلك كان الموت أعظم مصيبة أصيب بها الإنسان وقد سماه الله تعالى بذلك فقال : " فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ " المائدة 106، وأخبر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن موته أعظم مصيبة أصيبت بها أمته فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " مَن أُصيبَ بِمُصيبَةٍ فلْيَذْكُرْ مُصيبَتَهُ بي، فإنها أعظمُ المصائب ".**

و قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث لابن عباس رضي الله تعالى عنهما طويل : " فأنا فَرَطُ أمَّتي لَنْ يُصَابوا بمثلي ".***

فموته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان ولا يزال أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون

ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 70/64/6 والترمذي 872 وابن ماجة 1623 وهو حسن على قول.

** حديث حسن لشواهده فقد رواه ابن السني في عمل اليوم 218 عن بريدة والطبراني عن عائشة كما في المجمع 12/3 وابن سعد في الطبقات 275/2 والطبراني في الكبير عن سابط الجمحي وابن سعد أيضا 275/2 وابن السني 219 مرسلا عن عطاء بن أبي رباح بسند صحيح.

*** رواه أحمد 334/1 والترمذي 947 مع تهذيبي وسنده حسن والفرط بفتحتين الذي يتقدم القوم لإعداد ماء وشبهه والمراد بفرطه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شفاعته لأمته.

لأن بموته انقطع الوحي وذهبت بركة وجوده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أظهر الأمة وغابت طلعته الشريفة عن الأنظار وجاء الأمة ما يوعدون من الفتن.

و لما كان الموت من أعظم المصائب النازلة بالإنسان جعله الله تعالى كفارة لما سبق في حياة المسلم من الذنوب والآثام وذلك لما يلقاه ويكابده من الآلام والأوجاع وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها من سيآته ".*

---

* رواه البخاري 209/206/12 ومسلم 130/127/16 بمعناه عن عائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وروياه عن ابن مسعود وزادا كما تحط الشجرة ورقها.

مشاهد الـــــموت

إن الناس يختلفون في مشاهد الموت حسب أعمالهم فمن كان منحرفاً عن طريق الله تعالى كافراً كان أم فاسقاً سيلقى من الشدائد والأهوال ما تتفطر له السماوات وتدك له الجبال والصخور وفي هذا النوع يقول الله عز وجل :

" وجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ " ق 19، يقال هذا للفاجر الذي طالما نسي الموت وأخلد إلى عالم الشهوات والمحرمات فالآن قد نزل به ولا مفر له منه. وقال تعالى : " ولَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ والْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ، ولَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وراَء ظُهُورِكُمْ ومَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ " الأنعام 93-94.

معناه يقول تعالى عن مشهد قبض أرواح الكفرة الفجرة . ولو ترى أيها الإنسان وتعاين حالة الكفرة أو الظالمين عند سكرات موتهم حينما تبسط ملائكة العذاب أيديها لقبض أرواحهم لرأيت أمراً فظيعا حيث

تقول لهم : أخرجوا أنفسكم فاليوم ستشاهدون منازلكم في جهنم وتلقون الخزي والهوان والعذاب بسبب كفركم بالله وتكبركم عن آياته. ويقال لهم : لقد أتيتمونا منفردين عن الأهل والأصحاب والأعوان . ليس لكم ولي ولا نصير جئتمونا مثل ما خلقناكم أول مرة وقد تركتم ما أعطيناكم من متاع وثروات وسلطة وجاه وملك وراء ظهوركم في الدنيا يخلفكم فيها غيركم وقد ضل وغاب عنكم شركاؤكم الذين طالما زعمتم أنهم شفعاؤكم وقد تقطعت بينكم العلائق والأسباب.

و يقول تعالى : " ولَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وجُوهَهُمْ وأَدْبَارَهُمْ " الأنفال 50، وقال تعالى : " كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ، وقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ، فَلَا صَدَّقَ ولَا صَلَّى، ولَكِن كَذَّبَ وتَوَلَّى " القيامة 26-27-28-29-30-31-32.

" التَّرَاقِيَ " عظام أعالي الصدر وقوله " مَنْ رَاقٍ " أي هل من طبيب ومعالج يرقي " وظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ " أي أيقن المحتضر أنه الفراق الأخير للدنيا والأهل والمتاع ويكون ذلك عند معاينة ملك الموت ومساعديه " والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ " أي التصقت إحدى ساقيه بالأخرى لشدة كرب الموت ثم يقال له : " إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ " أي إليه تعالى المآب والمرجع ليحكم تعالى بعدله في هذا الذي قال فيه : " فَلَا صَدَّقَ ولَا صَلَّى، ولَكِن كَذَّبَ وتَوَلَّى، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ".

هذه مشاهد الكفار والفجرة عند الموت في القرآن ويأتي بسطها في الحديث النبوي الشريف، أما مشاهد المؤمنين وخاصة الطيبين الصالحين فيقول تعالى فيها :

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ولَا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الْآخِرَةِ " فصلت 30-31.

و قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " الأحقاف 13-14.

فهم رغم ما كانوا عليه من الخوف في الدنيا شأن كل مؤمن تأتيهم البشارة عند الموت من الله عز وجل بالأمان من الخوف . إكراماً لهم وجزاء لما قدموا من خير وبر .

و قال جل علاه : " كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " النحل 31-32.

و قال جل ثناؤه : " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وادْخُلِي جَنَّتِي " الفجر 27-28-29-30.

آية جامعة لمشاهد المحتضرين

هذه آيات جامعة لمشاهد المحتضرين وتشمل المؤمن والكافر .

يقول الله تعالى : " فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، وأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ، ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ولَكِن لَّا تُبْصِرُونَ، فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ ورَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ، وأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ، وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ " الواقعة 83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96.

فذكرت الآيات الكريمات مشهد المحتضرين عند خروج الروح، وأنها حينما تصل إلى الحلقوم والأهل والأقارب والأصحاب جالسون ينظرون إلى ما يعانيه المحتضر من غمرات الموت وأهواله لا يستطيعون نصره ولا دفع ما نزل به والله تعالى وقتهم أقرب إلى ميتهم منهم ولكنهم لا يرون شيئاً ولا يشعرون بما يحيط بهم من جلال الله لأن مقام الألوهية عظيم فليس كمثله شيء ويقال للحاضرين : هلا أرجعتم روح ميتكم إن كنتم غير مربوبين ومقهورين تحت عظمة الله تعالى وقهره كما تزعمون.

ثم بعد هذا المشهد العظيم قسمت الآيات الأموات إلى أقسام ثلاثة : مقرَّبين، وأهل اليمين، والمجرمين فقال تعالى :

" فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ " والمراد بهم أكابر بني آدم من الأنبياء وأصحابهم والصديقين ومن شابههم فهؤلاء لهم " رَوْحٌ " أي راحة ورحمة وفرح، " ورَيْحَانٌ" أي عطر وطيب ورزق واستراحة، " وأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ " وهم عوام المؤمنين الصالحين

الذين لم تحط بهم السيآت فيقال لهم : " سَلَامٌ لَّكَ " أي سلامة لك من العذاب والأهوال " مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ " أي من جهة أنك منهم.

" وأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ " أي من جنسهم " الضَّالِّينَ " المنحرفين عن نهج الله تعالى فيقال لهم : " فَنُزُلٌ " أي دار ضيافة مع تقديم قرى ضيفهم " مِّنْ حَمِيمٍ " أي ماء بلغ النهاية في الحرارة " وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ " أي دخول النار المتأججة ثم ختم الآيات ببيان أن المذكور هنا هو حق اليقين وليس بالشك فنزه ربك العظيم.

متى يحب العبد لقاء الله أو يكرهه ؟

إذا عاين الإنسان منزله من الجنة أو النار خرس لسانه ومنع من الكلام غالباً وذلك يكون حينما تصل الروح الحلقوم فإن كان سعيداً ورآى ما أعد له من الكرامة والنعيم أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن كان من المجرمين الفاجرين ورآى ما أعد له من العذاب والهوان والخزي كره الموت وكره لقاء الله فكره الله لقاءه وفي هذا جاء الحديث التالي :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لا يُحِبُّ رجلٌ لقاء الله عز وجل إلا أحبَّ الله لقاءه، ولا يُبغض رجلٌ لقاء الله إلا أبغض الله لقاءه " قال شريح بن هانئ أحد الرواة : فأتيت عائشة فقلت : لئن كان ما ذكر أبو هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حقٌّ لقد هلكنا فقالت

: إنما الهالك من هلك فيما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما ذاك؟ قال : قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : لا يحب رجل لقاء الله ." قالت : وأنا أشهد أني سمعته يقول ذلك: فهل تدري لم ذاك؟ إذا حَشْرَجَ الصَّدْرُ، وطمح البصر، واقشعر الجلد، وتَشَنَّجَتْ الأصابع فعند ذلك :

" من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه ".*

و في رواية لعبادة وسيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنهما : إنا لنكره الموت فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ".**

و قوله " حشرج " أي ترددت النفس في الصدر وقوله " طمح البصر " أي حدد النظر إلى فوق وقوله " اقشعر الجلد " أي قام شعره وقوله " تشنجت " أي تقبضت.

أما كراهية الموت حالة الحياة فعامة للجميع إلا لأقوام خاصين والسبب في ذلك . الجهل بالمآل، والخوف من العذاب لما يصدر من

الإنسان من المخالفات والآثام طول حياته والاستحياء من لقاء الله عز وجل مع التفريط والتقصير ـــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 346/2 ومسلم 11/10/17 والنسائي 8/4.

** رواه البخاري في الرقاق 47/144/14 ومسلم 9/17 وانظر الفتح وشرح النووي على مسلم فعندهما كلام نفيس في الموضوع.

و لذلك ينبغي للمسلم أن يكون دائم التأهب والاستعداد للموت ولقاء الله تعالى حتى لا يكره لقاء الله ساعة الاحتضار وحتى لا يكون من الذين يهابون الموت كأولئك الذين اغتروا بمظاهر الحياة وشهواتها ومناصبها فكرهوا الموت وسماعه لأن ذلك ينغص عليهم حياتهم فليعتبروا بما سبقهم ممن كانوا أكثر منهم أموالا وأشد قوة وأطول أعماراً وقد أصبحوا في تخوم الأرض تراباً.

قال تعالى : " فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَّشِيدٍ " الحج 45.

قوله " خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا " أي جدران بناياتها ساقطة على سقوفها فأول ما يسقط من البنايات السقوف وهي العروش ثم تسقط عليها الجدران، وقوله " وبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ " أي آبارهم وعيونهم أصبحت معطلة متروكة لا ينتفع بها أحد لموت أهلها، وقوله " وقَصْرٍ مَّشِيدٍ " أي بناء رفيع عال ليس فيه أحد يسكنه.

و قال تعالى : " كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ، ونَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ،كَذَلِكَ وأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ " الدخان 25-26-27-28.

فقد أهلكهم الله تعالى وتركوا وراءهم البساتين والعيون الجارية والزروع والفواكه المختلفة الطعوم والمذاق كما تركوا المجالس الحسنة الكريمة وكثرة المتع والنعيم وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار. والسعيد من وعظ بغيره.

صفة قبض الأرواح ومن يتولى ذلك

ما من إنسان إلا وسيصل حتما إلى هذه النهاية لكن المؤمن يهون عليه آلام الموت وسكراته ما يبشر به من الكرامة والروح والريحان مما ينسيه كل ما لقي من بلاء وأهوال.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح 152/14 من الرقائق : ومع ذلك فالذي يحصل للمؤمن من البشرى ومسرة الملائكة بلقائه ورفقهم به يهون عليه كل ما يحصل له من ألم الموت حتى يصير كأنه لا يحس بشيء من ذلك.

أما الكافر والفاجر فما سيلقيانه في القبر وما بعده تهون دونه سكرات الموت وأهواله مما يتمنى معه لو ظل أبداً في هذه السكرات.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها حتى إذا خرجت روحه صلى عليها كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى : " تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ " ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال : فيصعدون فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فيستفتحون فيفتح لهم فيشيع من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ثم يقال : وأعيدوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال : فيرد إلى الأرض. قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم المسوح من

النار فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال : فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله تعالى ألا تعرج روحه من قِبَلِهم فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلونها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ولاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ " الآية فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ثم يقال : أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ : " ومَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " فتعاد روحه في جسده ".* وسيأتي تمامه في سؤال الملكين.

و جاء نحوه باختصار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول ـــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 288/287/4 والطيالسي 743 وأبو داود 4754/3212 والحاكم 40/37/1 بسند صحيح وفيه زيادات رواه أحمد 296/295/4 بسند حسن.

الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتون به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبيه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون : دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال : ما أتاكم؟ قالوا : ذهب به إلى الهاوية.

و إن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار ".*

و في رواية : فإذا كان الرجل الصالح قال : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال : من هذا؟

* الرواية الأولى عند النسائي 87/4 وابن حبان 733 والحاكم 352/1 وصححه ووافقه الذهبي.

فيقال : فلان بن فلان فيقولون : مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي إلى السماء . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة، وأبشري بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج . فيقال لها في السماء لا مرحباً بالنفس الخبيثة قال : فترسل بها من السماء ثم تصير إلى القبر ".*

ففي الحديثين بيان من يتولى قبض أرواح الناس وما يفعل بالروح بعد قبضها ويدلان على أن المحتضر يشاهد ملك الموت ومساعديه من الملائكة وأن الذي يباشر قبض الروح هو ملك الموت المشهور عند الناس بسيدنا عزرائيل عليه السلام.

---

* رواه أحمد وابن ماجة 4262 بسند صحيح وأصل الحديث في صحيح مسلم 205/17.

رجوع الروح إلى الأرض وشهودها مراسم الغسل ثم

دخولها الجسد بعد الدفن ثم الضمة وفتنة القبر

بعد قبض الروح وعرضها على الملإِ الأعلى وعلى أرواح المؤمنين إن كانت مؤمنة وعلى الكفار إن كانت كافرة تعاد إلى الأرض وتشهد مراسم تجهيزها* فإذا احتملها الرجال نادت قدموني إن كانت صالحة، وإلا قالت : يا ويلها إلى أين تذهبون بها إن كانت فاجرة** فإذا وضع الميت في قبره وألحد وألقي عليه التراب دخلت الروح في جسده فكانت ضمة القبر وضغطته ويأتيه الملكان الفتانان أسودين أزرقين فيخيل للمؤمن أن الشمس ستغرب فيقول دعوني لأصلي العصر ثم يسألانه : من ربك؟ ما دينك؟ ما تقول في هذا الرجل؟ يعنيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإن كان مؤمنا موقنا ثبته الله فأجاب فيقال له : قد علمنا أنك كنت تقول هذا، فنم نومة العروس، ثم يفرش من الجنة، ويلبس من الجنة، ويوسع عليه قبره سلعين ذراعاً، ويجعل روضة من رياض الجنة، ثم تفتح له نافذة إلى الجنة، فيهب عليه نسيمها، ويعرض عليه مقامه بكرة وعشية، فإذا رآى ما أعطى ________________

* جاء بهذا حديث رواه أحمد 3/3 من حديث أبي سعيد وفي الباب آثار كثر عند ابن أبي الدنيا.

** رواه البخاري في الجنائز.

و ما صار من الكرامة قال : دعوني أبشر أهلي. وفي رواية : أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له : اسكن هذا إذا كان سعيدا.

أما الكافر أو الفاجر فيسألانه فلا يجيب ويقول : هاه، هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون قولا فقلت ذلك، فيقال له : لا دريت ولا تليلت، ثم يضربانه بمقمعة يسمع صوته كل شيء إلا الثقلين الإنس والجن، ثم يضيق عليه قبره ويظلم ويجعل حفرة من النار، ثم تفتح له نافذة إلى النار، ويعرض عليه مقامه في النار بكرة وعشية نعوذ بالله من ذلك.

فهذه المشاهد مقطوع بها وهي من العقائد الإسلامية والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الجملة رواها عنه أكثر من عشرين نفساً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسنورد عيون بعض هذه الأحاديث.

ضمـــة القبـــر :

عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :"إن للقبر ضغطةً ولو كان أحدنا ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ".*

———————* رواه أحمد 98/55/6 والطحاوي في المشكل 107/1 ورجاله ثقات وله شواهد بعضها صحيحة.

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه ".*

و عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه أن صبياً دفن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو أُفْلِتَ أحدٌ من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي ".**

و المراد بهذه الضغطة والضمة التقاء جانبي القبر على جسد الميت، قال العلماء رحمهم الله تعالى : إن السيئة الصادرة من المسلم تكفر بأمور : منها التوبة، وفعل الحسنات، والابتلاء بالمصائب، وضغطة القبر، وفتنته، ودعوات إخوانه واستغفارهم له، وإهداء ثواب القرب له، والابتلاء بأهوال عرصات القيامة، وشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيره من الشفعاء وبجميع كل ذلك رحمة الله عز وجل وهو ذو الفضل الواسع والإحسان الشامل.

نعم فلا أحد ينجو من هذه الضمة غير أنها تختلف فالمؤمن ضمته كضمة الأم ___________________

* رواه النسائي 82/4 بسند صحيح على شرط مسلم " تحرك العرش " يعني فرحاً بقدومه لمكانته عند الله.

** عزاه في المجمع 47/3 لكبير الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح.

الحنون لولدها، أما غيره فبخلاف ذلك كما جاء في حديث أبي سعيد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن

العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليَّ فإذ وليتك وصرت إلي فسترى صنعي بك قال : فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أعضاؤه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض ".*

المؤمن يرى كأن صلاة العصر ستفوته :

عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إذا دخل الميت القبر مثلت الشمس عند غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول :

---

* رواه الترمذي 2281 وحسنه.

دعوني أصلي ".*

و هذا خاص بالمؤمن الذي كان قلبه معلقاً بالصلاة وأدائها في أوقاتها.

سؤال القبر ووقتـــه :

فتنة القبر وسؤاله من طرف الملكين الكريمين نكير ومنكر عليهما السلام لا ينجو منه أحد إلا من استثني ممن جاءت بهم السنة النبوية.

و جاء في سؤال القبر أحاديث نقتصر منها على الآتي :

عن البراء رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " " يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ " نزلت في عذاب القبر يقال له : من ربك؟ فيقول : ربي الله ونبيي محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " وفي رواية : " إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ".**

التثبيت في الدنيا يكون على كلمة التوحيد عند الموت وفي الآخرة عند سؤال ___________________

* رواه ابن ماجة 4272 وحسنه البوصيري وهو كما قال.

** رواه البخاري 475/3 في الجنائز ومسلم في الجنة وأبو داود في السنة والترمذي في التفسير.

الملكين في القبر.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد

أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ".* وأما المنافق أو الكافر فيقال له : " ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة يصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " وفي رواية في شأن المؤمن فيقال له : " هذا كان لك ولكن الله عصمك فأبدلك به بيتاً في الجنة فيراه فيقول : دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له : اسكن ".*

قوله " قرع نعالهم " أي صوتها وقوله " بمطارق " أي المقامع وفي رواية : " بين أذنيه ".

---

* رواه البخاري 482/479/3 ومسلم 203/17 وأبو داود 3231 والنسائي والرواية الثانية عن أبي داود 4752/4751.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له : نم فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا

يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله : لا أدري فيقولان : قد كنا نعلم تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ".*

و عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت : قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن بها المرء فضج المسلمون ضجةً حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

---

* رواه الترمذي 956 بسند صحيح.

فلما سكنت ضجتهم قلت لرجل قريب مني : بارك الله فيك ماذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في آخر قوله؟ قال : " قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال ".*

و عن عثمان رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : " استغفروا لأخيكم ثم سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ".**

---

* رواه البخاري 479/3 والنسائي 84/4.

** رواه أبو داود في الجنائز بسند صحيح

بقية حديث البراء المتقدم المفصل

لأحوال القبــر

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " فَيُرَدُّ المؤمن إلى الأرض وتعاد روحه في جسده قال : فإنه يسمع قرع نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له : ما دينك؟ فيقول : ديني الإسلام، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينتهره فيقول : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " فيقول : ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال : فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه، وحسن الثياب، طيب الريح، فيقول : أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له : وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول : أنا

عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيراً ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت أبدلك الله به هذا فإذا رآى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له : اسكن ".

و قال في الكافر : " ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له : من ربك؟ فيقول : هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له : ما دينك؟ فيقول : هاه، هاه، لا أدري، فيقولان : ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لإسمه، فيقال : محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقول : هاه، هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك قال : فيقال : لا دريت ولا تليت،

فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : وأنت بشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول : أنا عملك الخبيث فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله فجزاك الله شراً ثم يقيض له أعمى، أصم، أبكم، في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه

الروح ثم يفتح له من النار، ويمهد من فرش النار فيقول : رب لا تقم الساعة ".*

عرض المقعد على الروح بكرة وعشية :

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ".**

و عرض الكافر على النار جاء به القرآن الكريم قال تعالى في حق فرعون وجنده : " النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وعَشِيّاً ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ " غافر 46، والآية صريحة بأن هذا العرض في البرزخ قبل يوم القيامة. وقال القرطبي في عرض مقعد المؤمن عليه . هذا العرض مخصوص بالمؤمن

---

* تقدم تخريجه.

** رواه أحمد 113/2 والبخاري في الجنائز وفي الرقاق 153/14 ومسلم 201/200/17 والنسائي 87/4 والترمذي 956 وتقدم نحوه في حديثي أنس وأبي هريرة.

الكامل الإيمان، ومن أراد الله إنجاءه من النار، وأما من كان من المخلطين فله مقعدان يراهما .

خلاصة ما تقدم من فتنة القبر :

فهذه الأحاديث التي أوردناها تدل دلالة قاطعة على فتنة القبر وأهواله وعذابه ونستخلص منها الأمور الآتية :

أولا : أن الروح تعاد إلى الجسد عقب الدفن وما في معناه.

ثانيا : إن السؤال يكون عن أمور ثلاثة : عن الله عز وجل، وعن دينه، وعن رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ثالثا : إن المؤمن إذا هداه الله وثبته وأجاب يأتيه عمله الصالح متمثلا في صفة رجل جميل الطلعة والهيئة، طيب الريح، فيجلس إليه يؤنسه وإن المؤمن إذا رآى ما أكرم به يقول : يا رب أقم الساعة لأرجع إلى أهلي.

رابعا : إن السؤال يكون فور دفنه وانصراف الناس عنه بحيث يسمع صوت وأثر مشيهم.

خامسا : إن الكافر يشدد عليه ويلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ولا يزال معذباً حتى يبعث من مضجعه، وأنه يسأل فلا يهتدي للجواب فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه ضربة يصيح معها صيحة يسمعها كل الخلائق إلا الإنس والجن ولو سمعوها لماتوا ثم يحضره عمله السيء في صفة رجل قبيح الهيئة، منتن الريح ثم يوكل به ملك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لا يبصر، شديد غليظ فلا يزال يعذبه حتى يبعث.

الأمر بالاستعاذة من عذاب القبـــر

و لخطر عذاب القبر وفتنته أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمته أن يستعيذوا بالله منه في صلاتهم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: " إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ".*

و قد اتفق العلماء على مشروعية هذه الاستعاذة حتى إن الظاهرية قالوا : بوجوب ذلك وأن الصلاة بدونها باطلة.

---

* رواه البخاري 479/3 ومسلم 86/85/5 والنسائي 85/4 مطولا ومختصراً.

أسباب عذاب القبـــر

و لعذاب القبر أسباب يجب على المسلم تجنبها والحذر منها ونحن ذاكرون منها نحواً من ثلاث وعشرين خصلة جاء التنصيص عليها في السنة النبوية الشريفة، فمنها الشرك بالله والكفر به تعالى وهو في طليعة ذلك.

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به وكادت تلقيه، وإذا بأقبر ستة أو خمسة فقال : " من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ " قال رجل : أنا قال : " فمتى ماتوا؟ " قال : في الشرك فقال : " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافناو لدعوت الله تعالى أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه " ثم أقبل بوجهه علينا فقال : " تعوذوا بالله من عذاب النار " قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار، قال : " تعوذوا بالله من عذاب القبر " قالوا " نعوذ بالله من عذاب القبر.*

قوله " حادت به " أي تنحت.

---

* رواه مسلم 203/17.

و عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال : خرج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال : " يهود تعذب في قبورها ".*

" وجبت " أي غابت.

و منها الغيبة والكلام في أعراض المسلمين من غير سبب شرعي.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس،

يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ".**

قوله " يخمشون " أي يجرحون وجوههم وصدورهم بتلك الأظافر النحاسية النارية.

و عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

---

* رواه البخاري 484/3 ومسلم 203/17.

** رواه أحمد 224/3 وأبو داود 4878 بسند صحيح.

" أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين ".* والريح القذرة الخبيثة من الروح في البرزخ لا تكون إلا من أثر عذاب أو حريق.

و منها المشي بالنميمة وهو نقل الكلام على وجه الإفساد وعدم التحفظ من البول والاستنزاه منه.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مر بقبر فقال : " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول "

وفي رواية : " يستبرئ " وفي أخرى : " يستنزه ".** وفي رواية : " لا يتوقى ".**

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أكثر عذاب القبر من البول ".***

---

* رواه أحمد 351/3 بسند حسن على رأي العراقي وابن كثير.

** رواه البخاري في الوضوء وفي الجنائز 485/3 وفي الأدب ومسلم 200/3 وباقي الجماعة ورواية لا يتوقى رواها أبو نعيم في المستخرج ومعنى الجميع واحد وهو عدم التحفظ والتنزه من البول.

*** رواه أحمد 328/326/2 وابن ماجة 348 بسند صحيح.

و في حديث عبد الرحمان بن حسنة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض، فناهم عن ذلك فعذب في قبره ".*

" بمقاريض " جمع مقراض آلة حديدية حادة معروفة.و إنما عذب في قبره لأنه نهى عن معروف وفعل واجب وإذا عذب فالذي لا يتنزه ويتوقى من البول أولى بالتعذيب.

و منها اختلاس أموال الدولة المسلمة والخيانة فيها.

فعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال : مررت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالبقيع فقال : " أف لك، أف لك " فظننت أنه يريدني فقلت : يا رسول الله أحدثتُ شيئا؟ قال : " وما ذاك؟ " قلتُ : أففت مني قال : " لا ولكن صاحب هذا القبر فلان بعثته ساعياً على بني فلان فغل درعاً، فَدُرِّعَ الآن مثلها من النار ".** " فدرع " بضم الدال وكسر الراء المشددة أي جعل عليه درع من النار وقوله " ساعياً " أي يجمع الزكوات.

---

* رواه أبو داود 22 وابن ماجة 346 بسند صحيح.

** رواه أحمد 392/6 والنسائي 89/2 بسند حسن.

فإذا كان هذا لم ينج من عذاب القبر لاختلاسه درعاً وهو صحابي فكيف يكون حال غيره من عامة الناس، بل من مات على ذلك من غير توبة لا ينجيه من عذاب القبر شيء حتى ولو قتل شهيداً في سبيل الله كما يدل عليه الحديث التـالي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن مولى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سرق شملة من الغنيمة قبل أن تقسم فأتاه سهم فقتله، فقال الصحابة : هنيئاً له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشعل عليه ناراً ".*

" الشملة " لباس معروف من ملابس العرب القدامى.

و منها مخالفة القول العمل كالخطباء والدعاة المنحرفين الثرثارين المرائين وقد أنكر الله تعالى على أمثال هؤلاء فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " الصف 2-3، " المقت " شدة البغض وقال لليهود : " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ" البقرة 44.

---

* رواه البخاري في الرقاق 404/14 وغيره وأبو داود والنسائي ونحوه عن عمر في مسلم 127/2

و عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ليلة أسري بي مررت بأناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت عادت فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون ".*

و منها النوم عن الصلاة، وافتراء الكذب على الناس، والتعامل بالربا.

فعن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه : " هل رآى أحد منكم رؤيا " وإنه قال لنا ذات غداة : " إنه أتاني الليلة آتيان فقالا : انطلق فانطلقت معهما فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فأتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ههنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة

الأولى فقال لهما : سبحان الله ما هذان؟ فقالا لي : انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يحول الجانب الآخر فيفعل به ________________

* رواه أحمد 239/231/120/3 من طرق وهو حسن لغيره.

مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه مثل ما فعل في المرة الأولى، قلت : سبحان الله ما هذان؟ فقالا لي انطلق. فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه رجال ونساء عراة، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضأوا قلت : ما هؤلاء؟ قالا لي : انطلق فانطلقنا، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل يسبح، وإذا على شط النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما سبح، ثم يأتي الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً. فذكر الحديث وفيه أن الرجل الأول المضطجع الذي يضرب بالصخرة هو الرجل الذي يقرأ القرآن فينام عنه ويضيع الصلوات المكتوبة، والرجل الذي يشرشر شدقه ومنخره وعيناه إلى قفاه هو الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأن الرجال والنساء العراة في التنور هم الزناة والزواني، وأن السابح في النهر الأحمر مثل الدم هو آكل الربا ".*

---

* رواه أحمد 9/8/5 والبخاري في التعبير 106/99/16 كاملا وأخرج قطعا منه في مواضع وأخرج مسلم أوله 35/15.

قوله " فيثلغ " بوزن يعلم – يَشْدَخُهُ ويُكَسِّرُهُ وقوله " يتدهده " أي يتدحرج وقوله " فيشرشر " أي يقطعه شقاً وقوله " فيفغر فاه " أي يفتحه.

و هذا الحديث الشريف من أصح ما جاء في عذاب البرزخ وهو وإن كان بواسطة الرؤيا فرؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق وهي من أقسام الوحي باتفاق، فهؤلاء الأصناف يعذبون بما ذكر إلى يوم القيامة عاملنا الله برحمته وفضله.

و منها منع الزكاة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أنه أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم، ورضف جهنم، قلت : من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ".*

" الضريع والزقوم " هما من أخبث الشجر " والرضف " هي الحجارة المحماة، وعقاب مانعي الزكاة معروف ومشهور في الكتاب والسنة تشيب له الولدان.

---

* رواه ابن جرير في التفسير 7/15 والبيهقي في الدلائل 398/2 والحاكم 1/2/1.

و منها عمل قوم لوط.

فعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه في حديث طويل بنحو حديث سمرة السابق وفيه : " فمضيت فإذا أنا بتل أسود عليه قوم مخبلون تنفخ النار في أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم، قلت من هؤلاء؟ قالا لي : أولئك الذين يعملون عمل قوم لوط الفاعل والمفعول به ".*

و قوله " مخبولون " أي مجنونون من شدة حزنهم وعذابهم . و" التل " بفتح التاء الرابية المرتفعة من الأرض.

و حق لأصحاب هذه الفعلة النكراء الشنعاء العذاب بداية من قبورهم - إن ماتوا بلا توبة – فإن الله عز وجل عذب أمة كاملة بسبب هذا العمل كما أخبر الله تعالى عنهم في القرآن في عدة سور.

و لا زالت بحيرتهم موجودة إلى هذا الحين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين والجوالين أنهم شاهدوا بحيرتهم وأن لمائها ريحاً منتنة قذرة.

* رواه ابن عساكر في تاريخه بنحو حديث سمرة السابق.

و ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس الله سره ورضي عنه في المنن عن بعض الصالحين أنه كان في جماعة فمروا على هذه البحيرة فقال بعض الجماعة وكان من اللوطيين : هذا مكان أصحابنا قال : فخرج له حوت وجره برجله وأدخله في الماء ونحن ننظر إليه.

و منهم الذين يقولون ما لا يعملون، والذين يرون أعينهم ما لا يرون، ويسمعون آذانهم ما لا يسمعون، والذين يفطرون من صيامهم قبل إبان الفطر، والنساء اللواتي يمنعن أولادهن الرضاعة :

هذه الخمس جاء بها حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد صلاة الصبح فقال : " إني رأيت رؤيا هي حق فاعقلوها، فذكر أنه أتاه رجل فذهب به قال : فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مشققة أشداقهم فقلت : من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يقولون ما لا يعملون، فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مسمرة أعينهم وآذانهم، قلت : ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يرون أعينهم ما لا يرون، ويسمعون آذانهم ما لا يسمعون، ثم انطلقنا فإذا نحن بنساء معلقات بعراقيبهن، مصوبة رءوسهن تنهش ثدياتهن الحيات، قلت : ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يمنعون أولادهن من ألبانهن، فانطلقنا فإذا نحن برجال ونساء معلقات بعراقيبهن

مصوبة رءوسهن يلحسن من ماء قليل وحمإ، قلت : ما هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يصومون ويفطرون قبل تحلة صومهم ".*

" أشداقهم " جمع شدق، جانب الفم. " بعراقيبهن " جمع عرقوب عصب موثق خلف الكعب. " مصوبة رءوسهن " أي مخفوضة للأسفل. " الذين يمنعون " هذا لحن والصواب اللاتي يمنعن فهو من تصرف من الرواة.

و في الحديث بيان عظم هذه الجرائم، وأنها من كبار الذنوب لأن هذه الأنواع من العذاب لا تكون إلا على فعل كبيرة.

و منها الصلاة بلا طهارة، وخذلان المظلوم وعدم نصره مع الاستطاعة.

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه أفاق فقال: علام جلدتموني؟ قالوا :

---

* أورده الهيثمي في المجمع 77/76/1 برواية كبير الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح.

إنك صليت بغير طهور، ومررت بمظلوم فلم تنصره".*

و إذا عذب هذا لصلاة واحدة صلاها بلا طهارة فكيف حال تارك الصلاة إطلاقاً، أو حالة الذي يصلي ولا يتقن صلاته؟ وكذلك الأمر فيمن يرى مظلوماً يستطيع نصره ولا ينصره.

و منها البكاء على الميت.

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ".*

و هذا إذا أوصى بالبكاء والندب عليه على عادة الجاهلية، أو كان راضياً بالبكاء عليه فلم ينههم لقوله تعالى : " أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " النجم 38.

فالله عز وجل لا يعذب أحداً بذنب غيره.

---

* رواه الطبراني في المشكل 231/4 وفي سنده مجهول وله شاهد عن عمرو بن شرحبيل عند عبد الرزاق.

* رواه البخاري 484/3 ومسلم 203/18 وغيرهما.

و منها تضييع الأمانات، والتكلم بالكلمة الخبيثة .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن الإسراء قال : ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة، لا يستطيع حملها، وهو يريد أن

يزيد عليها فقال يا جبريل: من هذا؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة الناس لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها، قال : ثم أتى على جُحْر صغير يخرج منه ثور عظيم فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع، فقال : ما هذا يا جبريل؟ قال :

هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها، فيريد أن يردها فلا يستطيع ".*

قوله " جحر " بضم الجيم وسكون الحاء خرق نازل في الأرض تحفره الهوام والدويبات.

فهذه بعض أسباب عذاب القبر وهي نقطة من بحر. وبالجملة فكل من مات مصراً على معصية كبيرة سواء كانت ترك واجب أو فعل محرم فهو على خطر عظيم وسيكون معرضاً لعذاب القبر إلا أن يتجاوز الله عنه برحمته.

---

* رواه ابن جرير 13/15 والبيهقي في الدلائل 398/2 وقد تقدم طرف منه وهو عندهم مطولا في حديث الإسراء.

خلاصة ما تقدم من أنواع عذاب البرزخ :

مما سبق نعلم أن المعذبين في قبورهم وفي البرزخ قبل القيامة أنواع :

فمنهم من يضرب بمطاريق من حديد أو مرزبة أو مقمعة، ومنهم من تقرض شفاههم بمقاريض من نار، ومنهم من يخمش وجهه وصدره

بأظافر من نحاس، ومنهم من تسلط عليه أفاعي تنهشه، ومنهم من تسمر أعينهم وآذانهم بمسامير من حديد نارية، ومنهم من يعلقون بعراقيبهم منكسين، ومنهم من يرضخ رأسه بحجارة، ومنهم من يشق فمه ومنخره وعيناه إلى قفاه، ومنهم من يكونون خليطا من الرجال والنساء عراة وعرايا في تنور من نار، ومنهم من يسبح في نهر من دم ناري ويلقم حجراً كلما حاول الخروج، ومنهم من يرعون الضريع والزقوم وحجارة النار؟، ومنهم من يكونون كالمجانين وتنفخ النار في أدبارهم حتى تخرج من أفواههم، ومناخرهم، وآذانهم، وأعينهم، ومنهم من يضرم عليه القبر ناراً، ومنهم كثير من الأنواع لم يكشف لنا عنها رحمة بنا حفظنا الله والمؤمنين من عذابه وعقابه وغضبه آمين.

من أسباب النجاة من فتنة القبر وعذابـــه

كما قدر الله تعالى على فريق من عباده الفتنة والعذاب في القبر والبرزخ – وذلك عدله سبحانه – كذلك قضى لأقوام بالأمان والنجاة مع النعيم – وهذا فضله – وللأمان والحفظ من عذاب القبر أسباب كثيرة نذكر منها عيونها.

فمنها الشهادة في سبيل الله تعالى.

فعن المقداد بن معديكرب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له

في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن مِن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه ".*

و عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من لَقيَ فصبر حتى يُقتَل أو يُغلبَ لم يُفتن في قبره ".**

---

* رواه أحمد 131/4 والترمذي في الجهاد 1524 وحسنه وصححه وابن ماجة 2799.

** رواه الحاكم 119/2 وصححه.

و منها الرباط في سبيل الله ولزوم الثغور لحراسة المسلمين من عدوهم.

فعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه، وأمن الفُتَّان ".*

" فتان " بضم الفاء جمع فاتن، وفي رواية : من فتاني القبر، والمراد نكِيرٌ ومُنْكَر عليهما السلام.

و عن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كل ميت يختم على علمه، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتان القبر ".**

و منها الموت يوم الجمعة أو ليلتها.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله

---

* رواه مسلم 61/13 وأبو داود.

** رواه أبو داود 2500 والترمذي 2486 وحسنه وصححه.

من فتنة القبر ".*

و قوله " وقاه الله " أي حفظه أماتنا الله يومها آمين آمين آمين.

و منها قراءة سورة " تبارك الملك ".

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر ".**

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة " تبارك الذي بيده الملك " ".***

---

* رواه أحمد 7050/6646/6582 من طرق بعضها صحيحة وله شواهد عن أنس وجابر وغيرهما.

** رواه الترمذي 2698 وفيه ضعف.

*** رواه أحمد 321/299/2 والترمذي 2699 وابن ماجة 3786 والحاكم 595/1 وصححه وله شاهد عن أنس رواه الطبراني في الأوسط والصغير بسند صحيح.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : يؤتى بالرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقولان : ليس لك على ما قبلنا سبيل، قد كان يقرأ علينا سورة الملك، ثم يؤتى جوفه فيقول ليس لك علي سبيل، قد كان يقرأ سورة الملك قال عبد الله : فهي المانعة تمنع عذاب القبر. وفي رواية : كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب.*

و هذه السورة لا مفهوم لها، فكل القرآن له هذه الخصيصة كما جاء في فضائل القرآن جملة وفي بعض سوره خاصة كحديث أن القرآن يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه ويدافع عنهم وأن الزهراوين البقرة

وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما . فكل ذلك يدل ضمنيا على نجاة حامل القرآن العامل به من فتنة القبر وعذابه إن شاء الله تعالى.

و منها ما جاء في حديثي أسماء بنت الصديق وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وهي ثمان خصال.

فعن أسماء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إذا دخل

---

* رواه الطبراني بالروايتين وكلتاهما سندها حسن أو صحيح انظر المجمع 127/7.

الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أحف به عمله : الصلاة والصيام، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه اجلس، قال : فيجلس فيقول له : ما تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : من؟ قال : محمد قال : أشهد أنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: يقول : على ذلك عشتَ وعليه مت، وعليه تبعث ".*

قوله " أحف به " أي أحاط وأحدق.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نعالهم حين يُولُّون عنه، فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان

إلى الناس من قِبَلِ رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ليس قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة : ليس قبلي مدخل، ويؤتى من قبل شماله فيقول الصوم : ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات إلى الناس : ليس من قبلي مدخل. وفي رواية : فإذا أتي من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإذا أتي من قبل يديه دفعته الصلاة، ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 352/6 بسند صحيح.

و إذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد، والصبر حجره ".*

و منها الموت بالبطن.

فعن سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من قتله بطنه لم يعذب في قبره".**

و يضاف إلى نجاته من عذاب القبر تفضل الله تعالى عليه بالشهادة كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الشهداء خمسة : المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله ".***

و المبطون هو الذي يموت بمرض في بطنه كالسل مثلا والإسهال والكلي، ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه الهيثمي في المجمع 52/51/3 برواية الطبراني وقال : إسناده حسن.

** رواه أحمد 262/4 ج292/5 من طرق والترمذي 949 والنسائي 80/4 بأسانيد صحيحة.

*** رواه مالك 327 والبخاري في الصلاة 279/2 وفي الجهاد ومسلم 51/6 وكذا أحمد 533/325/2.

و الكبد ونحو ذلك.

و منها تقدم موت الأطفال فإنهم أفراط لآبائهم وشفعاء لهم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحِلَّة القسم".*

" تحلة " بكسر الحاء أي ما يحل به القسم فإن الله تعالى قال : " وإن مِّنكُمْ إِلَّا وارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً " مريم 71، ففي الآية قسم من الله تعالى بورود الخلائق النار، وإحلال هذا القسم يكون بمرورهم على الصراط.

ففي الحديث وعد من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن من مات له ثلاثة أطفال لا تمسه النار والله لا يخلف وعده وإذا كان محفوظاً من النار كان محفوظاً من عذاب القبر بالأولى إن شاء الله تعالى.

و من أنفع وأعظم ما ينجي من فتنة القبر وعذابه : الاستقامة والإكثار من الأعمال الصالحة والخير والبر، وأن يحاسب المسلم نفسه كل ليلة ويجدد لكل ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

ذنب توبة، وينام على تلك التوبة مع الختم بأذكار النوم.

و من أنفع ذلك أيضا محبة الله تعالى الصادقة ومعرفته التامة فإن الله تعالى لا يعذب جسداً فيه روح تحبه وتعرفه كما جاء في حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان صبي على ظهر الطريق فمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعه ناس، فلما رأت أم الصبي القوم خشيت أن يوطأ إبنها فسعت فحملته فقالت : إبني إبني، فقال القوم : يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي إبنها في النار فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ولا اللهُ يُلْقِي حبيبه في النار ".*

و في ترجمة السيدة العابدة رابعة العدوية رحمها الله تعالى أنه كان من مناجاتها مرة : إلاهي تحرق بالنار قلبا يحبك؟ فهتف بها هاتف : " ما كنا نفعل هذا ولا تظني بنا السوء ".

و قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح : فلا يعذب الله روحا عرفته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه الحاكم 58/1 وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

و سخطه عليه .

و كان من دعاء بعض الربانيين : إلاهي لا تعذب جسماً فيه قلب يؤمن بك ويحبك ولا جسماً فيه لسان يعترف بوحدانيتك ويتلو كتابك ويذكرك .

و الأمر في هذا يطول إن تتبعناه فلنقتصر على ما أوردنا وراجع لهذا الموضوع كتاب الروح لابن القيم، والأهوال لابن رجب، وشرح الصدور للسيوطي، والتذكرة للقرطبي، ومشاهد الموت لعبد ربه فإن في ذلك عبراً وعظات.

أشراط الســـاعـة

أشراط الساعة هي علامات قرب قيامها، والساعة إذا أطلقت في القرآن والسنة فالمراد بها انقراض هذا العالم واضمحلاله وفناؤه، وما يحدث عند ذلك ويصاحبه من انقلاب كوني هائل، وأحداث جسام، تشمل الشمس والقمر والكواكب، والجبال والبحار، والأنعام والوحوش والأرض والسماء، كما تشمل الجن والإنس . وتهز هذا الكون هزاً عنيفاً، ينتثر فيه كل ما في الوجود ولا يبقى شيء إلا وقد تبدل وتغير من هول ما يحدث في ذلك اليوم الرهيب وقد تحدث القرآن الكريم عن الساعة كثيراً وذكر لها أسماء فظيعة هائلة مرهبة كقوله تعالى : " الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ " الحاقة 1-

3-2، وقوله جل علاه: " الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ " القارعة 1-2-3، وقوله جل ثناؤه : " فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى، وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى " النازعات 34-35-36، وقوله عز وجل : " فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وأُمِّهِ وأَبِيهِ، وصَاحِبَتِهِ وبَنِيهِ " عبس 33-34-35-36، الآية إلى غير ذلك.

و ذكر لها من الأهوال والمشاهد ما تشيب له الولدان كما قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ومَا هُم بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " الحج 1-2، وقال جل جلاله : " إِذَا وقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً، وبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً، فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً " الواقعة 1-2-3-4-5-6، وقال جل ثناؤه : " يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً، وتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً " الطور 9-10، في آيات كثيرة.

و لخطر هذه الساعة وما سيقع عندها وبعدها من أهوال كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وغيرهم يسألونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن وقت قيامها كما تحدث القرآن عن ذلك وكان سبحانه وتعالى يتولى جوابهم عنها بما ذكره كقوله تعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي " الأعراف 187، وقوله في آية أخرى : " يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ " الأحزاب 63، وقوله في آية : " يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ

السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَة تَكُونُ قَرِيباً " الأحزاب 63، وقوله جل جلاله : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا " النازعات 42-43-44.

فكانت الأجوبة عنها كلها مصرحة بأن علم وقت قيامها بالضبط هو عند الله عز وجل قد أخفى وقت حصولها عن خلقه لطفاً بهم إلا من شاء الله.

غير أنه تعالى ذكر لها على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أشراطاً وعلامات تؤذن بوقت قيامها ليتأهب المؤمنون ويتيقظ الغافلون لها.

أشراط الساعة صغرى وكبرى :

فالصغرى هي التي تقدمت في تاريخ الإسلام حتى وقتنا هذا، وسميت صغرى لبعدها عن القيامة وقد تقدم أكثرها وظهر الكثير منها في عصرنا هذا الذي نعيشه كما يأتي ولا زال بعضها لم يأت بعد. أما الكبرى فهي العلامات التي إذا ظهرت كانت القيامة على الأبواب وهي العشرة المذكورة في حديث.

فأكثر العلماء جعلوها كما قلنا صغرى وكبرى وقد جعلها بعضهم صغرى ووسطى وكبرى منهم البرزنجي، وصاحب موسوعة الآخرة وإليه يشير الحافظ وتمثيله لذلك في الفتح حيث قال بعد كلام : لكنه على أقسام أحدها ما وقع على وفق ما قال، والثاني ما وقعت مبادئه

ولم يستحكم والثالث ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع فالنمط الأول تقدم معظمه وقد استوفى البيهقي في الدلائل ما ورد من ذلك والمذكور منه اقتتال الفئتين العظيمتين، وظهور الفتن، وكثرة الهرج، وتطاول الناس في البنيان، وتمني بعض الناس الموت، وقتال الترك قال : ومن النمط الثاني تقارب الزمان، وكثرة الزلازل، وخروج الدجالين الكذابين . ثم ذكر أمثلة لهذا النمط منه ما وقع ومنه ما لم يأت بعد.

قال : ومن النمط الثالث طلوع الشمس من مغربها ثم ذكر أمثلة أخرى لذلك غير أن بعض ما ذكر قد تقدم ومنه قد وجد في زماننا وليس ذلك من الكبرى كتخوين الأمين، وائتمان الخائن، وتكلم الرويبضة، وظهور أمور عظام يتفاقم فيها شأننا، وزوال الجبال عن أماكنها، فإن هذه كلها ظهرت في عصرنا وليست من الأشراط الكبرى.

ثم إنهم ذكروا من العلامات الصغرى كل الأحداث التي وقعت في الأمة بداية من قتل الفاروق فعثمان فعلي فالحسين رضي الله تعالى عنهم حتى العصور الأخيرة اعتماداً على ما ورد من أحاديث الفتن والأشراط العامة.

و سنورد هنا بإذن الله تعالى وعونه عيون الأشراط بجميع أنواعها إن شاء الله تعالى ولا نستوعبها لأن المقصود هو التذكير والوعظ.

العلامات الصغرى بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " بُعثتُ أنا والساعة كهاتين " وضم السبابة والوسطى. وفي رواية كفضل إحداهما على الأخرى.*

و معناه أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعث آخر الزمان قبيل الساعة بحيث لم يبق من بعثته إلى قيامها إلا مقدار ما بين أصبعيه الوسطى والسبابة فهو من أشراطها.

موته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أشراطها في علامات أخرى :

عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال : " أعْدُدْ سِتّاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجلُ مائة دينار فيظلُّ ساخطاً، ثم فتنةٌ لا يَبْقى بيت من

---

* رواه البخاري في الرقاق 134/133/14 ومسلم 90/89/18 والترمذي 2044 في الفتن ومثله عن أبي هريرة عند البخاري 134/14 وعن المستورد عند الترمذي 2043 بسند حسن صحيح.

العرب إلا دخلته، ثم هُدْنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غايةً، تحت كل غاية إثنا عشر ألفاً ". وفي رواية : " فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يسكتني ".*

و قوله " كقعاص " بضم القاف ثم عين هو داء يأخذ الغنم لا تلبث أن تموت وقوله " استفاضة المال " أي فيضانه وقوله " غاية " أي راية.

ففي هذا الحديث الشريف ستة أشراط :

أولاها، موته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهي من أعظم المصائب التي نزلت بالأمة، لا تعادلها مصيبة مهما عظمت.

ثانيها، فتح بيت المقدس، وقد حصل ذلك في خلافة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه سنة ست عشرة من الهجرة على أيدي أبطال الإسلام من الصحابة وطهره الله عز وجل من رجس اليهود والنصارى ثم مع ممر العصور احتله الصليبيون وبقى عندهم عقوداً من الزمان حتى فتح مرة ثانية على يد بطل الإسلام الشهم صلاح الدين الأيوبي وجيوشه وها هو الآن تحت الاحتلال الصهيوني، وسيفتح مرة ثالثة بإذن ________________

* رواه أحمد 25/6 والبخاري في الجزية من الجهاد 88/87/7 وابن ماجة في الفتن 4042.

الله تعالى على أيدي المؤنين الذين ينطق الحجر والشجر ويقولان لهم : " يا مؤمن تعالى هذا يهودي ورائي فاقتله " وهذا لا يكون إلا وقت المهدي أو عيسى عليهما السلام أما مسلموا عصرنا فأسقط وأهون من أن يكلمهم الحجر والشجر وينتصرون على اليهود وقد فقدوا القوتين الروحية، والمادية.

ثالثها، داء عام يصيب المسلمين، وهذا الداء قد ظهر بعضه بالشام أيام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه كان قد أطلق عليه طاعون عمواس – وهو الكليرا – بلغة العصر. وعمواس مدينة بفلسطين كان قد وقع بها الطاعون يقال إنه مات به نحو من خمسة وعشرين ألف مسلم وكان من بينهم البطل أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه.

رابعها، استفاضة المال، وهذا قد وقع كثيرا وكانت بدايته أيام الفتوحات الإشسلامية الأولى وامتد ذلك إلى عصرنا فترى الرأسماليين وكبار التجار يحرزون على أرباح خيالية في يوم واحد فإذا نقص لهم شيء من ذلك وهم غير خاسرين تسخطوا وظلوا يشتكون من القلة والأزمة فالحديث يتجلى في هؤلاء الشياطين بأجلى مظهر.

خامسها، فتنة شاملة لا ينجو منها بيت من العرب، وحمل العلماء هذه الفتنة على الحروب وتقاتل المسلمين وقالوا إن بدايتها كان بقتل أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أوسع من ذلك فهي تشمل فتناً كثيرة تنزل بالعرب يكون بعضها أشد وأعظم من أختها.

سادسها، هدنة بين المسلمين وبين الروم ثم حرب بين الجانبين، وهذه الواقعة لا ندري هل وقعت أم لا على كثرة الحروب الحاصلة بين المسلمين وبين الروم فإن الحديث نص على أنه ستحصل مصالحة بين المسلمين وبين بني الأصفر وهم الروم وأقربهم إلى العرب

الأتراك ثم سيغدرون ويهاجمون المسلمين في جيش كثيف عرمرم يقدر بمليون مقاتل. فإن لم يكن هذا قد حصل أيام الصليبيين عندما هاجمت كل أوربا بلاد المسلمين فلا بد وأن يقع لأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى وقد نقل الحافظ – وهو من رجال القرن الثامن والتاسع – عن ابن المنير أن قصة الروم هذه لم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد .

انشقاق القمـــر

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فانشق القمر فلقتين، فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " اشهدوا " يعني : اقتربت الساعة وانشق القمر.*

آية انشقاق القمر آية عظيمة فهي من أبهر معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن أشراط الساعة وعلامات قربها ولذلك قال تعالى : " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ الْقَمَرُ " القمر، كما قال في آية أخرى : " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ " الأنبياء 1.

---

* رواه أحمد رقم 3583 والبخاري في التفسير وفي السيرة والترمذي وغيرهما وفي الباب عن أنس وابن عمر وجبير بن مطعم وجماعة.

أشراط جامعة متنوعة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي عرضه عليه لا إرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمن من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكْلته إلى فيه فلا يطعمها ".*

---

* رواه البخاري في الفتن 202/196/16 وغيره مطولا ومسلم في الإيمان وفي الزكاة وفي الفتن مقطعا مفرقاً.

في هذا الحديث نحو من إحدى عشرة علامة من علامات الساعة كلها من الأشراط الصغرى إلا طلوع الشمس من مغربها فمن الكبرى وستأتي لاحقاً.

الأولى، تقاتل فئتين عظيمتين دعواهما واحدة، والمراد بهاتين الفئتين هما فئة الإمام علي مع فئة طلحة والزبير . رضي الله تعالى عنهم وقد تكون فئة علي مع فئة معاوية وذلك ظاهر ووقعتا الفئتين معروفتان بوقعة الجمل في الأولى وبوقعة صفين في الثانية وقد ذكرتهما بإسهاب في الفتن من بداية الوصول بلب صحيح الأمهات والأصول فارجع إليه فإنه كافي شافي.

الثانية، خروج الدجاجلة والكذابين، والمراد بهؤلاء المدعون النبوة وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذا الحديث بأن عددهم يقارب الثلاثين وجاء التصريح بهم في رواية بأنهم سبعة وعشرون.

فعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: " في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي ".*

---

* رواه أحمد 396/5 والطحاوي في مشكل الآثار 104/4 والطبراني في الأوسط 5582 بسند صحيح على شرط مسلم.

و قد تقدم في تاريخ الإسلام الكثيرون منهم وكان في العصر الأول مسيلمة الكذاب وجاء بعد هؤلاء المختار الثقفي الذي أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الخصوص وسماه الكذاب كما سمي الحجاج المبير.

و هكذا تتابع الدجاجلة الكذابون دعوتهم النبوة حتى جاء الكذاب الكبير عباس ميرازا غلام أحمد القادياني فخرج في إيران عام 1233 الهجري فادعى النبوة وقد ضل به أقوام لا زال أمرهم ممتداً إلى الآن وهم المعبر عنهم بالقاديانية ويسمون أنفسهم الأحمدية لعنهم الله وقطع دابرهم ولهم إذاعة خاصة في إنجلترا فليكن المؤمن على حذر منهم فإنهم كالحية الرقطاء.

و قد ادعى النبوة والمهدوية جماعة في الشرق والغرب وسيختم هذا العدد المذكور في الحديث بالدجال الأعور لعنه الله.

الثالثة، قبض العلم، والمراد بالعلم الذي يقبض علم الكتاب والسنة ومتعلقاتها وقبضه يكون بقبض العلماء حتى لا يبقى إلا الجهلة فيَضِلون ويُضلون كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله لا يقبض العلم ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالا فسئِلوا فأفتوا

بغير علم فضلوا وأضلوا ".*

فأي عالم توفي ذهب بعلمه ولا يوجد له خُلف فيما كان يحمله من علوم وبذلك ينتشر الجهل بين الناس ويترأس الفتاوى رءوس جهال فيضلون في أنفسهم ويضلون العامة ويأتي حديث أنس : إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل الحديث.

الرابعة، كثرة الزلازل، والزلازل وإن كانت موجودة في كل العصور فإنها كلما قربت الساعة كثرت كعصرنا الحاضر فإنه لا يخلو منها زمان وخاصة بآسيا وأمريكا وقد جاءت في شأنها أحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنها من أشراط الساعة.

فمنها عن سلمة بن نفيل السكوني قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ قال له قائل : يا رسول الله هل أُتِيت بطعام من السماء؟ قال : " نعم " قال : وبماذا؟ قال : " مِسْخَنَةٌ " قالوا : فهل كان فيها فضل عنك؟" قال : " نعم " قال : فما فعل به؟ قال : " رفع وهو يوحى إلي أني ________________

* رواه أحمد 190/162/2 والبخاري في العلم 205/1 وفي الاعتصام ومسلم في العلم 225/223/16 وأهل السنن وغيرهم.

مكفوت غير لا بث فيكم ولستم لابثين بعدي إلا قليلا، بل تلبثون حتى تقولوا متى ؟ وستأتون أفناداً يفني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل ".*

قوله " مسخنة " بكسر الميم القدر وقوله " مكفوت " أي ميت ومضموم إلى القبر وقوله " أفنادا " أي تأتون جماعة إثر جماعة

ضعفاء الرأي من الهرم وقوله " يفني " أي يقتل بعضكم بعضا.
والزلازل هو تحرك الأرض واضطرابها وخسفها.

فالحديث يدل على أن من الأشراط وقوع موتان كثير مع سنوات تكثر فيها الزلازل وهي سنوات عصرنا التي كثرت فيها القتلى بسبب الحروب والآلات المدمرة وانتشار التحركات الأرضية وفي ذلك إنذار بحلول وقت الساعة.

الخامسة، تقارب الزمان، وقد جاء في هذا حديث مفسر وهو : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون الساعة كالشهر، ويكون الشهر ———————

* رواه أحمد 404/4 والدارمي 56 والحاكم 447/4 وسنده صحيح وصححه الحاكم وقال الذهبي من غرائب الصحيح.

كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق الشعفة أو الخوصة ".*

" الشعفة " هي الشعلة من النار.

فتوجيه هذا التقارب الزماني والمكاني هو الذي نعيشه نحن اليوم بعد ظهور هذه المركوبات المخترعة من سيارات، وقطارات، وطائرات، فبها حصل تقارب الزمان والمكان وطيهما فأصبحت المسافات التي كانت تقطع في سنين أو شهور أو أيام تقطع في أيام أو ساعات أو أقل

وهذا من أبهر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتنبآته وآياته.

السادسة، ظهور الفتن، وهذا باب واسع فقد جاء فيه من الأحاديث والأخبار ما أفردت بالتآليف ومن أهمها وأظهرها ما سنورده بحول الله وعونه تعالى :

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أشرف على أُطُم مِن آطام المدينة ثم قال : " هل ترون ما أرى؟ " قالوا : لا، ——————————

* رواه أحمد 538/537/2 وابن حبان 1887 بسند صحيح وله شاهد عن أنس رواه الترمذي في الزهد 2149 بنحوه.

قال : " إني لأرى مواقع الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر ".*

" أطم " بضم الهمزة والطاء هو الحصن أو القصر وقوله " مواقع " جمع موقع أي مواضع وقوعها " خلال " بكسر الخاء أي وسطها.

الفتن جمع فتنة أصلها الاختبار ثم استعملت في كل ما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه ثم أطلقت على كل مكروه أو كان آيلا إليه. كالكفر والآثام، والعذاب والقتال، والإفساد والمال والأولاد والاختلاف والتفرق وكلها إطلاقات جاء بها القرآن والسنة والنبوية

غير أن أكثر ما جاءت به الأحاديث الإخبار بفتنة الحروب والتقاتل على الملك والسلطة . كما يبدو لمن تتبع أحاديث الفتن.

و في الحديث الذي ذكرناه إشارة إلى ما نزل بالصحابة رضي الله تعالى عنهم بالمدينة وغيرها من الفتن التي عمت ودخلت كل البيوت كمقتل عثمان رضي الله تعالى عنه، ووقعة الجمل، وصفين، والنهراوان . ثم انتشرت الفتن في البلاد وشملت كل العصور إلى وقتنا هذا.

---

* رواه البخاري في علامات النبوة 425/7 وفي الفتن 119/118/16 ومسلم في الفتن 7/18.

و عن كُرْز بن علقمة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " تقع الفتن كأنها الظُّلَلُ، تعودون فيها أسَاوِد صُبّاً، يضرب بعضكم رقاب بعض ".*

" الظلل " بضم الظاء وفتح اللام كل ما أظل الإنسان يريد بذلك كأنها السحاب أو الجبال، قوله " أساود " جمع أسود وهو أخبث الحيات والثعابين وقوله " صُبّاً " جمع صبوب أي تسيرون كالأفاعي.

و معنى الحديث أنكم ستصيرون كالأفاعي إذا أرادت النهش واللدغ ارتفعت ثم انصبت علا اللديغ فكذلك ستفعلون مع بعضكم بعضاً.

الفتنة التي تموج كموج البحر :

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : كنا جلوساً عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الفتنة؟ قلت : أنا، قال : هات، قلت : ذكر فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، وفي رواية : والصيام، وفي أخرى : والأمر ________________

* رواه الطيالسي 52 وأحمد 477/3 وابن حبان 1870 بالموارد والحاكم 455/4 بسند صحيح.

بالمعروف والنهي عن المنكر، قال : ليس عن هذا أسألك، أسألك عن التي تموج كموج البحر، قلت : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال : أرأيت الباب يفتح أو يكسر؟ قلت : لا بل يكسر، قال : إذا لا يغلق أبدا، فسئل حذيفة من الباب؟ قال : عمر.*

قوله " تموج " أي ترتفع وتضطرب وقوله " بينك وبينها بابا . الخ " أي بينك وبين زمانها باب مغلق لا زال لم يكسر ولم يفتح بعد.

و في هذا الحديث فوائد : أولا، اختصاص حذيفة بالاطلاع على الفتن المرتقبة وأنه كان على علم بها بتفصيل وتدقيق لكثرة سؤاله النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الشر كما جاء في الصحيح : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . ثانيا، إن الفتن التي تحصل للمسلم مع أهله وجيرانه وفي ماله تكفر وتمحى بأنواع القربات، كالصلاة مثلا، والصيام، والصدقة، والأمر بالخير، والنهي عن الشر،

وهذه حسنات، وقد قال تعالى : " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ " هود 114.

---

* رواه أحمد 405/401/366/5 والبخاري 159/16 ومسلم 7/16/18 وابن ماجة كلهم في الفتن ورواه البخاري في المواقيت وفي الزكاة وفي الصيام وفي التفسير أيضا.

ثالثا، يؤخذ من هذا التكفير أنها تغفر حتى الكبائر لأن الفتن التي تنشأ عما ذكر لا تخلو من كبائر كالشتم مثلا، واللعن، والضرب، والأيمان الكاذبة وغير ذلك والله ذو الفضل الواسع لا يتعاظمه شيء ولا تحجر رحمته.

رابعا، إن الفتن العظمى التي تأتي الناس كأمواج البحر كانت مسدوداً عليها بوجود عمر فلما قتل انفتحت وكسرت أبوابها فلم تغلق إلى ما شاء الله.

و عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إنها ستكون فتنٌ، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه " قال : فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل، ولا غنم، ولا أرض، قال : " يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء اللهم

هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت " قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أُكْرِهْتُ حتى ينطلق بي إلى إحدى الصفين، أو أحد الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني قال : " يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار".*

---

* رواه مسلم في الفتن أيضا 10/9/18.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفُهُ، فمن وجد ملجأً أو مَعَاذاً فلْيعُذ به ".*

قوله " من تشرف " أي من طلع لها بشخصه طالعته والاستشراف للشيء رفع الرأس والنظر إليه وقوله " الساعي " يعني الذي يبحث عنها ويطلبها.

و في الحديثين إشارة إلى أن المراد بهذه الفتن الملاحم والحروب بين المسلمين على الملك والسلطة. وفيهما دليل على عدم الدخول فيها والمشاركة فيها وهذا محمول على المقاتلة في الباطل وعلى الدنيا المجردة ففي هذه الحالة يجب الاعتزال عن الناس وما هم فيه من القتال وأسبابه ويدع سلاحه ويفر بدينه ويكتفي بلبن غنمه أو لقاحه ويتباعد عن العمران ولو في الجبال كما يوضحه الحديث التالي.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال :

---

* رواه أحمد 282/2 والبخاري 139/138/16 ومسلم 8/18 كلاهما في الفتن ورواه البخاري أيضا في أحاديث الأنبياء.

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غَنَماً يَتَّبِعُ بها شَعَف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ".*

قوله " شعف الجبال " بفتحتين جمع جعفة أي أعالي الجبال والمراد بذلك أن يعتزل الناس وينفرد عنهم ويتحرى مواقع العشب والنبات ويكتفي من العيش بما تدره له غنمه من اللبن.

فالمؤمن الشحيح بدينه ينبغي له أن لا يشارك الجماهير فيما هم عليه وفيه من الفتن وخاصة إذا كانوا في باطل نعم إذا كان هنالك فئة محقة يجب نصرها والقتال معها حتى يقضي على الفئة المبطلة.

فزع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من نزول الفتن :

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قالت : استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة فزعاً يقول : " سبحان الله ماذا أنزل اللهُ من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب ___________________

* رواه مالك وأحمد 57/43/30/6/3 والبخاري في الإيمان وفي بدء الخلق وفي الرقاق وفي الفتن 152/16 وأبو داود 4227 والنسائي وابن ماجة.

الحجرات، يريد أزواجه لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة ".*

و في هذا الحديث بيان ما أطلع الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليه من فتوح خزائن الأموال وظهور الفتن التي تنشأ عن ذلك من التنافس والتقاتل عليهما كما وقع.

السابعة، التطاول في البنيان، وهو التنافس في تطويل البناء، والمباهاة في ذلك والتفاخر، وهذا قد وقع امتداداً من العصور الأولى حتى وقتنا هذا، وقد فشى ذلك في هذه العصور وتجلى الحديث بأجلى مظهر في أصحاب ذلك.

و قد سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث المشهور فقال له : متى الساعة؟ فأجابه عن ذلك بقوله : " ما المسئول عنها أعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها، إذا رأيت الأمة تلد ربتها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها، وإذا رأيت البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها ".**

---

* رواه البخاري في الفتن 129/16 والترمذي وغيرهما.

** رواه البخاري في تفسير سورة لقمان 131/10 ومسلم في الإيمان من حديث أبي هريرة ونحوه عند مسلم وغيره من حديث عمر رضي الله تعالى عنه المعروف بحديث جبريل.

فهذه العلامة ظاهرة في الكثير من الحفاة العراة رعاء الشاء ففيهم الملوك والزعماء، وفيهم المتباهون المتنافسون في تطويل القصور والعمارات ذوات الشقق والطباق، وقد كانوا بالأمس القريب رعاة جهلة صما بكما فصلى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم وعلى آله وزوجه وصحبه وحزبه.

أشراط أخرى متنوعـــة

فعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يحدثكم أحدٌ بعدي أنه سمعه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلمُ، ويَظهر الجهلُ، ويَفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويَكثر النساءُ، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأةً قَيِّمٌ واحدٌ ".*

قوله " يرفع العلم " أي يموت أهله كما تقدم " ويظهر الجهل " أي يشيع ويكثر بشئون الدين وأحكامه من حلال وحرام وفرائض وواجبات وقوله " ويفشو الزنا " أي يكثر وينتشر ويظهر وقوله "

ويشرب الخمر " أي يكثر شربه وقوله " قيم واحد " أي من يقوم بأمورهن.

و في هذا الحديث أيضا عدة شروط :

أولا، رفع العلم وظهور الجهل وقد تقدم ذلك.

---

* رواه أحمد 151/3 والبخاري في العلم 189/188/1 ومسلم في العلم 221/16 والترمذي في الفتن 2035 والنسائي في الكبرى 455/3 وابن ماجة في الفتن 4045.

ثانيا، فشو الزنا، وفشوه انتشاره وكثرته كما هو حال واقعنا اليوم فقد عمت به البلوى وظهر في الحواضر والبوادي ظهوراً لم يتقدم له مثيل في تاريخ الإسلام فقد هيئت له الفنادق، والدور المفروشة . في سائر العالم الإسلامي. أما بلاد الكفار فلا تسأل عنها وعما عند أهلها فعندهم كل خزي فلا يعرفون شيئا يسمى العفة والحياء والآداب والأخلاق الفاضلة التي جاءت بها الكتب الإلاهية فالرذيلة والانحلال الخلقي، والميوعة هي السائدة في مجتمعهم . بل بلغ من مجونهم وميوعهم أن أعطوا المرأة حقها في فتح بيت لها مفردة أو جماعياً للاتجار بفرجها يرتادوها كل من أرادها وقننوا حقوقا لكل من يمارس الزنا أو اللواط فلهم الحق في التأمين والصندوق الاجتماعي وللدول أن تفرض عليهن ضرائب وخصص لهن أطباء لعلاج ما عسى أن يحدث لهن بسبب العهر .

و بالجملة فالزنا أصبح فاشياً في سائر الأقطار والحديث عنه يطول ومثله اللواط فهو شقيق الزنا في ذلك نسأل الله السلامة والعافية والحفظ من ذلك.

ثالثاً، شرب الخمر، والمراد بذلك الإكثار منه حتى يصبح كشرب الماء واللبن . وهو الواقع في هذا العصر ولا سيما في البلاد التي تحكمها العلمانية وهي أكثر الأقطار فلا تتجه لجهة إلا وجدت حانات يباع ويشرب فيها الخمر جهاراً يرخص لهم من طرف دولهم أما الفناديق وبعض المطاعم العامة فلا يتورعون عن تقديم الخمور إلى زبائنهم بل الأدهى من ذلك أن تجد الدولة تفرض عليهم بيع الخمور فماذا عسى أن نقول بعد هذا.

رابعا، كثرة النساء وقلة الرجال، والسبب في ذلك أمور ثلاث : أولا ولادة الإناث بكثرة فتجد الكثيرين ليس لهم إلا الإناث، وإذا وجد الذكر فبقلة. ثانيا موت الرجال بكثرة وقلة موت النساء وهذا مشاهد في وقتنا. ومن الملموس أنه يموت عشرة رجال مثلا ثم تموت امرأة واحدة في مقابلتهم ولذلك يوجد الأرامل بكثرة. ثالثا الحروب فقد تأتي حرب ما فيقتل فيها ملايين الرجال لا نقول الألوف ولا يقتل من النساء معهم إلا القليل وقد ذكروا عن الحرب العالمية الثانية أنه قتل فيها ثمانون مليوناً نسمة لم يقتل منهم من الإناث خمس في المائة ولذلك تركوا وراءهم عشرات الملايين من النساء بلا أزواج ولا آباء ولا إخوة وفي الإحصائيات يجدون في كل الأقطار أن جنس الإناث يمثلن أكثر من ضعفي الرجال.

و تخصيص هذه الأشراط بالذكر لاختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح الدين والدنيا وهي الدين، والعقل، والنسب، والنفس، والمال. فالمحافظة على هذه الخمس هي أهم مقاصد الشريعة فاختلالها أو بعضها مؤذن بخراب العالم وقيام الساعة.

المباهاة في المساجـــد

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد "* وفي رواية : " من أشراط الساعة التباهي والتفاخر ".*

و هو واقع منذ القرن الأول أيام بني أمية، وامتد ذلك عصراً بعد عصر حتى وقتنا هذا وأظهر من ابتلي بهذا التباهي الملوك والأغنياء وما أكثر هذا في عصرنا ويزيدون في الطين بلة فيكتبون أسماء بانيها على أبوابها وذلك يدل على عدم الإخلاص في تأسيسها.

---

* رواه أحمد 283/230/134/3 من طرق وابن حبان 308/307.

** رواه أبو داود والنسائي في الكبرى 255/1 وغيرهم وهو حديث صحيح.

أسعد الناس بالدنيا السقطاء

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعٌ بن لكع ".*

اللكع يطلق على معان، والمراد به هنا الساقط اللئيم الذي لا قيمة له ولا اعتبار به عند الله فالحديث من أبهر المعجزات وأشراط الساعة فاللذين يمثلون شئون الحياة ويسعون في مصالح الأمة هم أرباب الثراء وذوو الغنا والأموال الباهضة وأكثرهم سقطاء لا دين لهم ولا قيمة عند الله تعالى. والدنيا تشمل المال والرئاسات والزعامة وكراسي السلطة فهذه الطبقة هي التي تمثل الدنيا اليوم وهم أسعد بها من غيرهم ولذلك انخرم نظام الحياة ديناً ودنيا فالساعة على الأبواب.

---

* رواه أحمد 289/5 والترمذي 2038 وابن ماجة 4043 كلاهما في الفتن بسند صحيح.

ظهور أقوام يأكلون بألسنتهم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها ".*

فهذا الصنف من الناس يحتمل أن يكون على ظاهره حقيقة وهم موجودون اليوم بكثرة في الطبقة اللأخلاقية يتولون الأكل بألسنتهم يلحسون المأكولات لحساً في المطاعم الصغيرة التي تقدم للمارة أكلات خفيفة.

و يحتمل أن يكون ذلك مجازاً، كمن يأكل بالتجسس على الناس، ونقل ما يتكلم به الخطباء والمرشدون والمحاضرون . إلى ذوي السلطة، ويحتمل أن يكونوا الزعماء الخونة أو البرلمانيين، وأهل المجالس البلدية الكذابين على شعوبهم النصابين اللصوص لأموال الدول والشعوب، ويحتمل الأدباء الثرثارين والشعراء الفشارين فكل ذلكم يحتمله الحديث الشريف.

و على أي فكل من يأكل بلسانه سواء كان حقيقة أو مجازاً فهو من أشراط الساعة.

---

* رواه أحمد 184/176/175/1 من طرق هو بها صحيح.

تضييع الأمانـــــة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بينما النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال : فكره ما قال : وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : " أين السائل عن الساعة؟ " قال: ها

أنا يا رسول الله قال : " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال : كيف إضاعتها؟ قال : " إذا وسِّدَ الأمر إلى غير أهله ".*

الأمانة كل ما ائتمن عليه الإنسان، وهي ضد الخيانة، وأعظم الأمانات التكاليف الشرعية بداية من أصول الدين فجميع فروعه من صلاة وزكاة . وهذه هي الأمانة التي عرضها الله عز وجل على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . أي خفن من عدم القيام بها، فحملها الإنسان لجهله بعاقبتها، وظلمه نفسه بعدم الوفاء بالقيام بها.

و قوله " إذا وسد " إذا أسند والمراد بالأمر هنا كما قال العلماء : جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة، والإمارة، والقضاء، والإفتاء، وغير ذلك وهذه ________________

* رواه أحمد 361/2 والبخاري في العلم 151/1 وفي الرقاق 116/14.

العلامة من العلامات التي ظهرت منذ العصور الأولى وامتدت إلى عصرنا هذا فازدادت كثرة فانخرم نظام حياة المسلمين . ولم يبق أمر من الأمور إلا وأسند لغير أهله فالله المستعان على هذه المصيبة وغيرها.

ظهور البتـــرول

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا أنجو " وفي رواية : " يوشك الفرات ، يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً ".*

قوله " يحسر " بفتح الياء وكسر السين أي ينكشف ويذهب ماؤه. و" الفرات " بضم الفاء نهر عظيم بالعراق يأتي من تركيا ويمر بالعراق كدجلة ويصب في الخليج العربي وكشفه عن كنز أو جبل من ذهب إشارة والله أعلم إلى ما ظهر في هذا العصر هنالك من آبار ومعادن البترول حذاء الفرات، ولذلك فهم يسمونه الذهب الأسود وسماه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كنزا أو جبلا من ذهب.

فالظاهر أنه المراد لا سيما وأنه ظهر آخر الزمان علامة للساعة وأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنه سيقع التقاتل لأجله، وأنه سيقتل في سبيله ___________________

* رواه البخاري ومسلم 19/18 في الفتن وأبو داود 4213 والترمذي آخر صفة الجنة.

العدد المذكور في الحديث وهذا واضح بين أن هاجمت أمريكا وإنجلترا العراق وقتل من العدو والعراقيين الشيء الكثير . وقد جاء في رواية : " يحضره شرار الخلق " وحاضروه الذين يتولون استخراجه والمقاتلون عليه هم أعداؤنا الألداء الأمريكيون

والإنجليزيون وهم شر الخلق كما سماهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكما قال الله تعالى فيهم : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ " البينة 6.

و ما في هذا الحديث من أعظم معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلامات الساعة.

صيرورة بلاد العرب مروجاً وأنهاراً

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة . حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ".*

" مروج " جمع مرج هو مرعى الدواب.

هذا أيضا مما وجد في عصرنا فأراضي الجزيرة العربية التي كانت صحراء قاحلة لا ماء فيها . أصبحت اليوم عيوناً ومروجاً وبساتين وأشجاراً ومزارع وهذا من علامات الساعة.

---

* رواه مسلم في الزكاة 97/7 وأحمد 417/371/370/2.

تكلم السباع والجمادات

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنس، وحتى يكلم الرجلَ عذبةُ سوطه، وشراك نعله، وتخبره فخذُه بما أحدث أهلُه بعده".*

تكلم السباع فيه إشارة إلى ما يقع من الحيوانات المعلمة التي يستخدمها اليوم أرباب الألعاب الرياضية والله أعلم بمراد نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أما تكلم السوط والفخذ فلا ندري كيف يكون ذلك نعم قد يكون ذلك والله أعلم إشارة إلى آلة التسجيل التي قد توضع في جيب سروال الرجل أو نحوه فيفتحها ويدع سرواله فتسجل كل ما يجري في المنزل من كلام أهله والله أعلم.

---

* رواه أحمد 84/3 والترمذي في الفتن 2011 والحاكم 467/4 وحسنه الترمذي وصححه هو والحاكم.

البيوت الموشاة وشي المراحل

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يُوَشُّونَها وشيَ المراحيل ".*

" الوَشْيُ " هو نقش الثوب و" المراحيل " فسرها بعضهم بالثياب المخططة وفسرها آخرون بالثياب المنقوشة بتصاوير الرحال.

و الحديث الشريف يشير إلى بنايات خاصة تظهر في الناس تكون من أشراط الساعة، وأنها تكون في أشكال غَرِيبَةٍ غير معهودة للناس ومن رآى تفنن الناس اليوم في زخرفة بناياتهم وقصورهم وأنواع زينتهم أدرك سر هذا الحديث وظهر له مطابقته للواقع.

و يؤخذ من هذا الحديث ذم المبالغة في الزخرفة والإسراف في ذلك لأنه من التبذير وقد قال تعالى : " ولاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ " الإسراء 26-27.

---

* رواه البخاري في الأدب المفرد 777 بسند صحيح.

ظهور النار بالحجــاز

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيءُ أعناقَ الإبل بِبُصرى ".*

الحجاز هي مكة والمدينة وما بينهما وهي غير تهامة ونجد و" بصرى " بضم الباء هي حوران قرب مدينة دمشق.

ظهور النار علامة للساعة تكون مرتين مرة قبيل الساعة بقريب وهي التي تخرج من حضر موت أو قعر عدن تحشر الناس إلى الشام وهي من الأشراط العشر الكبرى وستأتي إن شاء الله تعالى لاحقا في حديث مسلم.

أما الأخرى وهي من الأشراط الصغرى وهي المذكورة في هذا الحديث فقد تقدم خروجها وظهرت في المائة السابعة للهجرة كما ذكر العلماء والمؤرخون.

قال القرطبي في التذكرة : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة، في لية الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري 192/191/16 ومسلم 30/18 كلاهما في الفتن.

و ستمائة، واستمرت إلى ضحى نهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم، عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترى رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكّته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، وينتهي إلى محط الركب العراقي واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام، وسمعت أنها رؤيت من

مكة المكرمة، ومن جبال بُصرى وذكرها أيضا النووي في شرح مسلم والحافظ في الفتح وغيرهما وأنه دام أمرها أشهراً ثم خمدت.

فهذه النار التي ظهرت في القرن السابع هي التي جاء بها حديث الباب وقوله فيها : " تضيء أعناق الإبل ببصرى " يعني أن ضوءها يصل إلى الإبل التي تكون ببصرى من أرض الشام وقال بعضهم إنه كتب على ضوئها بتيماء من الشام ولله في خلقه شئون.

كثرة الروم من أشراط الساعة

عن المستورد رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " تقوم الساعة والروم أكثر الناس ".*

هذه آية أخرى من أشراط الساعة وهي تكاثر الروم قبل قيام الساعة والمراد بالروم هم دول أوربا الآن مع أمريكا وهم متكاثرون حالياً وسيزدادون تصديقاً لقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي لا ينطق إلا عن الله عز وجل.

---

* رواه مسلم في الفتن 23/22/18.

التسافد في الطريـــق

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير " قلت : إن ذاك لكائن قال : " نعم ليكونَنَّ ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن الني صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريتها وراء هذا الحائط ".**

قوله " تتسافدوا " التسافد الوقوع على النساء جهاراً بحضور الناس كما قال النووي في شرح مسلم يعني كما يفعل الحمير وقوله " فيفترشها " أي يجامعها.

و ما ذكره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذين الحديثين قد ظهرت بوادره في عصرنا هذا وخاصة في بلاد الغرب كفرنسا، وألمانيا، وإنجلترا، وأمريكا، وغيرها فإنهم باعتبارهم لا يقولون بمنع العلاقات الجنسية اللا الشرعية ـــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه ابن حبان 1889 بالموارد والبزار 3408 بسند صحيح ورواه الحاكم 457/455/4 من طريقين موقوفا وصححه.

** رواه أبو يعلى 6183 قال الهيثمي 331/7 ورجاله رجال الصحيح.

و لا يعتبرون بتحريم الزنا فلهم دور وأحياء خاصة بالزنا فضلا عن الفنادق والدور الخاصة المفروشة، ولمن يتعاطى الزنا وتتجر

ببضعها من النساء قوانين وحقوق اجتماعية، معترف بها ومصدق عليها من طرف دولهن، ولذلك فإن تعاطي الزنا وممارسته لا يتحاشون عنه ولا يستحيون منه أمام الناس، وقد ذكر من عاش عندهم من المسلمين أن لهم دوراً وأندية تجمع العراة والعرايا، ويتلبسون بالزنا جماعياً، هذا هنا، وآخر هناك . من غير أن يتستروا عن بعضهم بعضاً، وقد يوجد في الشوارع عند أبواب دور الملاهي وغيرها رجال ملتصقون بالعواهر أو الخليلات يزنون بهن من قيام أمام المارة، وما لنا نذهب بعيداً، فهذه المحطات الفضائية التلفزيونية تعرض على شاشاتها من ذلك ما يشاهده كل من فتحها مما يستحيي منه إبليس إن كان له حياء وفي البلاد الإسلامية قريب مما عند الغربيين وهم في طريق ذلك بل قد شوهد في جهات من البلاد الإسلامية تعاطي الزنا تحت أشجار البساتين وعند جدرانها وعند بعض أضرحة الأولياء. وعندما استعمر الأوربيون بلاد الإسلام أعلنوا الزنا رسمياً وجعلوا لذلك أحياء خاصة في كل مدينة فيها دور يتاجر فيها العواهر بفروجهن كما هو موجود في بلادهم . وهذا كله من علامات الساعة الوسطى وسيأتي وقتٌ لاحقاً يتسافد فيه النساء والرجال في الطرقات جهاراً أفشى وأكثر مما يوجد عند أوربا وأمريكا وغيرهما الآن وسيكون ذلك من الأشراط الكبرى وسوف نعود لذكر ذلك في حديث النواس وغيره.

و لنكتف بما أوردناه من الأشراط الصغرى وما يقاربها وتركنا كثيراً منها كغبطة أهل القبور، ووجود المسخ والخسف والقذف، والنساء

الكاسيات العاريات، والسنين الخداعة، والفتوحات الإسلامية، وقتال الترك والأعاجم، وفتح مدينة الروم، ومتاجرة المرأة مع زوجها، وفشو الربا والحرام، وموت الفجأة، وذهاب العقول، وغير ذلك مما يكثر.

الأشراط الكبـــرى

الأشراط الكبرى هي التي إذا ظهرت قامت القيامة على إثرها وهي :

ظهور المهدي، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وظهور الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وذهاب المؤمنين، ورفع القرآن، وكفر الناس وعبادتهم الأوثان، وهدم الكعبة، وانقطاع الحج، ووقوع الخسوفات الثلاثة، وخروج النار من قعر عدن، تحشر الناس إلى أرض المحشر وهي آخر الأشراط بعدها تقوم الساعة. وسنتكلم عليها جميعها حسب ترتيبها بإذن الله تعالى وعونه.

مبادرة الأشراط الستة بأعمال الخير :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " بادروا بالأعمال ستاً : الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم ".*

---

* رواه أحمد 511/407/372/337/2 ومسلم 87/18 وابن ماجة 4056 كلاهما في الفتن.

" خويصة أحدكم " هو الموت فهو تصغير خاصة.

في الحديث الشريف الإرشاد من حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى المسابقة إلى الإتيان بالأعمال الصالحة، والمسارعة إلى الإكثار منها قبل حلول هذه الأشراط الستة، وذلك لما لنزولها من الأهوال التي تداهم الناس وتحول بينهمصش وبين الإتيان بأعمال الخير وهذه الأشراط ستأتي واحدة واحدة إن شاء الله تعالى.

خروج الإمام المهــدي :

عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم قالا : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يكون في آخر الزمان خليفةٌ يقسم المال ولا يَعُدُّهُ " وفي رواية : عن أبي سعيد : " من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عددا ".*

الحثو والحثي هو الحفن باليدين معاً.

و هذا الخليفة المبهم هنا الذي يحثي المال حثيا هو الخليفة المهدي الذي جاء مبيناً في أحاديث أخرى التي جاءت عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق

---

* رواه أحمد 333/317/3 ومسلم في الفتن 39/18.

متواترة كما نص على ذلك جمع من أهل العلم والحديث. فممن نص على تواترها الحافظ في الفتح، والسخاوي في شرح ألفية الحديث، والسيوطي في الأزهار، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، والزرقاني في شرح المواهب، والشوكاني، والقنوجي في كتابين لهما في ذلك وأحاديث المهدي الصريحة جاءت عن نحو من ثلاثين صحابياً. فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وأخرجها أحمد وأبو داود والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وأبو يعلى والحاكم وغيرهم من طرق وأسانيد مختلفة المراتب ومن أصحها بعد الحديث المتقدم الآتي :

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ إسمه إسمي، وإسم أبيه إسم أبي، يملأ الأرض قِسطا وعَدلا، كما ملِئت ظلما وجوراً " وفي رواية : " لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ إسمه إسمي ".*

قوله " يواطئ إسمي " أي يوافقه.

---

* رواه أحمد 448/377/1 وأبو داود في المهدي 4282 والترمذي في الفتن 2060 من طرق صحيحة وحسنه الترمذي وصححه وهو عنده صحيح على شرط مسلم في طريق له.

اتفق أهل السنة على أنه لا تقوم الساعة حتى يبعث الله خليفة يقال له المهدي من أهل البيت يحيي الله به ما اندرس واندثر من الدين، ويميت به ما شاع وعم من ضلال وباطل فيملأ الأرض عدلا كما ملِئت ظلماً وجوراً يحثو المال حثياً ولا يعده عداً. واتفقوا على أن الإيمان بخروجه واجب حتى أنهم ذكروه في جملة العقائد قال السفاريني في " الدرة المضية " :

و ما أتى في النص من أشراط :::::::: فكله حق بلا شطـاط

منهم الإمام الخاتم الفصيـح :::::::: محمد المهدي والمسيـح

قال في شرحه لوائح الأنوار : قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل : لا مهدي إلا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم .الخ.

و قال ابن خلدون في مقدمته : اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وإن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته .

و الحديث يدل على أن علامة خروجه هو ملئ الأرض ظلماً وجوراً على ما هو حاصل اليوم فالعالم اليوم لا تحكمه إلا العلمانية الملحدة أو الظلمة الجائرون.

و هذا المهدي غير ما ينتظره الروافض ممن عندهم في السرداب الخرافي .

الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال :

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " عُِمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال".*

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة.**

---

* رواه أبو داود في الملاحم 4294 بسند حسن.

** رواه الترمذي في الفتن بسند صحيح وهو مرفوع حكماً.

قال الترمذي : والقسطنطينية هي مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر " قالوا : نعم يا رسول الله قال : " لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها الذي في البحر، ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ".*

و عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم :خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا

---

* رواه مسلم في الفتن 44/43/18 وقوله " من بني إسحاق " هذه كلمة شاذة، بل الصواب من بني إسماعيل.

يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله تعالى ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتحون القُسْطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج

فبينما هم يُعِدُّون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فإذا رآه عبد الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته".*

" الأعماق ودابق " موضعان بالشام قرب حلب.

في الحديثين تنبآت ومعجزات للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبيان أشراط للساعة كباراً وما يقاربها ويتضح بيان ذلك في الآتي :

أولا، عمران بيت المقدس وقد ظهرت بوادر ذلك باحتلال اليهود إياه ومحاولتهم جعله عاصمة لهم، وهذا سيعقبه خراب المدينة المنورة التي كانت تسمى في الجاهلية يثرب، فالله تعالى أعلم كيف يكون خرابها على أنها قد خربت آخر أيام الدولة العثمانية، ولم يبق فيها ساكن إلا الجيش التركي.

---

* رواه مسلم أيضا في الفتن 22/21/20/18.

فيكون هذا الخراب المذكور عند قيام الساعة وهي آخر المدن والقرى خراباً كما ورد.

ثانيا، في حديثي معاذ وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أن فتح القسطنطينية وهي " إستنبول " سيَقدمه مقتلة عظيمة بين المسلمين والروم الذين هم أمريكا، وأوروبا، وتركيا، وهي معهم في سوقهم

وسياستهم فلا تفتح إلا بعد معارك طاحنة، وقتال شديد، سيدوم أياماً ينهزم فيه بعض المسلمين ويستشهد آخرون ثم تكون الدائرة في الآخير على الكفار والنصر للمسلمين.

ثالثا، في هذه الملحمة العظمى ستجتمع لها جيوش عرمرمة من الجانبين، ويكون الكفار من الأتراك وحلفائهم هم البادئون، والمهاجمون لديار الإسلام فيأتيهم المسلمون من كل جهة فيجتمعون بالشام، وبه عند الحدود بين الشام وتركيا ستكون بداية المعارك ثم تنتهي بنصر الجيوش الإسلامية ويدخلون تركيا فيفتحون إستانبول.

رابعا، الحديثان صريحان في أن فتح إستانبول سيكون عند خروج الدجال لعنه الله وأن هذا الفتح وهذه الحرب سيكونان على أيدي أصحاب المهدي والله تعالى أعلم.

خامسا، استشكل بعض العلماء فتح إستانبول قبل قيام الساعة مع فتحها في القرن التاسع الهجري وانتشار الإسلام فيها، ولم يكونوا يتصورون أن دولة تركيا ستصبح كافرة ملحدة علمانية تحارب الإسلام والمسلمين كبقية أكثر دول الشعوب الإسلامية.

أخبار خروج الدجال وبعض ما جاء فيه :

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : " إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذر قومه، لقد أنذره نوح قومه،

ولكني سأقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وإن الله تعالى ليس بأعور ".*

الدجال مأخوذ من الدجل وهو التغطية وسمي الكذاب دجالا، لأنه يغطي الحق بباطله وكذبه ويموه على الناس وقد اختلف في سبب تسميته بذلك على أقوال والكلام على الدجال يرتكز على الآتي : متى خروجه، ومن أين يخرج، ووجوده، وصفته، ودعوته وفتنته، ومن سيؤيده وينصره، وما هي عاقبته؟.

---

* رواه أحمد 149/2 والبخاري في الأنبياء وفي الفتن 206/16 وفي التوحيد ومسلم في الفتن 55/18 وأبو داود في السنة 4757 والترمذي في الفتن 2064 وغيرهم.

وقت خروج الدجال :

أما وقت خروجه فقد قدمنا آنفا أنه سيخرج بعد الملحمة العظمى وفتح إستنبول.

من أين يخرج ؟

أما موضع خروجه فيوضحه الحديث التالي :

فعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان ".*

فالحديث الشريف نص في أنه سيخرج من مشرق المدينة، ويأتي حديث أبي هريرة : يأتي المسيح من قبل المشرق. وخراسان مناطق واسعة : عند إيران، وتجاور الشام، والعراق، وسيأتي حديث النواس . أنه يخرج ما بين الشام والعراق وبالضبط سيخرج من جزيرة هنالك مهجورة يوجد فيها لم يصل إليها أحد لحد الساعة كما رأيناها في الخريطة.

---

* رواه أحمد 7/4/1 والترمذي 2066 وابن ماجة 4522 كلاهما في الفتن والحاكم 528/527/4 وسنده صحيح.

وجود الدجال من زمان :

عن فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن تميماً الداري حدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخْم، وجُذام . فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقْرُبِ السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةٌ أهلبُ، كثير الشعر، لا يدرون ما قُبُله من دُبُره من كثرة الشعر، فقالوا : ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة قالوا : وما الجساسة؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر فإنه إلى خبركم بالأشواق قال : لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانةً قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا

فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلْقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ما أنت؟ قال : قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً . ثم ذكر أنه سألهم عن أشياء ثم قال لهم : وإني لمخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صَلْتاً يصدني عنها، وإن على كل نَقْبٍ منها ملائكة يحرسونها " قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطعن بمخصرته في المنبر : " هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة " يعني المدينة " ألا هل كنت حدثتكم ذلك " فقال الناس : نعم، " فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو " وأومأ بيده إلى المشرق قالت : فحفظت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.*

قوله " أرفئوا " أي التجأوا، قوله " أقرب السفينة " بضم الراء جمع قوارب وهي مركب صغير يكون بجنب السفينة وقوله " دابة أهلب " أي شعره غليظ وقوله " اغتلم " أي هاج وجاوز حد المعتاد.

و الحديث نص في أن الدجال كان أيام النبوة موجودا وأنه لا يزال هنالك مغلولا مقيداً معمراً حتى يحين وقته. غير أننا لا ندري متى ولد وأين كان ذلك ومن أوثقه في تلك الجزيرة، وبماذا يعيش.

---

* رواه أحمد 418/373/6 ومواضع من طرق ومسلم في الفتن 83/80/18 وأبو داود والترمذي.

و ظاهر الحديث أنه في جزيرة تحد بالبحر العربي الفاصل بين إيران والعراق وسوريا.

صفة الدجال :

أما صفته فهو بالاتفاق رجل عظيم الخلقة من بني آدم شاب جعد قطط الشعر عينه اليمنى عوراء طافية كالعنبة أو على عينه الشمالية ظَفْرةٌ غليظة مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب ويدل لما ذكرنا الآتي :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت رائي من أدم الرجال له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت رائي من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئاً على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا؟ فقالوا : هذا المسيح ابن مريم، قال : ثم إذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأن عيْنَه عِنَبَةٌ طافية فسألت من هذا؟ قالوا : هذا المسيح الدجال ".*

* رواه البخاري في الفتن 211/16 وغيره ومسلم في الإيمان 223/2.

و عنه قال : ذُكر الدجالُ عند النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : " إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عيْنَه عِنَبَةٌ طافية ".*

قوله " عنبة طافية " بالياء أي بارزة ناتئة كبروز العنبة وورد طافئة بالهمزة أي طمست وذهب ضوءها وصحح الجمهور الرواية الأولى. وقوله " جعد قطط " بفتح الطاء وكسرها يعني شعره كشعر السودان شديد الجعودة.

و عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ".** وفي رواية " أعور العين اليسرى".**

قوله " ظفرة " بفتحات هي جُلَيْدَةٌ تغشى العين.

ففي هذه الأحاديث بيان صفات الدجال وأنه رجل شاب أعور العين اليمنى ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ومسلم في الفتن 59/18 والترمذي 2069.

** رواه مسلم في الفتن 86/85/18.

و أن على عينه اليسرى جليدة قد غشتها، وأن له شعراً قططاً وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن.

و في قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور " إشارة إلى أنه يدعي الألوهية وهو ناقص والله عز وجل سميع بصير . كامل و" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " الشورى 11.

أنصار الدجال هم اليهود والأعاجم :

فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة ".*

و عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام، كأنه وجوههم المجان المطرقة ".**

" أصبهان " عند إيران اليوم و" المجان " جمع مجنة وهو الترس والدرقة و

---

* رواه مسلم في الفتن 86/85/18.

** رواه أحمد 7/4/1 والترمذي 2066 بتهذيبي وابن ماجة 4522 كلاهما في الفتن والحاكم 527/4 وسنده صحيح.

" المطرقة " بضم الميم وفتح الراء بينهما طاء ساكنة هي التي جعل عليها طبقة فوق طبقة لتقوى على رد الرماح والسيوف.

و الحديثان يدلان على أن أتباع الدجال الأول هم يهود إيران . والعجم من الأتراك المجاورين لإيران الذين ذكرت صفة وجوههم في الحديث لأن ذلك ينطبق على الأتراك فهؤلاء هم أول من يتبعه لأنه يخرج من جهتهم ثم تعم دعوته وتنتشر في المعمورة.

طواف الدجال في الأرض وفتنته وأمره وعاقبته :

إن الدجال الأعور الكذاب إذا خرج كون جيوشاً كثيرة ثم يدعي الربوبية فيسخر الله تعالى له ما يريد من الكائنات فيطوف الأرض يفتن الناس ويدعوهم إليه ويعطيه الله جنة وناراً فيمكث في الأرض أربعين يوماً ويأتي المدينة فيمنع من دخولها ثم يقصد الشام فيستقر مع اليهود وهنالك يهلكه الله على يد ابن مريم عليه السلام.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع جتى ظنناه في طائفة النخل فذكر الحديث وفيه : " فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا "، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال : " أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم

كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال : " لا أُقْدُروا له قدره " قلنا : يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : " كالغيث اسْتَدْبَرَتْهُ الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درّاً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون مُمْحِلِين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخَرِبَة فيقول لها : أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يُدركَه بباب لُدٍّ فيقتله ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ".*

قوله " خلة " بفتح الخاء أي طريقا وقوله " فعاث " أي أكثر الفساد وقولــه ________________

* رواه أحمد 182/181/4 ومسلم 70/63/18 وابن ماجة 7045 كلاهما في الفتن.

" سارحتهم " أي مواشيهم وقوله " وأسبغه " أي أطوله لكثرة اللبن وقوله " وأمده خواصر " يعني امتلاء بطونها من الشبع وقوله " كيعاسب النحل " أي ذكور النحل أو جماعته وقوله " جزلتين " بفتح الجيم وكسرها أي قطعتين وقوله " رمية الغرض " يعني يجعل بين القطعتين من الفصل مقدار رمية الغرض ليتحقق الناظرون أنه قطع نصفين وقوله " مهرودتين " أي لابس ثوبين مصبوغين وقوله " جُمان اللؤلؤ " معناه ينحدر منه الماء على هذه الهيأة من الصفاء وقوله " لد " بضم اللام وتشديد الدال مدينة بفلسطين تحت احتلال اليهود لعنهم الله المتوالية.

و عن حذيفة وعقبة بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال في الدجال : " يخرج وإن معه ماء وناراً، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق،و أما الذي يراه الناس ناراً فماء باردٌ عَذْبٌ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه النار فإنه ماء عذب طيبٌ " وفيه رواية : " معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجَّجُ، فإما أدركَنَّ أحدٌ فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فليشرب منه فإنه ماء برادٌ ".*

---

* رواه البخاري 214/213/16 ومسلم في الفتن 62/61/18.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ليس من بلد إلا . سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نَقْبٌ إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج الله تعالى كل كافر ومنافق فلا يدخلها الطاعون ولا الدجال ".*

و عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان ".**

و قوله " نقب " بفتح النون وسكون القاف أي مدخل وطريق.

ففي هذه الأحاديث شرح لفتنة الدجال لعنه الله ومنها يعلم أن فتنته عظيمة وقد جاء في الصحيح : " إنكم ستفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة الدجال ". ففتنة الدجال أعظم من فتنة القبر ولا ينجو منها إلا من قرأ أوائل أو أواخر سورة الكهف، أو من كان ساكنا بمكة أو المدينة فإن الدجال لا يدخل هاتين المدينتين

---

* رواه البخاري آخر الحج 467/4 ومسلم 85/18 والترمذي 2070 كلاهما في الفتن وقوله فلا يدخلها الخ من روايته وهي في البخاري 467/4 من رواية أبي هريرة.

** رواه البخاري آخر الحج 467/4 وفي الفتن 207/16.

الشريفتين فهما محروستان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وفي حديث النواس صفات دقيقة للدجال وتصرفاته فتدبره. والكلام في هذا طويل فلنكتف بما أوردناه.

نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج :

سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كان خاتم أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام أرسله الله تعالى إليهم فانقسموا فيه ما بين مؤمن به وكافر طاعن فيه نظراً لكونه ولد بدون تلقيح الرجال، وأنه لا أب له وقالوا فيه إنه ابن زنا وأمه بغي زانية ثم حاربوه وحاولوا قتله فرفعه الله إليه فهو في السماء الثانية حياً، وسينزل قبيل الساعة ليقتل الدجال، ويحارب اليهود ويبيدهم من الأرض، ويقضي على جميع الملل الكفرية، ولا يبقى إلا دين الإسلام وبه سيحكم وكل هذا لا خلاف فيه بين المسلمين إلا شواذاً قالوا بموته أما من قال بعدم نزوله فلا حظ له في الإسلام وانظر بسط أدلة ذلك في كتابي : " بداية الوصول " وكلامنا هنا يشتمل على النقاط الآتية :

نزول سيدنا عيسى عليه السلام، صلاته خلف إمام لنا، قتله الدجال، قتاله اليهود مع المؤمنين، وضعه الجزية، وقتله الخنزير، وكسره الصليب، وخروج يأجوج ومأجوج في أيامه، ونزول البركة والخير في حياته، وقضاؤه على جميع الملل، جمع الصلاة له، مدة بقائه وموته.

عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه : ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة . فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق .الحديث تقدم قريبا بطوله

ففي هذا نص على أنه سينزل بدمشق عند المنارة البيضاء وهذه المنارة موجودة ليومنا هذا وقد زرناها عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف وهي قديمة التأسيس فقد تحدث عنها الحافظ ابن كثير وقبله الإمام النووي رحمهما الله تعالى.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا " وفي رواية : " حكما مقسطا، وإماما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفبض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليه شهيدا ".*

---

* رواه أحمد 538/2 والبخاري في أحاديث الأنبياء 302/7 ومسلم في الإيمان 189/2 ==

و عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " الأنبياء إخوة لِعِلاَّتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم،

لأنه ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين مُمَصَّرَتَيْنِ كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجال، وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ".*

قوله " إخوة لعلات " بفتح العين وتشديد اللام هم الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد كما يقال للإخوة الأشقاء أولاد الأعيان.

و أراد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله لعلات الخ أن دين الأنبياء واحد، وشرائعهم مختلفة فالحديث الشريف كسابقه نَصٌّ على أكثر ما يفعله سيدنا عيسى ـــــــــــــــــــــــــــ

== والترمذي وابن ماجة كلاهما في الفتن.

* رواه أحمد 437/406/2 وابو داود في الملاحم 4324 وابن حبان 6821/6814 والحاكم 595/2 وسنده صحيح على شرط مسلم.

عليه السلام بعد نزوله فيدعو الناس للإسلام ويقاتلهم عليه، ويقتل الدجال، ثم قضاؤه على كل الملل غير الإسلام، وقتله الخنازير، وعدم قبوله الجزية من غير المسلمين فلا يقبل إلا الإسلام، وتكسيره صليب النصارى الذي كان لهم شعاراً للتثليتث والنصرانية وحصول الأمن

حتى إن السباع المفترسة ترتع مع الأنعام ولا تفترسها، والأطفال يلعبون بالأفاعي ولا تنهشهم وتلدغهم وتنزل البركة ويعم الخير الناس ويعيش حاكما مقسطا أربعين سنة ثم يموت.

و عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال : ينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وآله وسلم فيقول : أميرهم تعال صل لنا فيقول : لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة ".*

أفادنا هذا الحديث أن أمة الإسلام لا يزال فيها من يعمل بالحق ويقاتل عليه حتى يأتي أمر الله كما أفادنا أن إمامنا للصلاة بعد نزول عيسى سيكون منا وقد جاء في رواية عند مسلم : " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم".**

---

* رواه مسلم في الإيمان 194/193/2.

** رواه البخاري في الأنبياء 304/7 ومسلم 193/2.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغَرقَد فإنه من شجر اليهود ".*

" الغرقد " بفتح الغين والقاف.

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " تقاتلكم اليهود فتظهرون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله " وفي رواية : " فتسلطون عليهم ".**

و الحديثان من معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم التي نشاهدها فاليهود والمسلمون يتقاتلون في فلسطين ولم يكن لِلْيَهود أيام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا بعده بزمان نفوذ ولا دولة ولا قوة وسيأتي يوم يهزم فيه اليهود ويقتلون تقتيلا حتى لا يبقى لهم أثر وسيكون ذلك أيام عيسى عليه السلام

---

* رواه البخاري في الجهاد 2926 ومسلم في الفتن 45/44/18.

** رواه أحمد 122/2 والبخاري في المناقب 3593 وفي الجهاد ومسلم 44/18 والترمذي في الفتن 2065.

حيث سيقتل الدجال عند باب مدينة لدّ ثم يقاتل اليهود ومعه النخبة الصالحة التي تمثل الأمة المحمدية يجتمعون عنده من كل جهة.

أما مسلموا عصرنا فهم أسقط من أن ينتصروا على اليهود، وتكلمهم الجمادات لأنهم ليسوا بأهل لذلك، فهم لا يملكون ما عند اليهود من الأسلحة المتطورة والمدمرة، كما أنهم ليس لهم من الدين والقوة

المعنوية الروحية ما يمكنهم من هزم اليهود وظهور الكرامات على أيديهم في إنطاق الحجر والشجر.

خروج يأجوج ومأجوج وباقي الكلام على عيسى وأواخره :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " فُتِحَ اليوم من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثْلُ هذا "، وعقد تسعين.*

و عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذكره الدجال ونزول عيسى قال : " فبينما هو كذ لك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم

---

* رواه البخاري 226/16 ومسلم 4/18 كلاهما في الفتن.

على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرةً ماءٌ ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق

البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله تعالى مطراً لا يكن منه بيت مَدَر ولا وبَر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة، ثم يقال للأرض : أنبتي ثَمَرَتك، ورُدي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بِقِحْفِها، ويبارك في الرَّسْل، حتى إن اللِّقْحة من الإبل لتكفي الفِئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبائل من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة ".*

قوله " الزلفة " بفتحات أي المرآة في صفائها و" العصابة " الجماعة و" اللقحة"

---

* تقدم أنه في صحيح مسلم.

بكسر اللام وفتحها القريبة العهد بالولادة من الأنعام و" الفئام " الجماعة الكثيرة وقوله " قحفها " بكسر القاف هو مقعر قشرها وقوله " يتهارجون " أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس جماعاً جماعياً فيكونون كالحمير لا يبالون ولا يستحيون.

و قوله في حديث أبي هريرة " فتح الخ " " الردم " هو ذلك السد الذي بناه ذو القرنين ووجود يأجوج ومأجوج وخروجهما نص عليه القرآن وجاءت به السنة المشرفة عن جماعة من الصحابة أما

وجودهم وذكر السد دونهم فجاء في قصة ذي القرنين في قوله تعالى من سورة الكهف : " قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ سَدّاً " 94.

أما خروجهم فجاء في قوله تعالى من سورة الأنبياء : " حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ " 96.

فخروج هذا الجنس من علامات الساعة الكبرى وسيخرجون أيام عيسى عليه السلام كما فصله حديث النواس المذكور. وهذا الجنس لا ندري من هو كما لا ندري أين يوجد سدهم بالضبط وقد اختلف المفسرون والمؤرخون اختلافاً كثيراً فيهم وفي سدهم فأمر هؤلاء من أشكل المشاكل فالواجب علينا الإيمان بما قال الله عز وجل وما قاله رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيهم ونكل أمرهم وحقيقتهم إلى الله تعالى وكفى. وانظر كتابي " بداية الوصول " تستفـــــد.

و قد فصل لنا حديث النواس ما سيقع أيام سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من خروج البركة ورغد العيش وخصب الأرض وبركة ضروع الإبل والبقر والغنم وما جاء في ذلك من فيضان الخير والعيش الرغيد وظاهر حديث النواس أن الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين ستكون أيام عيسى وهذا خلاف ما جاء في أحاديث أخرى أنها ستكون بعد الدابة وطلوع الشمس من مغربها فلعل ذلك وقع من تصرف الرواة والناقلين ومن تمام الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام أنه سيمكث حكما عدلا أربعين سنة كما تقدم

في حديث أبي هريرة الصحيح غير أنه يعارضه ما في صحيح مسلم أنه سيمكث سبع سنين فالله أعلم.

طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة :

عندما يهلك الله يأجوج ومأجوج وتنقضي أيام سيدنا المسيح عليه السلام التي لم يتقدم لها مثيل في تاريخ الإسلام منذ عصر نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من انتشار العدالة والأمن والعيش الرغيد وصلاح المجتمع الإنساني. سرعان ما تنقلب الأوضاع، وتتبدل الأحوال، ويظهر الفتور في الناس ويطل المفسدون قرونهم فعند ذلك تباغتهم آيتان عظيمتان وعلامتان قطعيتان من أشراط الساعة الكبرى تلكما هما طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة فأيتهما ظهرت كانت الأخرى على إثرها.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثاً لم أنسه بعدُ، سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً ".*

فالحديث نص في أن خروج هاتين الآيتين متقارب غير أن قوله " إن أول الآيات الخ " مؤول كما قال العلماء بالآيات التي ليست مألوفة فطلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة تكون أول الآيات السماوية كما أن خروج الدابة على شكل غير مألوف تخاطب

الناس وتسمهم بعلامة الإيمان والكفر خارج عن مجاري العادات فهي أول آية كونية أرضية ووجهوا الحديث بهذا لأن الإجماع على أن خروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج قبل الطلوع والدابة.

---

* رواه مسلم في الفتن 78/77/18.

انغلاق باب التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ".*

فإذا طلعت الشمس من غير طلوعها المعتاد سد باب التوبة ولم يعد ينفع الإنسان شيء من إيمان أو عمل صالح وفي هذا يقول الله تعالى : " يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً" الأنعام 158.

أما الدابة فجاء في صفتها أنها لا يفوتها هارب، ولا يلحقها طالب، وأنها تخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلو وجه المؤمن بالخاتم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في التفسير ومسلم في الإيمان 294/2 وغيرهما ونحوه في مسلم أيضا 195/2 وفي الموضوع أحاديث كثيرة.

- عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلو وجه المؤمن بالخاتم، حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا : يا مؤمن، ويقول هذا : يا كافر ".*

عشر آيات جاءت في نسق واحد :

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : " لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوفات : خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا ".**

ــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 295/2 والطيالسي مع منحة المعبود 2789 والترمذي في التفسير وابن ماجة 4066 والحاكم 485/4 وحسنه الترمذي وصححه الشيخ أحمد شاكر وفيه ابن جدعان فيه كلام.

** رواه مسلم رقم 2901 وأبو داود 4311 والترمذي 2013 والنسائي في الكبرى 424/6.

فهذا الحديث الشريف ذكر فيه عشر آيات من الأشراط الكبرى تقدم لنا منها أربع : الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وبقي منها خمس مع بقية من شأن الدابة وقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم عنها أن الناس إذا انحرفوا عن الطريق وكفروا وفجروا وعم الفساد الأرض غضب الله تعالى عليهم وأوجب لهم العذاب وأخرج لهم دابة من الأرض تخاطبهم وفي ذلك يقول تعالى : " وإِذَا وقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ "النمل 82.

" وقع القول " أي وجب العذاب وغضب الله عليهم.

فهذه الدابة مع إيماننا بخروجها لا ندري شكلها مع علمنا بأنها مخالفة لدوابنا المألوفة.

الدخـــــان :

اختلف السلف وتبعهم الخلف من العلماء في هذا الدخان الموعود به في هذا الحديث والوارد في قوله تعالى : " فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ " الدخان 10-11.

فذهب فريق منهم إلى أنه تقدم أيام النبوة بمكة المكرمة وهو الذي رواه البخاري في تفسيره عن ابن مسعود، وذهب فريق آخر إلى خروج الدخان من أشراط الساعة الكبرى بدليل حديث حذيفة بن أسيد المتقدم وحديث حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " أول الآيات : الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تقيل معهم إذا قالوا، والدخان " قال حذيفة : يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الآية : " يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ " يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوما وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره ".* ونحوه عن أبي مالك الأشعري.** وفي الموضوع عن الصحابة آثار.***

---

* رواه ابن جرير في تفسيره 114/25 ورجاله رجال الصحيحين غير عصام بن رواد ففيه وفي والده كلام لكن الحديث معناه صحيح.

** رواه ابن جرير أيضا والطبراني وجوده السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور.

*** انظر ابن جرير وابن المنذر في الدر المنثور.

و رجح شيخ المفسرين ابن جرير وغيره رحمهم الله تعالى أنه وقع أيام النبوة في كفار قريش وسيقع آخر الزمان قبيل الساعة ومال الإمام النووي رحمه الله تعالى وكثيرون إلى أن هذا الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة . الخ والحقيقة ما قاله ابن جرير .

الخسوفات الثلاثة :

الخسف عبارة عن غيبوبة سطح الأرض داخلها بجابلها وصخورها وبناياتها وأنهارها . وهو من أنواع العذاب الذي يبعثه الله تعالى على عباده عندما يسرفون في الكفر والإجرام ومحادة الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

و قد وقعت زلازل وخسوفات كثيراً عبر التاريخ بل لا تكاد تمر سنة أو بضعة شهور لم يقع فيها خسف . في ناحية من نواحي المعمورة وقد شاهدنا وسمعنا في عصرنا هذا خسوفات هائلة عندنا بالمغرب الأقصى، وبإيران، وبأفغانستان، وغيرها.

نعم الخسوفات الثلاثة الواردة في حديث حذيفة الغفاري لم تأت بعد، لأنها خسوفات تخالف كل خسف سبق، فستكون هائلة عظيمة لم يسمع بمثلها لأنها من الأشراط الكبرى تخالف المألوفات وما يعهده النـــــــــــاس.

و مواقع هذه الخسوفات في ثلاثة مواضع : أحدها بالمغرب وقد يكون بالشام فمصر فليبيا فتونس فالجزائر فالمغرب الأقصى فأمريكا،

وثانيها بالمشرق وقد يحصل ذلك بإيران، أو الباكستان، أو الهند، أو في الصين، أو في غيرها من الدول الأسيوية الشرقية فلا ندري في أي قطر ستقع. أما جزيرة العرب فمعروفة وهي ما بين البحر العربي الخليجي شرقاً، والبحر الأحمر غرباً، وما بين المحيط الهندي جنوباً فتدخل فيها اليمن كلها، وما بين دجلة والفرات بالعراق شمالا فما بين هذه الحدود هي المعبر عنها بالجزيرة العربية ولا ندري أين يقع هذا الخسف منها أفي اليمن أم في الحجاز وتهامة، أم في الإمارات، وما جاورها أم ماذا فالله تعالى أعلم.

و لا شك أن هذه الخسوفات ستكون عقاباً لأهل ذلك الزمان وانتقاما منهم لما سيتصفون به من الانحلال والميوعة وترك شرع الله تعالى وهداه واتباع الأهواء وسبيل الشيطان، ولا ندري فلعل ذلك يكون لأهل زماننا فإنهم قد بلغوا النهاية في التمالؤ على محاربة الله تعالى وارتكاب كل الفواحش جماعياً واتفاقهم على ترك تحكيم شرع الله عز وجل، والاستهتار بأوامر الله تعالى وتكاليفه .

فقل لي يا أخي المسلم : ماذا ننتظر بعد هذا نسأل الله العفو والسلامة آمين.

يبقى من العشر المذكورة خروج النار من عدن، وبما أنها الآية الأخيرة من الأشراط عقبها تقوم الساعة سنؤخرها بعد ذكر ما بقي من الأشراط الكبرى.

هدم الكعبة على أيدي الحبشة :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يُخَرِّبُ الكعبة ذُو السُّوَيْقَتَيْن مِن الحبشة ".*

و في رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : " كأني أنظر إليه أسود أفحج ينقضها حجراً حجراً ".** وفي رواية لعبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصَيْلَعَ، أفَيْدَمَ، يضرب عليها بمسحاته ومعوله ".***

---

* رواه البخاري في الحج 207/4 ومسلم في الفتن 25/18.

** رواه البخاري 206/4.

*** رواه أحمد 220/2 وقال ابن كثير : إسناد جيد قوي.

قوه السويقتين تثنية سويق مصغر سوق وقيل له ذلك لأن سيقان أهل الحبشة رقيقة عوجاء وقوله " أفحج " بالفاء والحاء آخره جيم أي به عوج في المفاصل وقوله " أصيلع " تصغير أصلع وهو الذي انحسر شعر رأسه عن مقدمه وهذه صفة الحبشة وقوله " أفيدم " بضم الهمزة الذي زالت مفاصله عن أماكنها.

إن حرم الله المكي جعله الله حرماً آمنا من يوم خلقه . لا يسفك فيه دم، ولا يصطاد صيده، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاه، وهو مع ذلك

ذو أمن وأمان وزاده الله تعالى حرمة بعد أن بناه خليل الرحمان عليه الصلاة والسلام وجعله الله قبلة للناس وقياماً لدينهم ودنياهم يحجونه ويطوفون به ويزورونه . على امتداد زمان الخليل إلى أن جاء خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يزل محترما مقدساً محمياً من الله عز وجل لا يؤمه جبار ولا ظالم إلا قصمه الله وأهلكه وحسبنا ما قصه الله عز وجل علينا من قصة أصحاب الفيل وكيف أهلكهم الله وأباد خضراءهم . لكن الله عز وجل سيمكن في آخر الزمان قوماً من الحبشة فيخربونه وذلك عندما يحصل من أهله استحلال حرمته وينقطع من الأرض من يحجه ويزوره.

و قد غزاه المسلمون وانتهكوا حرمته مراراً، من اشهر ذلك غزو أهل الشام له أيام بني أمية وقتالهم ابن الزبير بمكة المكرمة وعند الكعبة وداخل المسجد، ثم غزي بعد ذلك في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة الشيعة القرامطة بعد القرن الثالث فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة ثم غزي بعد ذلك مراراً حتى في عصرنا هذا وانتهكوا حرمته وسفكوا فيه دماء الأبرياء وأصبح الحرم الشريف غير محترم عند أهله مستهدفاً لاستحلاله على أيدي أهله فإذا فعلوا ذلك سلط الله تعالى عليهم من يهدمه لهم ويخربه وقد جاء في السنة المطهرة ما يشير إلى ما ذكرنا :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يُبَايَعُ لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهلُه، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي

الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه ".*

فهذا الحديث الشريف يبين أن أهل الحرم وهم سكانه مع حجاجه وزواره من المسلمين إذا انتهكوا حرمته واستحلوا محارم الله فيه أهلكهم الله تعالى كما هو واقعنا اليوم ثم بعد تأتتي الحبشة فيغزونه ويخربون الكعبة ثم لا تبنى بعد ذلك حتى تقوم الساعة، ولا شك أن هذا سيكون في الفترة ما بين الأشراط المتقدمة وبين

---

* رواه أحمد 351/291/2 من طرق بسند صحيح.

قيام الساعة عندما يذهب الدين وأهله ولا يبقى من يحج البيت.

و الأحاديث متضافرة على أن الحبشة سيغزون مكة ويخربون الكعبة ولا ندري كيف يغزون ذلك والحبشة الآن مفرقة إلى دويلتين صغيرتين ضعيفتين متحاربتين فالله تعالى أعلم بغيبه.

ذهاب الإيمان وبقاء الأشرار ورفع القرآن ثم عبادة الأصنام :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ".*

و عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث له طويل في خروج الدجال

ونزول عيسى وفيه : " ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه " قال : سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله

---

* رواه مسلم في الإيمان 132/2.

و سلم قال : " فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ".*

و قوله " كَبَد جبل " أي وسطه وقوله " في خفة الطير وأحلام السباع " معناه يكون الناس وقته في تسارعهم إلى الشر والفساد كطيران الطير، وفي عدوانهم وظلمهم في صفة السباع العادية الضارية.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلَصَة، وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية " وفي رواية : " حول ذي الخلصة ".**

و " الخلصة " بفتحات.

---

* رواه مسلم في الفتن 76/75/18.

** رواه أحمد 171/2 والبخاري 188/16 ومسلم 32/18 كلاهما في الفتن.

و عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى " فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " أن ذلك تاماً قال : " إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم ".*

و عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " يَدْرُسُ الإسلامُ كما يدرس وشْيُ الثوب حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسْرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آيةٌ ويبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون : أدْركنا آباءنا على هذه الكلمة : " لا إله إلا الله " فنحن نقولها "، فقال له صلة : " ما تغني عنهم " لا إله إلا الله "؟ وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار ثلاثاً ".**

* رواه مسلم في الفتن 33/18.

** رواه ابن ماجة 4049 والحاكم 473/3 كلاهما في الفتن وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وكذا صححه البوصيري في الزوائد.

قوله " يدرس " بفتح الياء وضم الراء أي صار بالياً عتيقاً، وقوله " وشي الثوب " أي نقشه ومعناه سيذهب الإسلام حتى لا يبقى إلا أثره.

إذا ظهرت الأشراط الكبرى الهائلة، كالدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ومات عيسى عليه السلام تتابعت الأحداث الخطيرة التي تنذر بحلول الساعة ويبدو ذلك جلياً في هذه الأحاديث الشريفة التي أوردناها، فإنها دالة على أن الحالة ستتتغير بسرعة وتنقلب الأوضاع ويتغرب الإيمان فيبعث الله عز وجل ريحا طيبة باردة تأتي من جهة اليمن أو الشام فتقبض روح كل مؤمن، ولو كان ضعيف الإيمان، ويسرى على القرآن فيرفع ولا يبقى له في الأرض أثر، لأنه لم يبق له أهل يؤمنون به ويعملون بما فيه، فعند ذلك يناديهم الشيطان فيستجيبون له فيأمرهم بعبادة الأصنام فيرجعون إلى ما كان عليه آباؤهم في القديم حتى لا يكادون يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً ولا يدرون شيئاً من شعائر الدين إلا ما ورثوه من آبائهم أنهم وجدوهم يقولون لا إله إلا الله ويصيرون همجاً يتسافدون ويجامع رجالهم النساء جماعا جماعياً في الطرقات كالحمير

كما ظهرت بوادر ذلك اليوم في أوربا وأمريكا كما قدمنا وعلى هؤلاء وأمثالهم تقوم الساعة كما في الحديث التالي :

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : " الله الله " وفي رواية : " لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله الله ".*

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ".**

ففي هذين الحديثين بيان أن الساعة إنما تقوم على شرار الخلق وهم الكفار لأنهم شر البريئة كما أخبر الله تعالى عنهم ولا يبقى عند قيامها على وجه الأرض من يعتقد الله إطلاقاً.

آخر الأشراط خروج النار من قعر عدن :

تقدم في حديث حذيفة الغفاري . قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وهو كما قدمنا في صحيح مسلم.

---

* رواه أحمد 107/3 ومسلم في الإيمان 178/177/2 والترمذي في الفتن 2037 وغيرهم.

** رواه مسلم في الفتن 88/18.

و عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ستخرج نار من حضر موت، أو من بحر حضر موت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس " قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا؟ فقال : " عليكم بالشام " وفي رواية : " ستخرج عليكم في آخر الزمان ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين، وراهبين، وإثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتَهم النارُ، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا ".**

المراد " بالطرائق " الفرق وقوله " راغبين وراهبين " معناه منهم آملون رحمة الله ومغفرته وآخرون خائفون عقاب الله وعذابه.

---

* رواه أحمد 119/53/8/2 والترمذي في الفتن 2047 وغيرهما وحسنه الترمذي وصححه وهو عنده على شرط الصحيحين.

** رواه البخاري آخر الرقاق 167/166/14 ومسلم في كتاب الجنة 194/17.

و هذه النار المذكورة في هذه الأحاديث التي تخرج من اليمن، وبالضبط من بحر حضر موت، أو من قعر عدن أي من عمقه، هي

غير النار التي خرجت في المدينة المنورة الوارد فيها حديث : تخرج نار من الحجاز كما قدمنا وأنه كان خروجها في القرن السابع الهجري.

أما هذه المذكورة هنا فهي نار أخرى تكون خاتمة الأشراط الكبرى، وإنها ستخرج من بحر اليمن وقد اكتشف الباحثون حديثاً أن في بحر عدن براكين نارية فمن الجائز أن تتفجر تلك البراكين وتخرج منها النار التي تحدث عنها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويكون في ذلك معجزة أخرى للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زيادة على الأشراط وهذه النار تعم الجهة الشرقية كما جاء في بعض الروايات ثم تطرد التاس إلى المحشر وهو بلاد الشام، تصبح وتظل وتمسي معهم والناس في ذلك سائرون معها كما يشاء الله تعالى وتعبير النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتعاقب الناس الأبعرة في سيرهم هو عبارة والله أعلم عن ركوبهم السيارات إلى الشام فإن الإبل ولا المراكب القديمة لم تبق لها قيمة مع هذه المخترعات والله سبحانه لا يبدل سنة أظهرها في خلقه كما يقال : إن هذه المخترعات، والأسلحة الحالية ستعطل أيام عيسى وآخر الزمان فإن هذه خرافة تخالف سنة الله تعالى في كونه والحشر المذكور في حديث أبي هريرة ليس حشراً للآخرة كما قيل بل هو في الدنيا قبل القيامة فقد نقل الحافظ عن الخطابي رحمهما الله تعالى أنه قال : هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل

والتعاقب عليها، وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس . حفاة عراة . وصوب القاضي عياض هذا القول ورجحه أيضا الطيبي وأقر كل ذلك الحافظ في الفتح. وهذا هو الصواب والحق الذي لا ينبغي اعتقاد سواه.

و بخروج هذه النار وحشر الناس إلى الشام تتم الأشراط الكبرى ثم يعقب ذلك النفخ في الصور ثم قيام الساعة.

النفخ في الصـــور

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :" وكيف أَنْعَمُ وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يُؤْمَرُ بالنفخ فينفخ " فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال لهم : " قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ".*

قوله " كيف أنعم " بفتح الهمزة والعين أي كيف يطيب لي عيش وصاحب القرن قد استعد للنفخ.

و عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال : ما الصور؟ قال : " قَرْنٌ ينفخ فيه ".**

---

* رواه أحمد 7/3 والترمذي في القيامة 2252 وفي التفسير وغيرهما وهو صحيح لشواهده منها عن أبي هريرة عند الحاكم 559/4 بسند صحيح على شرط مسلم وعن زيد بن أرقم رواه الطبراني.

** رواه أحمد 192/262/2 وأبو داود في السنة 4742 والترمذي في القيامة 2251 وفي التفسير والدارمي 2801 وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم 436/2 ج560/4.

الصور هو قرن كما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفخ فيه سيدنا إسرافيل عليه السلام وهو الناقور المذكور في قوله تعالى : " فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ " المدثر الآية 8.

و لا ندري كيف صفته، ولا مما هو؟ فحسبنا الإيمان به. والنفخ فيه يكون إعلاماً بقيام الساعة. وسيكون غير ما مرة، فهناك نفخة الفزع، ونفخة الصعق، أي موت كل الخلائق، ونفخة القيام لرب العالمين. وقيل : هما نفختان : نفخة الفزع وهي نفخة الصعق، ونفخة القيامة وبهذا قال جمهور العلماء مستدلين بالآتي :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً، ورفع لِيتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله تعالى مطراً كأنه الظَّلُّ فتنبت منه أجساد الناس، " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ " ".*

قوله " ليتا " بكسر اللام أي جانب العنق و" أصغى " أمال وقوله

---

* رواه مسلم في الفتن 86/18.

" يلوط حوض" أي يصلحه وقوله " كأنه الظل " أي كمني الرجال.

و عن أوس الثقفي رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " من أفضل أيامكم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما بين النفختين أربعون " قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما، قال : أبيت، قالوا : أربعون شهراً، قال : أبيت، قالوا : أربعون سنة، قال : أبيت، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال : " وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عَجْبُ الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة".**

قوله " أبيت " أي امتنعت من تعيين الأربعين. لأنه لم يأت ما يبين ذلك من وجه صحيح وقوله " عجب الذنب " بسكون الجيم وفتح الذال والنون هو عظم لطيف في أصل الصلب.

فهذه الأحاديث هي مستند الجمهور بأن النفخ سيكون مرتين : نفخة الصعق ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 8/4 وأبو داود 1047 وابن ماجة 1085 وغيرهم بسند صحيح.

** رواه البخاري في تفسير سورتي الزمر 172/10 والنبإ ومسلم في الفتن 91/18.

و عندها سيكون الفزع، ثم نفخة القيامة والبعث.

و ذهب جماعة آخرون من العلماء منهم ابن العربي المعافري، والإمام ابن تيمية، ورجحه ابن كثير واختاره . إلى أنها ثلاث نفخات : نفخة الفزع، ونفخة الصعق والموت، ونفخة القيامة والنشور. وعلى أي فأول شيء يطرق أسماع أهل الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة التي آخرها نار بحر عدن، نفخة الفزع التي سينفخها إسرافيل عليه السلام الذي استعد لها منذ أزمنة، فلا يبقى أحد من أهل الأرض إلا فزع وأمال عنقه ورفعها يستمع إلى ذلك الأمر الهائل الذي أزعجهم وشغلهم عما كانوا فيه من رغد العيش، وحياتهم الصاخبة، ثم تأتي نفخة الصعق وموت كل الخلائق، ثم يعقب ذلك نفخة البعث والقيام لرب العالمين.

و قد ذكر الله عز وجل النفخ في الصور بجميع مشاهده في القرآن الكريم فقد ذكر في الأنعام، وفي المؤمنون، وفي النمل، وفي الزمر، وفي قاف، وفي يس، وفي المدثر، وفي صاد، وفي النازعات وغيرها .

قال في الأنعام : " قَوْلُهُ الْحَقُّ ولَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ " 73، وقال في الكهف: " ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً " 99، وقال في طه : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً " 102، وقال في النمل : " ويَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ ومَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ، وتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ " 87-88، وقال في يس : " مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ، ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ " 49-50-51، وقال في ص : " ومَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ " 15، وقال في الزمر : " ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ ومَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ " 68، وقال في ق : " ونُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ " 20، وقال في الحاقة : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ، وحُمِلَتِ الْأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وقَعَتِ الْوَاقِعَةُ " 13-14-15، وقال في المدثر : " فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ " 8-9-10، وقال في النبإ : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً " 18.

فهذه الآيات قد استوعبت جميع النفخات أو النفختين : فآية النمل والزمر اشتملتا على النفخات الثلاث . وليس ذلك نصا فيهما، أما آية

يس ففيها نفخة الصعق، ونفخة القيام لله، وآية الحاقة جاءت في الفناء وقيام الساعة، وباقي الآيات جاءت في نفخة البعث والنشور.

هذا ما يتعلق بالنفخ في الصور في جميع مراحله يبقى قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " ما بين النفختين أربعون " بعدما عرفنا أن الأربعين مجملة فما هما النفختان؟ الظاهر أنهما نفخة الصعق، ونفخة البعث وبينهما تبدل الأرض والسماوات وتمطر الأرض بمثل مني الرجال كما تقدم ويأتي.

فناء الدنيا وقيام الساعـــة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ".*

" اللقحة " هي ذات اللبن من النوق.

و عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : "تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي، يريد عوافي السباع والطير، وآخر من يحشر راعيان من مُزَينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرَّا على وجوههما ".**

قوله " لا يغشاها " أي لا يأتيها وقوله " خرًّا " أي سقطا.

الحديث الأول يدل على أن الساعة تأتي الناس بغتة تفاجئهم وهم غافلون في ــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 144/143/14 وأصله في مسلم أيضا.

** رواه البخاري 461/5 ومسلم 195/5 كلاهما في الحج.

أسواقهم ومشاغلهم، وأكلهم وشربهم فتباغتهم من غير شعور، وهكذا جاء مصرحاً به في القرآن الكريم كقوله تعالى في الأنعام : " حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا " 31، وقوله في الأعراف : " ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً " 187، وقوله في الأنبياء : " بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ولَا هُمْ يُنظَرُونَ " 40، وقوله في يوسف : " أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ " 107، وقوله في الحج : " ولَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ " 55، وقوله في الزخرف : " هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " 66، وقوله في سورة محمد : " فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا " 18.

فهكذا ستقوم الساعة والناس غافلون فتفاجئهم وتحيرهم " فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ولَا هُمْ يُنظَرُونَ " فعند ذلك ينادون صارخين : يَا

حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ.

أما الحديث الثاني فيدل على أن المدينة النبوية المنورة ستكون من آخر من يصعق أهلها فيأتيها راعيان يسوقان غنمهما فيجدانها خالية ليس فيها إلا الوحوش والطير ثم يصعق بهما فيموتان. وقد جاء في حديث فيه ضعف وهو صحيح على رأي ابن خزيمة وتلميذه ابن حبان : " آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة " رواه الترمذي آخر الجامع.

مشاهد قيام الساعـــة

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " مَن سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيُ عيْنٍ فليقرأ : إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت ".*

إن القيامة متصلة بالساعة ولذلك جاءت هذه السور بصفات قيام الساعة ويوم القيامة معا وعلى ذلك تدل الآيات الآتية .

و الساعة ليست مرتبطة بالإنسان فقط، بل تعم جميع الكائنات كالسماوات وما فيها من شمس وقمر وكواكب ومجرات ومذنبات ونيازك، كما تشمل الأرض وجبالها وأنهارها وبحارها وكل من عليها من إنس وجان ووحش وحيوان وطير وهوام. فالسماء تنفطر وتنشق

وتصير قطعا، والكواكب تنتثر ويذهب ضوءها وتتصادم مع بعضها بعضاً وهكذا فالكل ينقلب إلى أمر هائل.

أما الأرض فتتزلزل تزلزلا عنيفاً وتضطرب وتمور موراً شديداً، بحيث ينهدم ___________________

* رواه أحمد 4941/4934/4806 والترمذي في التفسير 3116 بتهذيبي والحاكم 515/2 بسند صحيح.

كل ما كان عليها من بناء شامخ، وطود راسخ، وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون وتتفتت جبالها الشوامخ، وتنسف نسفاً، وتصير كالهباء المنبث، وتطير في الهواء كالعهن المنفوش وتنقلب كثيباً مهيلا فيحسبها الرائي جامدة وهي تمر مر السحاب.

أما البحار فتشتعل ناراً وتتصل بما في بطون الأرض من معادن وبراكين فيصير الجميع ناراً متأججاً، وجحيماً وسعيراً.

و في هذا المشهد الهائل العنيف المخيف المدهش جاءت الآيات الكثيرات في القرآن الكريم تصف الساعة وقيامها وصفا دقيقاً وإلى القارئ بعض ذلك :

قال تعالى : " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ، وإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ، وإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وإِذَا السَّمَاء

كُشِطَتْ، وإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ " التكوير 1---14.

" كورت " أي لفت ومحي ضوءها " انكدرت " أي تناثرت وتساقطت " سيرت " أي حركت من أماكنها ونسفت نسفاً وصارت كالهباء " وإذا العشار عطلت " أي النوق والإبل تركت بلا راع ولا طالب " وإذا الوحوش حشرت " أي جمعت من آجامها وأوكارها ذاهلة من شدة الفزع والهول " وإذا البحار سجرت " أي تأججت ناراً وصارت نيراناً تضطرم وتلتهب بما كان فيها من براكين وأخاديد ووديان.

و قال تعالى : " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ، وإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ، وإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ " الانفطار 1-2-3-4-5.

" انفطرت " انشقت " انتثرت " أي تساقطت وزالت عن بروجها وأماكنها " وإذا البحار فجرت " أي فتح بعضها إلى بعض فاختلط عذبها بمالحها وأصبحت بحراً واحداً يشتعل ناراً.

و قال تعالى : " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ، وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ، وإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وأَلْقَتْ مَا فِيهَا وتَخَلَّتْ، وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ " الانشقاق 1-2-3-4-5.

" انشقت " أي تصدعت لهول الساعة مؤذنة بخراب الكون " وأذنت لربها وحقت " أي استمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه وحق لها أن

تسمع وتطيع " وإذا الأرض مدت " أي زادت اتساعاً بزوال جبالها وآكامها وصارت مستوية لا بناء فيها ولا وهاداً ولا جبالا " وألقت ما فيها وتخلت " أي رمت ما في جوفها من الكنوز والمعادن والموتى، وتخلت عنهم " وأذنت لربها " أي استمعت لأمر ربها وأطاعت.

و قال جل علاه : " فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ، وإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ " المرسلات 1-2-3.

" طمست " أي محيت وذهب نورها وضياؤها " فرجت " أي شقت وتصدعت " نسفت " أي أزيلت عن أماكنها وتطايرت حتى أصبحت هباء تذروه الرياح.

و قال جل ثناؤه : " يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً، وتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً " الطور 9-10. أي تتحرك وتضطرب اضطراباً شديداً.

و قال جل جلاله : " إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ومَا هُم بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " الحج 1-2.

" زلزلة الساعة " الزلزلة شدة التحرك والإزعاج الهائل والجمهور على أن هذه الزلزلة ستكون عند قيام الساعة.

و قوله تعالى : " تذهل كل مرضعة " أي تغفل عن رضيعها وتنشغل عنه بما نزل من الهول العظيم، فلشدة الخوف والإزعاج ستطيش عقول الناس فتترك المرضعة رضيعها وتلقي الحامل جنينها لغير تمام لما سيداهم الخلق من الرعب والخوف، وترى الناس يترنحون

ترنح السكران من هول ما يدركهم من الفزع وليسوا بسكارى ولكنها أهوال الساعة وشدائد القيامة أطارت عقولهم، وسلبت أفكارهم فهم من خوف عذاب الله مشفقون.

و قال تعالى : " إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا " الزلزلة 1-2-3-4.

و هذه السورة الكريمة جاءت أيضاً تتحدث عن الزلزال العنيف الذي يكون عند الساعة حيث يندك كل صرح شامخ، وينهار كل جبل راسخ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة التي لا عهد للناس بها ما يندهش لها كل إنسان، فتضطرب الأرض اضطراباً شديداً، وتهتز بمن عليها اهتزازاً يقطع القلوب ويفزع الألباب، وتخرج ما فيها من الأموات، وتلقي ما في بطنها من الكنوز الثمينة، فلا أحد يعرج عليها ولا يلتفت إليها، بل يقول الإنسان : ما شأن الأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها، يقول ذلك دهشة وتعجباً من ذلك المشهد الفظيع، ففي ذلك الوقت العصيب تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها وتشهد على كل إنسان بما صنع فيها من خير وشـــــــــــــر.

و قد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعض ما يوضح هذا المشهد الهائل :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطِعَت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً ".*

" أفلاذ " جمع فلذ هي القطعة من اللحم و" الأسطوان " بضم الهمزة جمع أسطوانة وهي السارية.

فالحديث الشريف جاء تفسيراً لقوله تعالى : " وأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا " فإذا قاءت الأرض ما فيها وخاصة الذهب والفضة تذكر المجرمون ما فعلوه بسببهما ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه مسلم في الزكاة 98/7.

و اعترفوا بما حملهم على ما صنعوا . ثم تركوا ذلك وانصرفوا.

و عنه أيضاً قال : قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا " فقال : " أتدرون ما أخبارها؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم قال : " فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا فهذه أخبارها ".*

أما بالنسبة للجبال الشوامخ الراسيات الشم فجاء في شأنها ما تتقطع لسماعه الأكباد :

قال الله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً، فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً ولَا أَمْتاً "طه 105-106-107.

" ينسفها " أي يفتتها الله عز وجل ويزيلها عن أماكنها ويصيرها كالرمل فيطيرها في الهواء وقوله " قاعا صفصفا " أي أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء وليس فيها انخفاض وعوج، و" لا أمتا " أي ارتفاع.

---

* رواه أحمد 274/2 والترمذي في التفسير 3135 وفي القيامة 2249 والنسائي في الكبرى 520/6 والحاكم 532/251/2 وحسنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم أيضا.

و قال الله عز وجل : " وتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " النمل 88.

أي تظنها ثابتة في أماكنها واقفة، وهي تسير سيراً سريعاً كالسحاب، قال العلماء: إن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد ظن الناظر إليها أنها واقفة .

و قال تعالى : " إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً، وبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً، فَكَانَتْ هَبَاءِ مُّنبَثّاً" الواقعة 4-5-6.

" رجت " أي زلزلت الأرض زلزالا عنيفاً واضطربت اضطرابا شديداً حتى ينهدم كل ما عليها من بناء وينكسر كل ما فيها من جبال

وحصون " وبست الجبال " أي فتت تفتيتاً فصارت هباء أي غباراً متطايراً في الهواء.

و قال تعالى : " وسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً " النبأ 20.

أي نسفت الجبال عن أماكنها حتى أصبحت بحيث يخيل إلى الناظر شيء وليست بشيء كما يخيل للعطشان في السراب يظنه ماء وليس بماء.

و قال جل علاه : " وتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ " القارعة 5.

" العهن " الصوف أي تصير الجبال مثل الصوف المنتشر المندوف قد تفرق أجزاؤه وتطاير في الجو.

و قال جل ثناؤه : " ويَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " الكهف 47.

أي نسيرها كما نسير السحاب فنجعلها هباء منثوراً في الهواء وترى الأرض ظاهرة للعيان ليس عليها ما يسترها من جبل ولا بنيان ولا شجر قد هدم بنيانها وقلعت جبالها.

فهذه بعض مشاهد الساعة وهو قل من كثر.

خلاصة ما جاء في الفناء وقيام الساعة

إن قيام الساعة شغل أمماً وأجيالا عبر العصور فخافوها وأكثروا السؤال عنها وفي القرآن الكريم عدة أسئلة وأجوبة عنها كما قدمنا في أول الأشراط.

و قد أخفى الله عز وجل وقت قيامها بالضبط عن الناس رحمة ولطفاً بهم، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه إلا من شاء، غير أنه سبحانه وتعالى ذكر لنا على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آيات لها وأشراطاً علامة على قيامها كما قدمنا ذلك مفصلا مرتباً باختصار.

ثم إذا جاء أوانها داهمت الناس فجأةً وهم في أسواقهم، ومزارعهم، ومجامعهم، وعلى موائد طعامهم غافلون ساهون فينقلب هذا الكون انقلاباً هائلا بسمائه وأرضه فتتفطر السماوات وتتتناثر الكواكب وتزول البروج والمنازل عن مواقعها ويذهب ضياء كل كوكب كان في السماء وتتبدل الأرض والسماوات ويهتز الكون هزاً عنيفاً وتنسف الجبال نسفاً وتصير هباء منبثاً تتطاير في الهواء، وتتفجر البحار وتتصل بها الأنهار ويضطرم الجميع ناراً متأججة بما كان في الأرض والبحار من براكين ومعادن نارية ويحدث في هذا الكون من الأهوال والأحداث الجسام ما لم يتقدم للناس به عهد في حياتهم الطويلة، وتنقلب زينة الدنيا وبهجتها ونضارتها وزهرتها وقصورها ونواطح سحابها إلى تدمير وتفتتت واضمحلال، وتصير السماء وما كان يظهر فيها من زينة وجمال وضياء بكواكبها ومجراتها إلى انشقاق وانفطار وتناثر.

ثم يعقب هذا الهول العظيم بعد صعق المخلوقات نفخة البعث والنشور.

نفخة البعث والنشور

قد قدمنا حديث ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغة لِيتاً ورفع لِيتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ". رواه مسلم.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام فإذا موسى آخذ بالعرش أو باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى ".*

و تقدم لنا حديث أبي هريرة أيضا الذي فيه ثم ينزل الله من السماء فينبتون كما ينبت البقل وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظما واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة. وهو في الصحيحين كما قدمنا.

---

* رواه البخاري في الرقاق 158/157/14 ومسلم في الفضائل 130/15.

دلت هذه الأحاديث على أمور عظام تتعلق بالقيامة والبعث :

منها بعد صعق الناس وموت جميعهم سيمطر الله الأرض بمطر يشبه مني الرجال فينبت الناس بذلك كما ينبت البقل، فيقومون لرب العالمين.

و منها أن كل شيء من الإنسان سيبلى وينقلب رميماً وتراباً إلا عظماً صغيراً منه يقال له عجب الذنب وأن تركيبه سيكون منه بإذن الله تعالى وهذا باستثناء الأنبياء والشهداء ومن ألحق بهم فإن أجسادهم لا تبلى كما هو معروف ومعلوم.

و منها إثبات البعث والقيام من القبور وأن أول من يبعث نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لحديث أبي هريرة المذكور ولحديث مسلم : " أنا أول من تنشق عنه ".

الأرض التي يحشر عليها الناس

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاءَ عفْراءَ كقُرصة النَّقِيِّ ليس فيها عَلَمٌ لأحد ".*

قوله " عفراء " أي بيضاء تميل إلى حمرة وقوله " النقي " بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحُوَّارى الجيد وقوله " ليس فيها علم " أي علامة.

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات " قال : " تبدل الأرض أرضا كأنها فضة، لم يُسفك فيها دم حرام، ولم يُعمل عليها خطيئة ".**

دل الحديثان الشريفان على أن الناس إذا بعثوا من قبورهم حشروا على أرض أخرى ستبدل بدل هذه وأنها ستكون بيضاء نقية واسعة الأطراف كما يأتي في حديث الشفاعة فلا يمكن لأحد معرفة طولها وعرضها.

---

* رواه البخاري في الرقاق 163/14 ومسلم في البعث والنشور 134/17.

** عزاه الحافظ في الفتح لعبد الرزاق وابن جرير وعبد بن حميد وقال : رجاله رجال الصحيح وذكر مثله عن أبي أيوب وأنس وغيرها مرفوعا وموقوفاً.

البعث والحشر في القرآن الكريم

لقد أفاض الله عز وجل الكلام في القرآن الكريم على القيامة والبعث والحشر وذكر في ذلك من الآيات في العديد من السور ما فيه العبرة لمن يعتبر والذكرى لمن يتذكر.

أما القيامة وأهوالها ومشاهدها فذكر لها من الأسماء والصفات المخيفة الهائلة ما ينيف على الثمانين إسماً.

كقوله تعالى : " الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ " الحاقة 1-2-3.

سميت بالحاقة لأن الأمور تحق فيها.

و قوله تعالى : " الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ " القارعة 1-2-3.

و سميت قارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

وقوله عز وجل : " فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وأُمِّهِ وأَبِيهِ " عبس 33-34-35.

الصاخة التي تصخ الآذان وتصمها بأهوالها.

و قوله : " فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى " النازعات 34-35.

و الطامة هي الداهية إلى غير ذلك مما جاء فيها.

و أما خصوص البعث والحشر والكلام على مطلق الآخرة فالقرآن الكريم مليء بالكلام على ذلك لأن ذلك من مقتضيات الإيمان وكلياته التي اتفقت على الإيمان بها والدعوة إليها كل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم. ورغم أن ذلك مما اتفقت عليه كل الشرائع ونزلت به الكتب الإلاهية فإن أكثر الأمم كفرت بذلك وجادلت رسلها عليه وأنكرت الإيمان به بل وسفهت عقول القائلين به والداعين إليه.

و قد ذكر القرآن الكريم آيات عدة عن مشركي العرب الذين أنكروا البعث والحياة بعد الموت واستبعدوا ذلك وجادلوا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في شأنه لنقرأ قوله تعالى : " وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ " النحل 38، فلم يكتفوا بمجرد الكفران بالبعث حتى أكدوا ذلك بقسمهم عليه.

و قوله عز وجل : " زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا " التغابن 7.

و قوله جل ثناؤه : " أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ " ق 3.

و قال تعالى عن ذلك الشقي اللعين : " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " يس 78.

فاستغرب هذا اللعين إحياء العظام بعد أن بليت وهو يعلم أنه خلق من نطفة مذرة ضعيفة بعد أن لم يكن شيئاً.

قال تعالى : " وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً، أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً " مريم 66-67.

و قال تعالى : " أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً وعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ " المؤمنون 82.

و قال تعالى : " وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ " الرعد 5.

و قال عن الدهريين : " إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ومَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ " الأنعام 29.

و قال في آية أخرى : " وقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ ونَحْيَا ومَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ " الجاثية 24. والآيات في إنكار المشركين البعث كثيرة.

أما الآيات الدالة على البعث والنشور والخروج من الأجداث فإليكموها :

قال تعالى : " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ، " الزمر 68.

و قال : " وقَالُوا يَا ويْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ، هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ" الصافات 20-21.

و قال جل ثناؤه : " يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ،خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ، مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ" القمر 6-7-8.

و قال جل علاه : " واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ " ق 41-42.

و قال تعالى : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا " يس 51-52.

و قال جل شأنه : " فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ، يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ " المعارج 42-43-44.

و قال تعالى : " مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ " لقمان 28.

و قال : " يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا " المجادلة 6.

و الآيات في هذا كثيرة جداً وخاصة في السور المكية.

و من أظهر الدلائل على البعث ما ذكره تعالى في سورة الحج حيث قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ " الحج 5-6-7.

ففي هذه الآيات دليلان ظاهران على وقوع البعث لمن يفكر ويعتبر :

الدليل الأول، خلق الإنسان على عدة أطوار : نطفة فعلقة، فمضغة وقد يتكون الجنين كاملا أو غير كامل، فتارة يسقط وقد تم تخطيطه وتصويره، وتارة يسقط ناقصاً، ومرة يقره الله عز وجل في الرحم حتى يتم أجله فيخرج طفلا ضعيفاً في جميع أعضائه، ثم يقويه تعالى شيئاً فشيئاً حتى يتكامل ويصل إلى عنفوان الشباب، ثم من الناس من يأتيه أجله صغيراً أو أيام الشباب أو في الكهولة ومنهم من يعمر حتى يبلغ إلى العمر الأرذل وهو الخرف وضعف الجسم والعقل حتى لا يكاد يعلم شيئاً. فمن خلق الإنسان على هذه الأطوار وجعله في هذه الحياة موقع تصرفاته - ويوجد منه بلايين الملايير – أفلا يقدر مرة ثانية على إنشائه وخلقه بعد تفرق أجزائه؟ بلى وربي إنه لقادر.

الدليل الثاني، موت الأرض وانقلابها قاحلة ليس فيها نبات ولا كلاء ولا خضرة ثم إذا أنزل الله عز وجل عليها المطر في موسمه المعلوم تهتز تلك الأرض وتربو وتنبت الأعشاب والزروع وكل زوج بهيج جميل ففاعل ذلك هو الله الحق الذي سيحيي الموتى ويبعثهم من قبورهم.

و قال تعالى : " ونَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وحَبَّ الْحَصِيدِ، والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ، رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ " ق 9-10-11.

فكما أحيى سبحانه البلدة الميتة اليابسة بالماء المبارك وأخرج منها الجنان والزروع والثمار والفواكه كذلك يكون الخروج من القبور لأن الجميع تحت قهر الله وملكه وسيطرته وتصرفه.

و قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ويَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ، فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " الروم 48-49-50.

فبعد أن ذكر سبحانه آيته العظيمة في الرياح والسحاب ونزول المطر وحياة الأرض بعد موتها وإنباتها من كل زوج بهيج لفت الأنظار إلى الاستدلال بذلك على حياة الموتى وبعثهم بعد موتهم.

و من البعث في السنـــــة :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن العاصي بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : أيحيي الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلط جهنم ".* قال : ونزلت الآيات من آخر يس. والآيات هي قوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ، وضَرَبَ لَنَا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ ." الآيات.

و عن بسر بن جحاش أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بصق ________________

* رواه ابن جرير 31/30/23 وابن أبي حاتم 3202/10 والحاكم 429/2 وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال : " قال الله تعالى : ابن آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنَّى أوان الصدقة ".*

فالحديثان يردان جحود منكري البعث ويخبران بأن الله عز وجل لا يعجزه شيء كما خلق الإنسان من نطفة بعد أن لم يكن هو قادر على إعادة الأموات وإن تفرقت أجزاؤهم وفي حديث بسر بيان طبيعة الإنسان الكافر البطر المتكبر.

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " قال الله تعالى : كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وليس أول خلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولداً، وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد ".**

---

* رواه أحمد 210/4 وابن ماجة في الوصايا 2707 بسند حسن على مذهب ابن رجب وابن كثير والعراقي وأثر نور النبوة بادية على ألفاظه.

** رواه البخاري في التفسير 234/9 والنسائي في الكبرى 395/4 وكذا في الجنائز من الصغرى.

قوله " شتمني " سمى نسبة الولد إليه شتماً لأن فيه تنقيصاً لله عز وجل فإن الولد يستلزم والدة، وهي تستلزم ناكحاً، وكل ذلك محال في جنب الله عز وجل وصفات نقص ينزه الله تعالى عنها.

فقوله تعالى : " وليس أول خلق بأهون علي من إعادته " هو معنى قوله : " وهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " الروم 27، فمن أنكر هذا فقد كذب الله عز وجل فيما أخبر به.

و عن أبي رزين العقيلي رضي الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال : " أَمَا مَررتَ بوادي أهلك مُحِلاًّ؟ " قال: بلى قال : " ثم مررت به يهتز خضِراً " قال : بلى قال : " فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آية في خلقه " وفي رواية : " أمررت بأرض مُجْدِبَةٍ، ثم مررت بها مُخْصِبَةً" قال : نعم قال : " كذلك النشور ".*

فهذا مثل ضربه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للحياة بعد الموت وهو موافق لآية الحج المتقدمة.

---

* رواه أحمد 11/4 وأبو داود في السنة 4731 وابن ماجة 180 وسنده حسن.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله : إذا مت فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر . فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم " فذكر الحديث، وفيه : " فأمر الله – يعني يوم القيامة – البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال له : كن فإذا هو رجل قائم . ".* الحديث.

فها أنت ترى أن الله عز وجل سيعيد الموتى كما كانوا في الدنيا بعد تلاشيهم وتفرق أجزائهم وأنه سبحانه لا يعجزه شيء أراده كيفما كان حاله.

---

* رواه البخاري في الأنبياء وفي الرقاق ومسلم في التوبة وقد تكلمت عليه وعلى معناه وعبره في " عجائب الأقدمين ".

خلاصة ما جاء في البعث

بعد أن ينفخ سيدنا إسرافيل عليه السلام نفخة الصعق ويصعق ويموت كل الخلائق يؤمر بالنفخة الأخيرة وهي نفخة البعث والقيام لرب العالمين فما هي إلا زجرة واحدة فإذا الناس ينسلون من مضاجعهم وقبورهم قيام ينظرون يقول كافرهم " يَا ويْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ، إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ " يس 52-53. " يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ

الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ، مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ " القمر 6-7-8. " مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء " إبراهيم 43. يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخر وج يكون الناس كالفراش المبثوث لا يلوي أحد على أحد لعظم الهول وشدة الفزع والخوف ومن هنا إلى الموقف .

أما الآيات الواردة في الحشر وجمع الناس إلى الموقف فنقتصر منها على الآتي :

قال الله تعالى : " واتَّقُواْ اللّهَ واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " البقرة 203.

و قال تعالى : " وتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً، وعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ " الكهف 47-48.

و قال تعالى : " إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " المائدة 105.

و قال سبحانه : " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً " طه 102.

و قال جل علاه : " فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً " مريم 68.

و قال جل ثناؤه : " ويَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وشُرَكَآؤُكُمْ " يونس 28.

و الآيات في ذلك كثيرة وأكثرها تخبر عن حشر الكفار والمشركين لأنهم كانوا ينكرون ذلك كما تقدم في البعث.

صفات الناس عند الحشر

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بموعظة فقال : " يا أيها الناس إنكم محشرون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ".* الحديث.

و عن عائشة مثله وفيه : فقلت : الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال : " الأمر أشد من أن يُهِمَّهُم ذلك " وفي رواية : " الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ".**

فيخرج الناس من قبورهم ويحشرون إلى الموقف كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقدون من أجسادهم شيئاً ومن هول الموقف والمشهد المخيف لا يعرج هذا على ذاك رغم أن جميعهم عراة وعرايا لأن الأمر أفظع أن يلتفت أحد إلى آخر.

---

* رواه البخاري في الرقاق 172/14 وفي التفسير ومسلم في الجنة 193/17 والترمذي والنسائي في الكبرى 507/6.

** رواه البخاري في الرقاق 176/14 وغيره ومسلم في الحشر 192/17.

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال : " إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يميشهم على وجوههم".*

الحديث موافق لقوله تعالى : " الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ " الفرقان 34، وقوله جل علاه : " ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وجُوهِهِمْ عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً " الإسراء 97.

فالكافر لا يحشر ويساق إلى المحشر كعادة الناس بل يسحب على وجهه إهانة له وزيادة في التنكيل .

---

* رواه البخاري في الرقاق 171/14 وغيره ومسلم في صفة جهنم 2806 وغيرهما.

مشاهد موقف القيامـــة

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه تلا : " أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ " المطففين 4-

6-5، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه ".*

و عن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل . فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً "، وأشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بيده إلى فمه.**

" حقويه " بفتح الحاء موضع شد الإزار والسروال، " يلجمه " أي يبلغ إلى أفواههم وآذانهم وقوله " قيد ميل " أي مقدار ميل والميل هنا إما المسافة في ــــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 184/14 ومسلم في الجنة 195/17 وغيرهما.

** رواه مسلم في صفة القيامة 196/17 والترمذي كذلك 2241.

الأرض المعروفة أو ميل الاكتحال وهذا المشهد الخطير الفظيع يكون عقب خروج الناس من قبورهم واجتماعهم في الموقف قبل الشفاعة والمقام المحمود فتدنو الشمس من الناس ويصيبهم من العذاب ما لم يروه قبل ولم يخطر على بالهم ولا ينجو من هذا الهول والعذاب إلا الأنبياء وأكابر المقربين ومن جاء أنهم سيظللون تحت ظل العرش كما في الحديث التالي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ".*

فهؤلاء السبعة متفق عليهم وجاءت السنة بأصناف آخرين لكن أحاديثها ضعيفة نعم جاء في صحيح مسلم : عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ".

---

* رواه مالك في الموطأ رقم 1841 والبخاري ومسلم وغيرهما.

فهؤلاء وأمثالهم سيحفظون من هول الموقف وعذابه وشدته وما سيلقى غيرهم مما لا يطيقون ولا يحتملون فيتمنون الخروج من ذلك ولو إلى النار.

فعند ذلك يفزعون إلى من يشفع لهم فيلتجئون إلى سادات البشرية وهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم فيبدءون بآدم ثم نوح، ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى وكل واحد منهم يحيلهم إلى غيره ويقول نفسي نفسي إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب غضباً قبله مثله، ولن

يغضب غضبا بعده مثله اذهبوا إلى غيري حتى يصلوا إلى نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقول : أنا لها فيذهب فيسجد لله تعالى ويحمده بمحامد فيقال له : يا محمد ارفع رأسك اشفع تشفع .

و هذه هي الشفاعة العظمة المسماة بالمقام المحمود التي بها سيريح الله تعالى كل الخلائق من الإنس والجن من هول الموقف وعذابه.

طول يوم القيامـــة

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قيل : يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يقوم الناس لرب العالمين، مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، يهون الله ذلك على المؤمنين كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب ".**

و جاء في حديث أبي هريرة في الزكاة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ".***

* رواه أحمد 75/3 وابن حبان 7334 بسند حسن.

** رواه ابن حبان 7333 وأبو يعلى 6025 بسند صحيح.

*** رواه أحمد 262/2 ومسلم في الزكاة 68/67/7 وأبو داود 1658.

فيوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة من بدايته إلى نهايته ومقدار الموقف نصف يوم من الخمسين ألفاً ويهون على المؤمن كمقدار صلاة مكتوبة أو نحوها.

العرض على الله تعالى العرض العام

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله".*

إن الخلائق إذا بعثوا وحشروا على أرض الموقف عندئذ تشقق السماء بالغمام وتنزل ملائكة السماوات السبع وهم عدد خيالي لا يحصيهم إلا الله عز وجل فيحيطون بالإنس والجن وهم مصطفون صفا صفاً يعدون بالبلايين قائمين خاشعين خائفين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم يأتيهم الرب تبارك وتعالى كما قال عز

وجل : " وجَاء رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً " الفجر 22، فيجيء للفصل بينهم مجيئاً لا نعلم حقيقته الآن ولا كيفيته والآخرة على خلاف الدنيا والله عز وجل ليس كمثله شيء فيعرض جميع الخلائق بين يديه تعالى بإنسهم وجنهم، كافرهم ومؤمنهم، ذكرهم وأنثاهم، كبيرهم وصغيرهم، ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 414/4 وابن ماجة في الزهد 4277 ورجاله ثقات وانقطاعه يتأيد بحديث أبي هريرة بنحوه رواه الترمذي في القيامة 2245 بسند حسن في الشواهد.

وحشهم وطيورهم، أنعامهم وهوامهم، وذلك لفصل القضاء وحسابهم أمما أمما وجماعات جماعات وأفراداً أفراداً كلهم خاشعون خاضعون لله تعالى لا يملكون لأنفسهم حيلة ولا يستطيعون نفاقاً ولا غشاً ولا هرباً ولا موارات واستخفاء ولا يقدرون على نوم ولا راحة كل أمة تجثو بين يدي مولاها تعالى تنتظر فصل القضاء فإذا عرضوا على الله في البداية كان منهم من يدافع عن نفسه بحق وباطل، ومنهم من يعترف بما قدمت يداه فيعتذر ويستعتب وهيهات هيهات ثم تأتي النتيجة فيأخذ كل واحد منهم كتابه فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.

الإتيان بجهنم إلى الموقف

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ".*

هذا مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة في المحشر وهو المجيء بجهنم بسجونها وأنهارها وسلاسلها وأغلالها وطولها وعرضها تتغيظ وتزفر معها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها للمحشر لترهب الكفار والطغاة والعتاة وترعبهم وتزعجهم ويعذبون برؤيتها عذابا نفسياً مسبقاً وهذا المشهد لا ندري كيفيته ولا كيفية مجيء جهنم وهي أعظم خلق طولا وعرضاً فحسبنا الإيمان بما قال نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما قاله ربنا في كتابه الكريم: " وجَاء رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً، وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ". الآية 22-23 الفجر.

---

* رواه مسلم في الجنة 179/17 والترمذي في صفة جهنم 2390.

عرض آدم والرسل على الله وسؤالهم عن التبليغ

و شهادتهم على أممهم

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي

ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا؟ فيقولون : لا فيقال له : هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له : من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته، فيُدعى مُحمدٌ وأمتُه فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه فيقولون : نعم فيقال : وما علمكم؟ فيقولون : جاءنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله تعالى : " وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً – أي خيارا عدولا- لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً "".*

أول من يعرض على الله عز وجل من الرسل أبونا آدم عليه الصلاة والسلام حيث يناديه الله تعالى فيقول : يا آدم ابعث بعث النار فيقول : وما بعث النار قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الخ.**

---

* رواه أحمد 58/32/36 والبخاري في التفسير 238/9 وفي بدء الخلق وغيرهما والترمذي 2772 والنسائي في الكبرى 292/6.

** رواه البخاري في التفسير وفي الرقاق 179/14و مسلم آخر الإيمان 97/3 مطولا.

و ها هم الآن كلهم فوق أرض المحشر وهم يعدون بالبلايين جميعهم تناسلوا منه ثم تعرض عليه تعالى باقي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع أممهم فيسألهم سؤالا جماعياً وفرادى على مرآى ومسمع من أقوامهم كما قال تعالى : " يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ

" الآية 109 المائدة، وقال جل علاه : " " فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ولَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ " الأعراف 6.

فمن أنكر من الأمم شيئاً من ذلك شهدت عليهم أمة خاتم الأنبياء فتقوم عليه الحجة.

الاختصام بين الأمم والجماعات

يوم القيامـــــة

عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَّيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ " الزمر 30-31، قال الزبير رضي الله تعالى عنه أي رسول الله أيُكَرَّرُ علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواطر الذنوب؟ فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " نعم ليُكَرَّرَنَّ عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه " قال الزبير والله إن الأمر لشديد.*

هذا مشهد آخر من مشاهد موقف يوم القيامة ذلكم هو اختصام الأمم والجماعات والقبائل والأحزاب والدول والشعوب، فكم من دولة هاجمت دولة أخرى ضعيفة فكانت فريستها، وكم من أمة خاضت حروبا طاحنة ظالمة راح ضحيتها الملايين وآلاف القتلى والجرحى وكم من جماعة قاتلت أختها لأجل مصالح الحزب فسفكت دماء لا تحصى أكثرها من النساء والأطفال والضعاف الأبرياء، وكم من

فرقة كفرت أو بدعت وضللت فرقاً أخرى فكل هؤلاء سيتخاصمون على أرض المحشر أمام العدالة الإلاهية والقرآن مليء بالكلام على هذا.

---

* رواه أحمد 167/1 والترمذي في التفسير 3024 وحسنه وصححه والحاكم 435/2 وصححه والذهبي.

بداية الحساب وأهم ما يسأل عنه العبد

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يُؤتَى بالعبد يوم القيامة فيقول الله تعالى : ألم أجعل لك سمعا، وبصرا، ومالا، وولداً، وسخرت لك الأنعام، والحرث، وتركتك ترأس، وتربع، أفكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ قال : فيقول العبد : لا فيقول الله تعالى له : اليوم أنساك كما نسيتني ".*

و عنه أيضا قال عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث يأتي في شهادة الجوارح وفيه : " فيلقى العبد ربه فيقول : أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل، والإبل، وأذرك ترأس وتربع .".** الحديث.

هي نعم وآلاء جمة أنعم الله عز وجل بها على الإنسان تفضلا منه وأمره أن يشكره عليها وذلك بالاعتراف به وبطاعته وسوف يسأله عنها وقد ذكر لنا نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هنا منها نحواً

من عشر نعمة كل نعمة منها لا يستطيع الإنسان شكر واحدة منها ولو عمر عمر نبي الله نوح عليه السلام ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه الترمذي في القيامة 2248 وحسنه وصححه.

** رواه مسلم في الزهد مطولا 103/18.

صائما قائما وهي :

السمع والبصر وما أعظمهما من نعمة قال الله تعالى : " ولاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " الإسراء 36.

فسيسئل العبد عن هذه الجوارح الثلاثة لأنها أولا نعم عظيمة من الله عز وجل على العبد ولأنها ثانياً طريق الإيمان والعمل الصالح .
فالأذن تسمع القرآن والعلم والآذان والذكر وكل ما يؤدي إلى الجنة ثم إنها تسمع الفواحش والخنا والكفر والكلام الساقط والأغاني الماجنة وجميع ما يوصل إلى النار، والبصر ينظر إلى آيات الله تعالى في أرضه وسمائه وفي كتاب الله تعالى وينظر العلوم النافعة وقد يطلقه صاحبه في المحرمات ويكرر النظر به حتى يدخله مداخل الفتن، أما القلب فبه يعرف الله عز وجل وهو مصدر الإيمان والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وهو الذي يفكر في الخير والشر ويهم بفعل الحسنات والسيآت وهو الذي إذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد.

فيأتي السؤال يوم القيامة كالآتي : لما أصغيت إلى ما لا يحل لك سماعه فسمعت الكفر والكذب والغيبة والنميمة وإلى الأغاني الماجنة وتتلذذ بسماع كلام الفتيات، ولماذا كنت تطلق بصرك فيما لا يحل لك من محاسن النساء الجميلات والنظر إلى العورات، ولماذا كنت تعزم على فعل السيآت وتعلق قلبك بحب ما لا يحل لك شرعاً من النساء الحسان، ولمذا كنت تبغض أخاك المسلم وتحقد عليه وتظن به السوء ولما كنت تكره ما يحبه الله وتبغض ما يحبه الله.

ثم يأتي السؤال عن باقي النعم الأخرى فيسأل عن المال من اين اكتسبه وأين صرفه، وعن نعمة التزوج وما جعل في ذلك من الآيات والمنافع والمصالح، ثم نعمة السيادة بين الناس والرئاسة والزعامة، ثم تسخير المركوبات المتنوعة الفارهة، وما أعطاه الله عز وجل من حراثة وزراعة التي بها قوام بنيته والمدد الذي به حياته، ثم ما كان يختص به الرئيس من ربع الغنيمة أو كما جاء في الإسلام من الصفى الذي يأخذه الإمام نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فهذه النعم العظيمة لا يخلو أحد من الحساب عنها إلا من لاحمه الله وتجاوز عنه.

و عن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه ".*

* رواه الترمذي في القيامة 2237 وحسنه وصححه.

فهذه أمور خمسة مرت على الإنسان في حياته فأكثر السؤال والحساب سيكون عن مقتضياتها فيا بشرى ويا سعادة من أطاع الله فيها، ويا خسارة ويا هلاك من ضيع حياته وأهمل حقوق الله واتبع هواه.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أول ما يُسأل عند يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يُقال : ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد ".*

صحة الجسم والتلذذ بالماء البارد من جملة النعم العظيمة الشأن التي سيسأل عنها العبد كما قال تعالى : " ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ " التكاثر 8، وقد فسره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالظل البارد، والرطب الطيب، والماء البارد، كما جاء في حديث أبي هريرة الذي تقدم في عيش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وهو عند مسلم والترمذي وغيرهما.

---

* رواه الترمذي أيضا في التفسير 3140 وابن حبان 2585 بالموارد والحاكم 138/4 بسند صحيح.

القصاص وأداء الحقوق

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ".*

" يقاد " أي يعطى القود والقصاص، " الجلحاء " هي الجماء التي لا قرن لها.

و ذكر الشاة مع أختها هنا مبالغة في إظهار العدل الإلاهي وإلا فالحيوان غير مكلفين فالواجب على المسلم الشحيح بدينه أن يتباعد عن حقوق العباد ما أمكنه وإذا وقع في مظلمة فليتحلل صاحبها قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وإنما يكون الأداء من الحسنات كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من كانت له مظلمة لأخيه من عرض أو شيء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه ".**

---

* رواه أحمد 235/411/2 ومسلم في البقر 136/16 والترمذي 2240.

** رواه البخاري في الرقاق 181/14 وفي المظالم 26/6 والترمذي في القيامة 2239.

" مظلمة " بكسر اللام وفتحها ما أخذه الظالم أو تعرض له، قوله " عرض " بكسر العين محل المدح والذم من الإنسان وقوله " فليتحلله " أي يطلب منه أن يجعله في حل من ذلك فإن لم يتحلله جاء يوم القيامة مفلساً وهو كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ".*

فاحذر أيها المسلم أن تكون من هذا الصنف الخاسر الهالك.

---

* رواه مسلم 135/16 والترمذي في القيامة 2238.

مكالمة الله عباده بلا ترجمان

عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا يرى شيئا إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشمل منه فلا يرى شيئاً إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه " وفي رواية : " ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل ".*

هذا مشهد رهيب هائل فليتصور الإنسان المثول بين يدي الكبير المتعال وأنه سيكلمه بلا واسطة فيصير يلتفت هيبة يمينا وشمالا . لفظاعة الموقف.

نعم مكالمة الله لعبده المؤمن خلاف مكالمته الكافر . الذي ستكون مكالمة غضب وخزي وعذاب.

و فيه أنه لا ينفع الإنسان يومئذ إلا ما قدم من عمل صالح كما أن فيه أن الصدقة تقي صاحبها النار ولو بأقل شيء.

---

* رواه البخاري في الزكاة وفي الرقاق 196/14 ومسلم في الزكاة 101/7 والترمذي في القيامة 2235.

أول من يحاسب من الأمم

عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق ".*

فالأمة المحمدية هي آخر الأمم في الدنيا عليها تقوم الساعة ولها الأولية يوم القيامة في القضاء والحساب .تنادى أين الأمة الأمية كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الحديث الآخر : " نحن آخر الأمم، وأول من يُحاسَب يقال : أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون ".**

و هذا من فضائل هذه الأمة فلها أوليات : فهي أول من تحشر، وأول من تحاسب، وأول من تمر على الصراط، وأول من يدخل الجنة كما يأتي.

---

* رواه مسلم في كتاب الجمعة 144/6.

** رواه ابن ماجة في الزهد 4290 بسند صحيح.

من أول ما يحاسب عليه الصلاة والدماء

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدتت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك ".* وعن تميم الداري بنحوه وفيه : " ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك ".**

فالصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله تعالى أما حقوق العباد فهي كالحديث التالي :

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أول ما يقضي بين العباد في الدماء ".***

---

* رواه الترمذي 370 وأبو داود 865/864 والنسائي 187/1 وغيرهم وهو صحيح لشواهده.

** رواه أحمد 103/4 وأبو داود 866 بسند حسن والحاكم وصححه على شرط مسلم.

*** رواه البخاري 206/15 ومسلم 167/166/11 وغيرهما.

قوله " في الدماء " أي في سفكها وإراقتها ظلماً.

فسفك دماء الأبرياء والقتل العمد من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب عند الله تعالى وهو ثالث الفواحش والجرائم الكبرى فأولها وأكبرها الشرك والكفر بالله ثم يلي ذلك ترك الصلاة عمداً ثم يليها قتل النفس العمد.

و لذلك كان من أول ما يقضى فيه ويحاسب عليه العباد من حقوق العباد.

الحساب اليسير والعسير

عن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ليس أحد يُحاسَب يوم القيامة إلا هلك " فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى : " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً " فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :" إنما ذاك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب " وفي رواية : " إلا هلك " وفي رواية: "من نوقش الحساب عذب ".*

" نوقش " المناقشة في الحساب الاستقصاء والتدقيق فيه والمطالبة بالجليل والحقير وقوله " ذاك العرض " أي تعرض أعمال المؤمنين على الله حتى يعرفوها ويعرفوا منة الله تعالى عليهم في سترها عليهم في الدنيا وعفوه عليهم في ذلك اليوم.

والحديث دال على أن الناس في الحساب فريقان فريق تعرض عليهم أعمالهم ويعفو الله تعالى عنهم ولا يناقشون وهؤلاء هم السعداء الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم كما يأتي.

---

* رواه البخاري في الرقاق 93/191/14 وفي مواضع ومسلم في الجنة 208/17 وأبو داود والترمذي.

أما الفريق الثاني فسيحاسبون الحساب العسير ويناقشون ويشدد عليهم وهؤلاء هم الخاسرون الهلكى المعذبون الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم وسيأتي مزيد لهذا في الميزان.

عرض ذنوب العبد عليه ثم العفو عنه

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في حديث النجوى قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " يُدْنَى المؤمنُ من ربه حتى يضع عليه كَنَفَه، فيُقَرِّرُه بذنوبه: تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول : أعرف ربي، أعرف ربي مرتين، فيقول : سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار أو المنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ".*

" النجوى " هي هنا مناجاة الله تعالى عباده المؤمنين مفردين وقوله " كنفه " بفتحات أي ستره وعفوه.

و الحديث تتجلى فيه رحمة الله تعالى بعبده المؤمن يوم القيامة حيث أنه سيضع عليه ستره ويناجيه ويقربه إليه ثم يقرره بما سلف له من ذنوبه ويعرضها عليه حتى إذا عرفها واعترف بها وظن أنه هالك عفى عنه سبحانه وتعالى وغفرها له فضلاً منه ورحمة به. بينما الكافر والمنافق وأشباههما من الطغاة والعتاة والمتمردين على الله سيعرضون عليه ويقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء هؤلاء المفترون الذين كذبوا على الله في نسبتهم إليه الشريك وما لا يليق به : ألا لعنة الله وخزيه على الظالمين والأفاكين.

________________ * رواه البخاري في تفسير سورة هود 424/9 وفي مواضع ومسلم في التوبة 87/17 وغيرهما.

شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فضحك فقال : " هل تدرون مم أضحك؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال : يقول بلى، قال فيقول : إني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه : انطقي قال : فتنطق بأعماله قال : ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام قال : فيقول : بُعْداً لكن وسُحقاً، فعنكن كنت أناضل ".*

قوله " لأركانه " أي جوارحه وقوله " أناضل " أي أدافع وأجادل وقوله " سحقاً " أي بعداً.

الحديث الشريف دال على أن الله سبحانه سينطق جوارح الكفار لتشهد على ما عملوا وبهذا نطق القرآن الكريم كما قال تعالى : " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " النور 24، وقال تعالى : " ويَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ________________

* رواه مسلم في الزهد 105/104/17 والنسائي في الكبرى 508/6.

وَأَبْصَارُهُمْ وجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، ومَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولَا أَبْصَارُكُمْ ولَا جُلُودُكُمْ " فصلت 19-20-21-22.

و نطق هذه الجوارح ليس بغريب ولا بعجيب فإن الله الذي خلقها وأنطق الإنسان وعلمه البيان هو الذي أنطقها إقامة للحجة على أصحابها.

فالعجب من ملاحدة العصر وغيرهم الذين ينكرون مثل هذا ويهزءون ممن يؤمن بذلك ويعتقده وها هم أولاء يشاهدون في الدنيا تكلم الجمادات بداية من الراديو فالتلفاز فآلة التسجيل . وغير ذلك مما أصبح عادياً في حياة الناس.

الميزان ووزن ما يؤمر بوزنه

عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة : يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ".*

و عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه كان دقيق الساقين فجعلت الريح تلقيه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم : " مم تضحكون؟ " قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد ".**

و عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر الله تعالى عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر ثم

---

* رواه الحاكم في الأهوال 586/4 وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

** رواه أحمد 21/20/1 وسنده صحيح.

يقول له : أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال : لا يا رب، فيقول : ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول : بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – فيقول : أحضروه فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول : إنك لا تظلم، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال : فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء مع إسم الله تعالى ".*

و عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع

ما أحصى عليه فيتمايل به الميزان قال : فيبعث إلى النار قال : فإذا أدبر صاح صائح من عند الرحمان تبارك وتعالى يقول : لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقي له بطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان ".**

كلامنا على هذه الأحاديث من وجوه :

---

* رواه أحمد 213/2 والترمذي في الإيمان 2455 وابن ماجة في الزهد 4300 بسند صحيح.

** رواه أحمد 221/2.

أولا، ثبوت الميزان ليوم القيامة وأنه ميزان حقيقي له كفتان كفة للحسنات وكفة للسيآت وبهذا قال السلف وأهل السنة ويؤيد هذه الأحاديث قوله تعالى : " ونَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ " الأنبياء 47.

و قال تعالى : " فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ " المؤمنون 102-103.

و قال تعالى : " والْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " الأعراف 8.

و قال جل علاه : " فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ " القارعة 6-7-8-9.

قال العلماء الذي عليه أئمة السلف إنه ميزان واحد وإنما جمع في هذه الآيات باعتبار تعدد الموزونات.

ثانيا، اختلف العلماء ما الذي يوزن؟ هل الأعمال والأقوال أم الصحف أم أصحابها وظواهر النصوص الشرعية أن الوزن سيكون للجميع كما يتضح من الآتي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " كلمتان حبيبتان إلى الرحمان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ".*

و قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده ".**

فهما يدلان على أن الأعمال والأقوال هي التي تورن.

و حديث ابن مسعود المتقدم في شأن ساقيه وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لهُما أثقلُ في الميزان من أحد يدل على أن الأجسام هي التي توزن.

و حديث الصحيفة يدل على أن الصحف هي التي توزن، فدل الجميع على أن الوزن سيكون للجميع للأعمال والأقوال، وللأجسام، وللصحف والله يفعل ما يشاء. ــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري آخر الصحيح ومسلم في الذكر 19/17 والترمذي في الأدعية وغيرهم.

** رواه أحمد 443/3 عن مولى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسنده صحيح.

ثالثا، طبقات الناس في الوزن ثلاثة : متقون، ومخلطون، وكافرون مجرمون. فالطبقة الأولى المتقون حسب مراتبهم في الاستقامة والذين جاءتهم مناياهم ولا كبائر لهم، فهؤلاء توضع حسناتهم في الكفة النيرة ويثقل ميزانهم، الطبقة الثانية الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فماتوا ولهم حسنات وسيآت كبائر وصغائر توفوا عنهم ولم يتوبوا منها ولم تغفر لهم فهؤلاء توزن أعمالهم فإن رجحت حسناتهم ولو بحسنة واحدة دخلوا الجنة وحفظوا من النار وإن رجحت سيآتهم ولو بسيئة دخلوا النار إلا أن يعفو الله عز وجل عنهم وإن تساوت حسناتهم وسيآتهم كانوا من أصحاب الأعراف فيوقفون على سور بين الجنة والنار مدة ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته وجاء أمر هؤلاء مفصلا في سورة الأعراف في قوله تعالى : " وعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ " الآية وقد فصلت أمرهم مع سابقيهم في رسالة : " مع السابقين إلى الجنة ".

الطبقة الثالثة وهم قسمان : قسم موحدون أوبقتهم سيآتهم النار فسيعذبون فيها عذاباً مؤقتاً ثم يخرجون منها ويكون مآلهم الجنة، أما القسم الثاني وهم الكفار على اختلاف كفرهم فهؤلاء ليس لهم إلا الكفر والآثام فتوضع في كفة السيآت المظلِمة فتثقل ولا تقبل منهم أي حسنة ثم يسحبون على وجوههم فيلقون في النار خالدين فيها أبداً.

رابعا، اختلف العلماء في وقت استلام الصحف أو تطايرها وهل هما كتابان لكل إنسان أو هو كتاب واحد والظاهر أنه كتاب واحد يكون في عنق الإنسان ثم يوضع فيقرؤه كما قال تعالى : " وكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً، اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً " الإسراء 13-14، وقال تعالى : " ووُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ويَقُولُونَ يَا ويْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولَا كَبِيرَةً إلَّا أَحْصَاهَا ووَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ولَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً " الكهف 49.

ثم بعد أن توزن أعمالهم تطير الصحف في الأيدي فمنهم الآخذ كتابه بيمينه ومنهم الآخذ بالشمال ويكون ذلك علامة على السعادة والشقاوة.

و بعد هذا يقع الحساب قال الله تعالى : " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، ويَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً " الانشقاق 7-8-9.

فأخبر تعالى بأن الحساب سيكون بعد أن تُؤتى الكتبُ وتوزن الأعمال فمن أخذ كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً وذهب إلى أهله فرحا

مسروراً والعكس بالعكس كما فصل ذلك في موضع آخر حيث قال عز وجل : " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ، ولَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ " الحاقة 19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31.

و على أي فمشاهد القيامة مختلفة ومتنوعة وهي من عالم الغيب بل وفوق مستوى عقولنا القاصرة المحدثة الفانية.

حَوْضُ نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً ".*

قوله " زواياه " أي جوانبه متساوية وقوله " لم يظمأ " أي لم يعطش.

أحاديث الحوض جاءت من طرق متواترة والحوض غير الكوثر لأن هذا في الجنة وهو المذكور في القرآن الكريم : " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " الكوثر 1، أما الحوض فهو قبل الصراط على الصحيح، فإن الناس

سيصيبهم عطش شديد في ذلك اليوم الرهيب فيأتي المؤمنون الحوض بعد فراغهم من الحساب فيشربون منه شربة لا يعطشون بعدها أبداً ويمنع عنه من بدل دين الله تعالى وابتدع فيه بحيث يطرد عنه بواسطة ملائكة الله تعالى كما جاء ذلك في صحاح السنة.

و الحوض غير خاص بنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل لكل نبي حوض ترده أمته كما جاء بذلك حديث رواه الترمذي وغيره.

---

* رواه البخاري في الرقاق 266/14 ومسلم في الفضائل 55/15 وغيرهما.

الصراط والمرور عليه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد " فذكر الحديث وفيه : " ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم قيل : يا رسول الله وما الجسر؟ قال : دَحْضٌ، مزلة، فيه خطا طيف وكلاليب، وحسك، تكون بنجد، فيها شُوَيكَة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركبان، فناج مسلم، ومَخْدُوشٌ مُرسَل، ومَكْدُوسٌ في نار جهنم ".*

و عن أبي هريرة نحوه وفيه : " ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ." الحديث.**

و في الباب أحاديث كلها تدل على ثبوت الصراط الذي سيوضع على ظهر ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في التوحيد مطولا وفي مواضع مقطعا ومسلم في الإيمان 33/25/3 بطوله.

** رواه البخاري في الرقاق 259/241/14 وفي مواضع ومسلم في الإيمان 22/17/3.

جهنم ويمر الناس عليه فمنهم الناجي ومنهم الهالك الموبق في جهنم، يمر الناس عليه حسب مراتبهم في الإيمان والتقوى كما هو مصرح به في الحديث.

جعلنا الله تعالى ممن يمرون عليه كطرف العين آمين والكلام فيه طويل جداً.

حلول شفاعة الشافعيـــن

في حديث أبي سعيد السابق حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله تعالى في استقصاء الحق

من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم : " إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ويُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً " النساء 40.

فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج في حميل السيل . فيخرجون كاللؤلؤ . الحديث في دخولهم الجنة.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي

دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ".*

عندما يمرُّ المؤمنون السعداء على الصراط ويرون إخوانهم سقطوا في جهنم وقد كانوا في الدنيا يشاركونهم في أداء العبادات حينئذ يبالغون في مناشدة الله تعالى أن يشفعهم فيهم فيتفضل الله عز وجل عليهم برحمته فيأمرهم أن يخرجوا من النار كل من عرفوا فيه خيراً فيخرجون أقواماً وأقواماً حتى يخرجوا كل من كان في قلبه وزن ذرة من خير بعد ذلك تتجلى رحمة الله الواسعة وفضله الشامل فيقول : شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط مع التوحيد فيدخلهم الجنة ويعطيهم ما ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 486/396/381/2 في مواضع والبخاري في التوحيد ومسلم في الإيمان وغيرهما.

لم يكونوا يتصورونه والمقصود أنه عند الصراط يؤذن بالشفاعة.

و الشفعاء كثيرون وأشرفهم في ذلك وأولهم رسولنا الكريم سيد ولد آدم وإمام المتقين صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وله شفاعات كثيرة أعظمها شفاعته في الموقف لإراحة الناس من ذلك المشهد الهائل ثم يعقبها شفاعات أخرى متكررة ومن أهمها إخراج العصاة من النار بعد أن امتحشوا وصاروا فحماً، والأحاديث في شفاعاته متواترة ولي رسالة في أنواع الشفاعة فاطلبها فإنها مهمة فلا يبقى بإذن الله تعالى

ورحمته في النار أحد مات على التوحيد وإن عمل ما عمل ما عدا الكفر .

مواضع لا تخلو من نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال : " أنا فاعل إن شاء الله تعالى " قلت : فأين أطلبك؟ قال : " أول ما تطلبني على الصراط " قلت : فإن لم ألقك على الصراط؟ قال : " فاطلبني عند الميزان " قلت : فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال : " فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن ".*

هذه المواطن الثلاث من أخطر مشاهد يوم القيامة فلذلك يحضرها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليشاهد أمته ويشفع فيمن يستحق الشفاعة منهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

---

* رواه أحمد 178/3 والترمذي في القيامة 3254 بسند صحيح.

الجنـــة والنـــار

الإيمان بوجودهما من المعتقدات الإسلامية فهما مخلوقتان معدتان لأهليهما.

قال الله تعالى في شأن النار : " فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " البقرة 24.

و قال تعالى : " إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً " الكهف 102.

و قال : " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وأَغْلَالاً وسَعِيراً " الإنسان 4.

في آيات أخر فالنار مهيأة للكافرين بجميع أنواع عذابها قد أكل بعضها بعضاً.

سعة جهنم وعظمهــــا

تقدم حديث : يؤتى بالنار يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. رواه مسلم.

فهذا شيء هائل فالخلق الذي يكون بهذه الصفة شيء مخيف لا تتصور عقولنا كبره وعظمته.

قعر جهنــــم

عن عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاماً ما تفضي إلى قعرها ".*

و " الشفير " ناحية الشيء والمراد به هنا طرف جهنم و" القعر " الأسفل.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ سمع وجَبَةً فقال : " أتدرون ما هذا؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم قال : " هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حين انتهى ".**

سبعون سنة يهوي الحجر في جهنم لا يصل إلى أسفلها فتصور أيها المسلم هذه المسافة التي يقطعها الحجر نازلا سبعين عاماً بلياليها ونهاريها.

---

* رواه الترمذي في صفة جهنم 2392 وفي صحيح مسلم رقم 195 في الإيمان من قول أبي هريرة : إن قعر جهنم سبعون خريفاً.

** رواه مسلم 179/17 " وجبة " صوت السقطة.

حر نار جهنــم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم " قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال : " فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها ".*

فهذه النار التي نستخدمها في مرافقنا لا يستطيع أحد القرب منها ولا مسها فكيف بتعذيبه بها هذا وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم " كَلَّا إِنَّهَا لَظَى، نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى " المعارج 15-16، فهي النار المتأججة التي تطلع على الأفئدة.

---

* رواه البخاري في بدء الخلق 143/7 ومسلم في الجنة 179/17 والترمذي في صفة جهنم 2408.

ظلمة نار جهنم وشدة سوادها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : " أَتَرَوْنَهَا حمراء كناركم هذه؟ لهي أسود من القار والقار الزفت ".*

---

* رواه مالك في صفة جهنم من الموطأ رقم 1937 مع الزرقاني وسنده صحيح وحكمه الرفع.

أودية جهنم وأنهارهــا

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن الله عز وجل عهد لمن يشرب السكر أن يسقيه

من طينة الخبال " قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال : " عرق أهل النار أو عصاة أهل النار ".*

و عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ثلاثة لا يدخلون الجنة فذكر منهم مدمن الخمر " قال : " ومن مات يدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة " قيل : وما نهر الغوطة؟ قال : " نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريحُ فروجهم ".**

" المومسات " الزواني.

في النار أودية وأنهار تجري بعصارة أهلها وصديدهم وقيحهم عياذاً بالله وفيها جب الحزن وهو واد تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعد للقراء المرائين كما جاء في حديث رواه البيهقي بسند حسن.

---

* رواه مسلم في الأشربة 171/3 ورواه الترمذي وابن ماجة والدارمي وغيرهم عن ابن عمر.

** رواه أحمد 399/4 وابن حبان 166/12 والحاكم 146/4 وصححه ووافقه الذهبي.

و فيها الويل وهو واد يهوي فيه الكافر أربعين عاماً قبل أن يبلغ قعره.*

و فيها نهر الغوطة الذي أعد لمدمني الخمر وهو من أخبث الأودية إذ مصدره من فروج الزواني حتى إن أهل جهنم يتأذون من نتن ريحه.

و فيها طينة الخبال وهو ما اجتمع من عرق أهل النار وعصارة عذابهم.

و فيها غير ذلك من الأنهار التي يعذب فيها من يستحق ذلك.

---

* رواه أحمد 75/3 والترمذي في تفسير الأنبياء 2961 وصححه الحاكم 596/507/4 ووافقه الذهبي.

سرادق جهنـــم

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: " لسرادق النار أربعة جدر، كل جدار مسيرة أربعين سنة ".*

السرادق هو الحائط فحائط جهنم المحيط بها من كل جانب عظيم وعظيم بحيث له أربعة جدر غلظ كل جدار منها مسيرة أربعين سنة. فأنى للكافر أن يخرج منها ومع ذلك ففيها رقباء وخزنة من الملائكة غلاظ شداد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون.

و في هذا السرادق يقول تعالى : " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " الكهف 29.

---

* رواه الترمذي في صفة جهنم 2402 والحاكم 601/4 وصححه.

أبواب جهنـــم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ".*

فلجهنم أبواب كالجنة لكل باب قوم خاصون وفي القرآن الكريم : " وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ " الحجر 43-44.

و قال تعالى : " قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا " الزمر 72.

و قال : " وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ويُنذِرُونَكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى ولَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ " الزمر 71.

فهذه الآي صريحة في أن لها أبوابا يدخل منها الكفار ومن شاء الله.

---

* رواه البخاري في الصيام وفي بدء الخلق 147/7 ومسلم في الصيام 187/7 وأهل السنن إلا أبا داود.

عظم جثث أهل النار وأطرافهم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع ".*

و عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث " وفي رواية : " وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة ".**

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يعظم أهل النار في النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد ".***

إن الله عز وجل سيضخم أجساد الكفار في جهنم ويجعلها عظيمة ليكون ذلك ___

* رواه البخاري في الرقاق 213/14 ومسلم في صفة جهنم 186/17.

** رواه مسلم 186/17 والترمذي 2397/2394 وابن حبان 1616 والحاكم 595/4 بألفاظ.

*** رواه أحمد 26/2 بسند حسن صحيح.

أبلغ في إيلامهم وعذابهم وكلما احترقت بدلها كما قال : " كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ " النساء 56، وما جاء في اختلاف هذه الأحاديث من الأعداد والصفات كلها حق لأن الكفار ليسوا سواء في العذاب بل هم متفاوتون، فليس عذاب المنافقين كالكافرين، وليس عذاب أمثال فرعون والنمروذ وقارون وهامان وأبي جهل وأبي لهب وغيرهم من الفراعنة والجبابرة كعذاب المقوقس، وهرقل وغيرهم ممن كان يسالم المسلمين أو يعينهم ويمدهم بالأسلحة مثلا ولا يحاربهم.

طعام أهل النار وشرابهـــم

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية : " اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ " آل عمران 102، فقال : " لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامهم ".*

و عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قوله تعالى : " ويُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ ولاَ يَكَادُ

يُسِيغُهُ " الآية 16-17 إبراهيم، فقال : " يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى : " وسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ" محمد 15، ويقول : " وإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وسَاءتْ مُرْتَفَقاً " الكهف 29 ".**

---

* رواه الترمذي في صفة شراب أهل النار 2404 وأحمد 338/1 والنسائي في الكبرى 313/6 وابن ماجة 4325 وحسنه الترمذي وصححه.

** رواه أحمد 265/5 والترمذي 2400 والحاكم 369/368/351/2 وصححه عل شرط مسلم ووافقه الذهبي.

" الزقوم " شجر خبيث منتن.

هذا طعام أهل النار وهذا شرابهم فطعامهم الضريع، والزقوم، والغساق، والغسلين.

قال الله تعالى : " لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ " الغاشية 6، وهو شجر له شوك من شر الطعام وأبشعه.

و قال تعالى : " أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ " الصافات 62-63-64-65.

و قال تعالى : " إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ " الدخان 43-44-45-46. والزقوم شجر خبيث منتن.

و قال جل علاه : " هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ، وآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ " ص 57-58.

و قال جل ذكره : " لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً ولَا شَرَاباً، إِلَّا حَمِيماً وغَسَّاقاً " النبأ 24-25. والغساق ما اجتمع من صديد أهل النار وجروحهم لا يسطاع أكله.

و قال جل ثناؤه : " فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، ولَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ " الحاقة 35-36-37. والغسلين شر الطعام وقيل هو كالغساق صديد أهل النار.

أما شرابهم فهو الماء الحميم قال تعالى : " وإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ " الكهف 29. في آيات كثيرة.

المقمعة التي يضرب بها أهل النار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لو أن مِقْمَعاً من حديد جهنم وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض " وفي رواية : " لو ضرب

الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت كما يضرب به أهل النار فصار رماداً ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ".*

المقمعة هي آلة القمع والضرب والسياط الذي يعذب به فهذه مقمعة واحدة من مقامع جهنم لا يستطيع أهل الأرض رفعها من الأرض فلنتصور عظمة هذه المقمعة وعظم الملك الذي يضرب بها.

---

* رواه أحمد 83/29/3 والحاكم في الأهوال 601/4 وصححه ووافقه الذهبي.

بكاء أهل النـــار

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم ".* يعني مكان الدمع.

فأهل النار يبكون في جميع مراحل عذابهم ويتكون من دموعهم مثل الأنهار أو البحار تسع جريان السفن فيها ثم تنقلب دموعهم دماء. وذلك لا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً.

و لنقتصر على هذا القدر فإن أخبار الكفار وأنواع عذابهم جاءت بها سور كثيرة وخاصة السور المكية وبالجملة فهم كما قال تعالى فيهم : " كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً " الإسراء 97.

و قال تعالى : " فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً " النبأ 30، فهم في عذاب دائمٍ متنوعٍ خالدين فيه أبداً لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون.

---

* رواه الحاكم في الأهوال 605/4 وصححه ووافقه الذهبي وله شاهد عن أنس رواه ابن ماجة 4324.

دار الأفـــراح

أما الجنة فهي تلك الدار التي أعدها الله عز وجل لأوليائه المؤمنين طائعهم وعاصيهم وهي مخلوقة موجودة كالنار.

قال الله تعالى : " سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ "آل عمران 133.

و قال جل علاه : " سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء والْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ واللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " الحديد 21.

و الآيات في ذلك كثيرة كالسنة النبوية. فلنتابع المسيرة في صفتها وصفات أهلها باختصار.

صفة خلق الجنة وبنائـــها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال : " لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم فلا يبأس، ويَخلُد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ".*

" الملاط " بكسر الميم أي التراب و" الأذفر " الشديد الرائحة " فلا يبأس " أي لا يصيبه بؤس وفقر.

و عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ".**

---

* رواه أحمد 305/362/2 والترمذي في الجنة 2343 وغيرهما مطولا ومختصراً وسنده صحيح.

** رواه البخاري في التفسير وفي بدء الخلق ومسلم في الإيمان رقم 180 والترمذي في صفة الجنة 2345 وغيرهم.

و عن انس رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء الطويل قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابد اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك ".*

" الجنابد " هي القباب والخيام.

فهذا خلق الجنة وهذه صفتها فهي مبنية بذهب وفضة وأرضها مكونة من الياقوت واللؤلؤ والمسك والزعفران. أمر غريب لا عهد للبشرية به.

---

* رواه أحمد 466/2 والبخاري في بدء الخلق 131/7 وفي مواضع ومسلم في الجنة 166/17 والترمذي في تفسير السجدة 2990 والواقعة .

صفات الجنة فوق مستوى عقولنـــا

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر " فاقرءوا إن شئتم : " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " السجدة 17.*

دل الحديث على أمرين :

الأول، أن الله جعل الجنة خالصة لعباده الصالحين وهم كل من آمن به وبما جاءت به رسله على اختلاف منازلهم ودرجاتهم إيمانا وعملا وحالا.

الثاني، أنه تعالى أعد لهم في هذه الدار من أنواع المتع والنعيم أكلا وشرباً ولباساً ونكاحاً ومنظراً ومسمعاً ومركباً وما فيها من قصور، وأنهار وأشجار وعيون وحلل ومن كل ما يشتهى ويلذ مما هو خارج عن مستوى عقولنا الضيقة ففي الجنة ما لم تسمعه الآذان ولا رأته عين، ولا خطر على قلب بشر وما يذكر القرآن والسنة من صفاتها فإنما هي أمثلة فقط أما حقائقها فلا تدركها العقول ولا يعلمها إلا الله عز وجل.

---

* رواه البخاري في التفسير 134/10 وغيره ومسلم في الجنة رقم 2824 والترمذي في التفسير 3075/2990.

قصور الجنة وغرفـــها

عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ".* وفي رواية : " عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها للمؤمن أهل ما يرون الاخرين يطوف عليهم المؤمن ".*

قوله " لخيمة " أي لقصر والعرب تعبر عن القصر بالخيمة " زاوية " أي في كل جهة وناحية.

فهذا مثل واحد ضرب لقصر من قصور أولياء الله تعالى فالقصر مكون من لؤلؤة، وتصور مقدار هذه اللؤلؤة التي طول قصرها وعرضه ستون ميلا أي مقدار ما يمشيه الراكب على بهيمة نحو نصف يوم من أيام الدنيا وقد هيئت في كل ناحية منها فرش مزخرفة عليها نساء غاية في الحسن والجمال يتمتع بهن ولي الله كيف يشاء وكم له من هذه القصور.

---

* رواه أحمد 419/411/4 والبخاري في بدء الخلق 131/7 وفي التفسير ومسلم 175/17 والترمذي 2346 كلاهما في الجنة والدارمي 2836.

و عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن في الجنة غُرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله عز وجل لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام ".*

هذه غرف الجنة طباق فوق طباق شفافة وهي غرف خاصة هيئت للمذكورين في الحديث جعلنا الله تعالى منهم آمين.

---

* رواه أحمد 343/5 وابن حبان 262/2 والبيهقي في السنن 300/4 بسند حسن صحيح.

بحار الجنة وأنهارهـــا

عن معاوية القشيري رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : " في الجنة بحر للماء، وبحر للبن، وبحر للعسل، وبحر للخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعدُ ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أنهار الجنة تخرج من تحت تِلاَلٍ أو من تحت جبال مسك ".**

" تلال " بكسر التاء جمع تل بفتحها وضمها هي القطعة المرتفعة عن الأرض.

الحديث الأول دلى على أن في الجنة بحاراً للماء واللبن والعسل والخمر ثم تتفجر منها الأنهار من تحت جبال المسك كما في الحديث الثاني. وكل تلك البحار والأنهار تتفجر من جنة الفردوس كما يأتي في درجات الجنة.

و لكل واحد من أهل الجنة أربعة أنهار مما ذكر تمر جارية في ملكه يشرب ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه أحمد 5/5 والترمذي في صفة الجنة 2384 والدارمي 2839 وحسنه الترمذي وصححه.

** رواه ابن حبان 423/16 بسند حسن.

منها أيما وقت شاء. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأنهار فقال : " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى " محمد 15، وقد تكرر ذكر هذه الأنهار في القرآن الكريم بكثرة.

كقوله تعالى : " مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ " الرعد 35.

و قوله عز وجل : " لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " العنكبوت 58.

و قوله جل ذكره : " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ " النحل 31. في عشرات من الآي.

و هذا غاية ما يكون من المنظر الجميل والمتعة الطيبة والفرحة والسرور وانشراح الصدر، إذ القلوب مجبولة على حب المياه الجارية والتنزه في الحدائق والنظر إلى الخضرة وهذا من المتع والنعيم الذي أعده الله تعالى لأوليائه في دار الأفراح.

أشجار الجنة وأفنانها وثمارها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها

مائة عام لا يقطعها. واقرءوا إن شئتم : " وظِلٍّ مَّمْدُودٍ " الواقعة 30 ".*

و في رواية لأبي سعيد : " يسير الراكب الجواد المضمَّر السريع مائة عام لا يقطعها ".**

هذ ه صفة شجرة واحدة من بلايين بلايين أشجار الجنة ولعظم هذه الشجرة وكبرها وامتدادها لا يقطعها الراكب المسرع في مدة مائة عام وهذا شيء لا تتصوره عقولنا، وهذه الشجرة قد تكون شجرة سدرة المنتهى.

فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذكر سدرة المنتهى قال : " يسير الراكب في ___________________

* رواه أحمد 452/418/2 والبخاري في التفسير 251/10 ومسلم في الجنة 167/17 والترمذي في التفسير 3075 وفي صفة الجنة 2341 والنسائي في الكبرى 479/6.

** رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال ".*

" القلال " جمع قلة وهي الآنية العظيمة و" الفنن " هو الغصن قال تعالى في صفة الجنة : " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ " الرحمان 48.

---

* رواه الترمذي في صفة الجنة 2358 وحسنه وصححه.

عدد الجنان وأسماؤهـــا

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : أصيب حارثة يعني ابن سراقة – يوم بدر – فجاءت أمه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله قد عرفتَ منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما اصنع، فقال : " ويحك أوَهَبِلْتِ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه لفي جنة الفردوس ".*

" أوهبلت " أي ثُكِلْتِ.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمان، ومنه تفجر أنهار الجنة ".**

الحديثان يدلان على أن الجنان متعددة المنازل وليست جنة واحدة ولذلك رغب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في سؤال الفردوس وأخبر بأنه أوسط ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في المغازي 306/8 وفي الرقاق 236/213/14.

** رواه البخاري في أوائل فضائل الجهاد 353/352/6.

الجنة وأعلاها وأفضلها فعلم أن هنالك جناناً أخرى وقد ورد في القرآن الكريم التنصيص على جملة منها.

فالأولى هذه الفردوس قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ " الكهف 107.

و قال تعالى : " أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " المؤمنون 10-11.

الثانية جنة عدن قال تعالى : " وإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ " ص 49-50.

و قال : " جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ " النحل 31.

ثالثا جنة الخلد قال الله تعالى : " قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وعِدَ الْمُتَّقُونَ" الفرقان 15.

رابعا جنة المأوى قال الله تعالى : " ولَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى " النجم 13-14-15.

خامسا جاء في حديث سمرة الطويل في رؤيا رآها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وفيه : " وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قال : أما هذه الدار فدار الشهداء "* وهنالك جنان أخر فلتنتظر.

* رواه البخاري مطولا في التعبير وغيره.

أبواب الجنـــان

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة " فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال : " نعم وأرجو أن تكون منهم ".*

فالحديث يدل على أن في الجنة أبوابا لها أسامي خاصة بمن يدخلها وأن كل من كان عملٌ ما أغلب عليه في الدنيا دخل الجنة من باب ذلك العمل.

و جملة أبواب الجنة ثمانية كما جاء في حديث سيدنا عمر في الوضوء : " ما منكم من أحد يتوضأ ويسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا فتحت له أبواب الجنة ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الصيام 1897 وفي الجهاد 2841 وفي بدء الخلق 3216 وفي الفضائل 3666 ومسلم في الزكاة 117/115/7.

الثمانية يدخل من أيها شاء ".*

و هذه الأبواب جميعا ستفتح لأهلها قبل أن يأتوها فإذا جاءوها تلقتهم الملائكة وسلمت عليهم وأمرتهم بالدخول كما قال تعالى : " وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ " الزمر 73.

---

* رواه مسلم في الطهارة وغيره.

مسافة ما بين مصراعي باب من أبواب الجنة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً بلحم فذكر حديث الشفاعة الطويل وفيه : " فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى ".*

" المصراع " أحد جانب غلقتي الباب.

هذا شيء عظيم مسافة عرض باب من أبواب الجنة أكثر من ألف كيلو ومع ذلك فيأتي عليها وقت تكون كلها مكتظة من كثرة الازدحام.

---

* رواه أحمد 435/2 والبخاري في تفسير الإسراء 11/10/10 وغيره ومسلم في الإيمان 71/65/3 وغيرهما مطولا.

أول من يدخل الجنة رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ".*

الحديث يدل على أن الجنة ستكون أبوابها مغلقة حتى يأتي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون أول من يقرع بابها ويطلب فتحها فيجاب من قبل خازنها إنا كنا مأمورين بأن لا نفتحها لأحد قبلك فهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أول من يدخلها على الإطلاق بذاته الشريفة وروحه الطاهرة دخول إقامة.

و في حديث آخر لأنس عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة ".**

و هذه خصيصة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من جملة خصائصه الكثيرة.

---

* رواه أحمد 136/3 ومسلم في الإيمان 73/3.

** رواه مسلم في الإيمان أيضاً 73/3.

من صفات أهل الجنة وبعض متعهم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درّيٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألُوَّةُ، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم - عليه السلام – ستون ذراعاً في السماء ".* وفي رواية : " ولكل واحد منهم زوجتان يُرَى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغُض، قلوبهم على قبل رجل واحد، يسبحون الله تعالى بكرة وعشياً ".*

" الزمرة " هي الجماعة و" الكوكب الدري " هو المضيء و" الرشح " العرق و" المجامر " البخور و" الألوة " هو العود و" الحور العين " الحور جمع حوراء هي الشابة البيضاء الحسناء والعين جمع عيناء وهي ذات العين الواسعة الشديدة سواد الحدقة وذلك أجمل ما يكون في المرأة.

---

* رواه البخاري في بدء الخلق 134/132/7 ومسلم في الجنة 173/17 والترمذي وغيرهم ومثله باختصار عن أبي سعيد الخدري رواه الترمذي 2352 في الجنة.

دل الحديث على بيان صفات الجماعة التي تدخل الجنة أولا فأولا فذكر أن الجماعة الأولى ستكون صورهم في الإضاءة كالقمر عند اكتمال قرصته، والذين يلونهم وجوههم كأضوء نجم في السماء ثم ذكر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جملة من المتع والنعيم الذي خصهم الله تعالى به مع سائر من يدخل الجنة وهو أربعة عشر نوعاً كلها غاية في المتعة والتنعم فأهل الجنة منزهون عن القذارة فلا بول، ولا غائط، ولا مخاط، ولا بزاق، ولا دم، ولا أي رائحة كريهة قد هيئت لهم أمشاط من ذهب يرجلون بها شعورهم وجعل ما يترشح من أجسامهم مسكا، وبخورهم العود الطيب الذي لم يشم أطيب منه أما نساؤهم فالفتيات الجميلات الحسان كأنهن في البياض والصفاء الياقوت والمرجان بلغن في الصفاء أن يرى مخ أسوقهن من وراء اللحم من الحسن لكل رجل منهن زوجتان بل ما شاء، قلوبهم نقية طاهرة فلا حقد ولا عداوة وحسد صور جميعهم على صورة أبيهم آدم عليه السلام في الطول ستون ذراعاً وفي السن ذكورهم وإناثهم ثلاث وثلاثون سنة كما جاء في حديث آخر سيأتي يجري الله على ألسنتهم مع أنفاسهم تسبيحه تعالى بكرة وعشياً فهذه بعض ما سيعطاه أهل الجنة فيا له من خير ويا لها من متع ويأتي مزيد لهذا لاحقاً.

من السابقين إلى الجنة السبعون ألفا الذين لا حساب عليهم

عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر " وفي رواية : " متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ".*

و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط " فذكر الحديث وفيه: " هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، ثم قال : هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون ".**

و عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي".***

---

* رواه البخاري في بدء الخلق 134/7 وفي الرقاق 215/206/14 ومسلم في الإيمان.

** رواه البخاري ومسلم وغيرهما مطولا.

*** رواه أحمد 350/5 والترمذي في الزهد 2254 وابن ماجة 4286 بسند صحيح.

فهؤلاء السبعون ألفاً ومن معهم هم ممن يدخلون الجنة قبل غيرهم. وهذا الصنف ومن قبله من الناس هم المذكورون في جملة قوله تعالى : " والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " الواقعة 10-11-12، فقد خصهم الله عز وجل بدخول الجنة مع الأولين بلا حساب ولا عتاب ولا عذاب لهذه الخصال التي كانوا متصفين بها وخلاصتها التوكل على الله تعالى الكامل.

و هذا لا يعني أنه لا يوجد من هم أفضل منهم بل لله عز وجل رجال كثير ونساء اصطفاهم لنفسه واختارهم على سائر خلقه ليسوا من هؤلاء ولا بأنبياء ولا رسل.

درجات الجنة ومنازلها وتفاضل الناس فيها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله تعالى أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها" فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في

سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ".* الحديث.

قوله " مائة درجة " قال العلماء إن هذا العدد المراد به الكثرة لا الحصر لأن درجات الجنة أكثر بكثير من ذلك والمراد بالدرجة المرتبة العالية.

و " الفردوس " هو البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين من مياه وأشجار ومناظر جميلة ومشموم طيب وأزهار وأنواع الفواكه وكل ما يشتهى فجنة الفردوس جمع فيها ما تفرق في غيرها وفي قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم " ما بين الدرجتين .الخ " أمر عظيم وخير كبير فاز به أصحاب هذه ___________________

* رواه أحمد 335/2 والبخاري في الجهاد 2790 وفي التوحيد 7423 والترمذي في الجنة 2347.

الدرجات لأن ما بين السماء والأرض يعادل مسافة خمسمائة عام كما جاء في حديث فهنيئاً لهم ثم هنيئاً.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال : " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ".*

" الغابر " الذاهب.

الحديث يدل على أن أهل الجنة متفاضلون وأنهم في درجات متفاوتة وأن فيهم من غير الأنبياء من يرفع فوق غيره في منازل وغرف عالية ترى لبعدها مثل ما يرى الكوكب العالي البعيد الذاهب في الأفق من المشرق إلى المغرب.

و لا شك أن هؤلاء الذين خصوا بهذه الدرجات لا يكونون إلا من بلغوا الذروة ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في بدء الخلق 137/7 وفي الرقاق ومسلم في صفة الجنة 169/17. ونحوه عنه عند أحمد 98/50/27/3 والترمذي في الفضائل 3431 وأبو داود 3987 وابن ماجة 96 وهو حسن صحيح.

العليا في الصلاح كآل بيت النبي الأطهار وزوجاته الطاهرات، وصحابته الأبرار من المهاجرين والأنصار ومن كان على شاكلتهم في الإيمان والتقوى والورع والزهد وخشية الله تعالى ومحبته ومحبة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

أعلا منزلة في الجنة منزلة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا : مثل ما يقول : ثم صلوا علي ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا

لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة ".*

" الوسيلة " درجة في الجنة " حلت له الشفاعة " أي وجبت له فضلا من الله تعالى فأعلى منزلة في الجنة هي الوسيلة وهو مقام رسولنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يبلغه أحد من خلقه ولا يكون فيه معه سواه إلا زوجاته الطاهرات ومن شاء الله تعالى من آل بيته . فإنهم معه بلا ريب.

---

* رواه مسلم في الاذان 85/4.

من أعلى منازل الجنة منزل الشهداء

عن نعيم بن همار رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا أولئك يَتَلَبَّطُونَ في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه ".*

" يتلبطون " بفتحات مع تشديد الباء أي يضطجعون ويتقلبون فيها كيف شاءوا.

---

* رواه أحمد 287/5 بسند صحيح.

حملة القرآن ممن لهم المنازل العالية

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ".*

فالحديث نص في أن منازل حملة القرآن الكريم ستكون على عدد آيات القرآن وهي على المشهور 6666 فانظر إلى هذا الفضل العظيم الذي سيحظى به حملة القرآن الربانيون الملتزمون بما فيه وليس الفسقة والمنافقين المرائين الثرثارين منهم فإن هؤلاء سيحاسبون الحساب العسير نسأل الله السلامة والعافية.

---

* رواه أحمد 192/3 والترمذي في التفسير 2722 وأبو داود 1464 وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه.

أعلا أهل الجنة وأدناهم منزلة

عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه يرفعه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال : هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنةِ الجنة، فيقال له : ادخل الجنة، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من

ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت رب، فيقول : لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول : رضيت رب "

قال : رب فأعلاهم منزلة قال : أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال : ومصداقه في كتاب الله عز وجل : " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ " السجدة 17.*

فالحديث الشريف بين ما لأقل أهل الجنة وأدناهم وما لأعلاهم منزلة ودرجة فأدناهم ولا دنيء في الجنة من سيعطى مثل ما كان يملكه أحد ملوك الدنيا ـــــــــــــــــــــــــــ

* رواه مسلم في الإيمان 46/45/3 والترمذي في التفسير 2991.

و أضعافه إلى خمسة أضعافه وعشرة أمثال كل ذلك، فإن كان هذا أدنى أهل الجنة فكيف بأعلاهم فإن منزلتهم لا تتصورها العقول كما بينه الحديث.

بقية من صفات أهل الجنـــة

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يدخل أهلُ الجنةِ الجنة جُرْداً مُرْداً، كأنهم مُكَحَّلُونَ، أبناء ثلاث وثلاثين ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أهل الجنة جرد مرد كحلى، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم ".**

" جرد " بضم وسكون جمع أجرد أي لا شعور لهم على أجسادهم " مرد " كسابقه جمع أمرد لا لحى لهم فهم كالغلمان وقوله " كحلى " أو " مكحلون " أي في أجفان عيونهم سواد خلقة كأنهم مكحلون.

في الحديث الشريف بيان صفات أهل الجنة وهي هنا خمس صفات :

أولاهن، إن أجسادهم مجردة من الشعر فلا شعر في وجوههم ولا عاناتهم ولا تحت آباطهم ولا غيرها.

---

* رواه أحمد 243/5 والترمذي في الجنة 2362 وسنده حسن صحيح.

** رواه الترمذي في الجنة 2356 والدارمي 2829 بسند حسن.

ثانيتهن، سيكونون كالغلمان مرد بدون لحى ولا شوارب.

ثالثتهن، أجفانهم مكحلة خلقة مضافاً ذلك على عيونهم الواسعة السود الجميلة.

رابعتهن، شبابهم دائم وهم كما تقدم أبناء ثلاث وثلاثين سنة في عنفوان وقوة الشباب.

خامستهن، إن ثيابهم وملابسهم جديدة دائماً فلا تخلق ولا تتسخ ولا تتمزق.

و عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرٌ مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس الشمس كما تَطْمِسُ الشمس ضوء النجوم ".*

" يُقِلُّ " بضم الياء أي يحمل و" ظفر " بضمتين ويسكن الثاني أي بقدر ما يستقل بحمله الظفر وقوله " خوافق " جمع خافقة هي الجوانب التي تهب منها الرياح.

و هذا بعض صفات الجنة وأهلها فلو فرض أن ظهر للدنيا مقدار ما يحمله

---

* رواه أحمد 1449 والترمذي في الجنة 2355 بسند صحيح.

الظفر من أرض الجنة لتزين وبهج له ما بين الآفاق وجوانب السماوات والأرض وأصبح الكل مزخرفاً، كما أنه لو اطلع علينا رجل من سكان الجنة وظهرت أساوره للدنيا لأضاءت جميع أرجائها وغاب ضوء الشمس واضمحل نورها وتلاشى شعاعها.

إنها لصفات ممتعة تنبىء بنعيم عظيم لا يتصور.

و عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما تُلهمون النَّفَس ".*

فمن صفات أهل الجنة أن الله عز وجل جعلهم مطهرين بذكورهم وإناثهم من جميع أقذار الدنيا وأوساخها، فهم في أكل وشرب على التوالي فيخرج ذلك منهم رشحا وعرقاً كريح المسك وهم مع ذلك يسبحون الله تعالى ويحمدونه مع كل نفس من أنفاسهم إلهاماً من الله عز وجل.

---

* رواه مسلم في الجنة 174/17.

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير ".*

معنى هذا أن هنالك من المؤمنين من يدخل الجنة وقلوبهم رقيقة ضعيفة شديدة الخوف من الله والهيبة منه فهم من القوم الذين كانوا قد غلب عليهم الخوف على الرجاء وشبههم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالطير وأفئدتها، لأن الطير أكثر الحيوانات رقة ولذلك تجدها وتراها خائفة فزعة من أدنى شيء.

---

* رواه مسلم في الجنة 177/176/17.

أول ما يقدم قِرَى لأهل الجنة عند دخولهم

عن ثوبان رضي الله تعالى عنه أن يهودياً سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : فما تحفتهم عند دخول الجنة؟ قال : " زيادة كبد الحوت " قال : فما غذاؤهم على إثرها؟ قال : " يخرج ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها " قال : فما شرابهم عليه؟ قال : " من عين تسمى سلسبيلا " قال : صدقت.*

إن أول ما يقدم لأهل الجنة قرى لهم زيادة كبد الحوت وهذا شيء عظيم خارج عن عقولنا فلنتصور مقدار هذا الكبد الذي يأكل كل أهل الجنة من زيادته – وهم يعدون ببلايين البلايين .- ثم لنتصور الحوت صاحب هذا الكبد وكيف هو وأين هذا المحيط الذي يعيش فيه وكم لله تعالى من أفراد هذا النوع من الحيتان إنَّ شأن ربنا لعظيم وعظيم لا تدركه عقولنا فحسبنا الإيمان بما قاله رسولنا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما يقال في الحوت أو النون يقال في الثور الذي يقدم غذاء لهم فسبحان ربنا جلت قدرته ما أعظم شأنه.

---

* رواه مسلم في الحيض من كتاب الطهارة مطولا 227/226/3 في سؤال اليهود النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

نساء أهل الجنة من الحور وغيرهن

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياضُ ساقها من وراء سبعين حلة، حتى يُرى مخها، وذلك بأن الله تعالى يقول : " كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلتَ فيه سلكاً ثم اسْتَصْفَيْتَهُ لأُورِيتَهُ مِن ورائِه ".*

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث له في ذلك : " لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها ".**

و عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما،

---

* رواه الترمذي في صفة الجنة 2351 وابن حبان 2632 ورجاله رجال الصحيح ولا يضر هنا عطاء بن السائب للحديث التالي.

** رواه الترمذي 2352 وحسنه وصححه وكذا رواه أحمد 16/3 وتقدم مطولا عن أبي هريرة.

و لملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها ".*

نساء أهل الجنة اللائي هيئن للمؤمنين لا يمكن تصور حسنهن وجمالهن وبياض أجسادهن وصفائهن وسواد أعينهن وكثرة حللهن الفارهة المتنوعة من أنواع الحرير وطيب ريحهن إلى غير ذلك .

و قد ذكرهن القرآن وفصل أمرهن تفصيلا. ويكفي فيهن قوله تعالى : " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولَا جَانٌّ . كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ والْمَرْجَانُ " الرحمان 56-58، يعني في الصفاء والبياض.

و قوله جل علاه : " وحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ " الواقعة 22-23، أي في البياض والصفاء أيضاً.

و قال في آية أخرى : " وعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " الصافات 48-49.

و قال في الواقعة : " إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً، عُرُباً أَتْرَاباً، لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ " الآيات 35-36-37-38.

---

* رواه البخاري في الرقاق 37/14.

و يكفينا هنا في وصفهن قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الواحدة منهن أن عليها سبعين حلة يعني من ملابس الحرير سندسه وإستبرقه، وأن بياض سوقها ومخه ليرى من وراء تلك الملابس لصفائها وشفوف تلك الحلل التي لا ندرك كنهها، وأن الواحدة من الحور لو ظهرت لهذه الدنيا لأشرقت الآفاق من مشرق الأرض إلى

مغربها، ولعبق ريح طيبها ما بين السماء والأرض، بل إن خمارها التي تضعه على رأسها أفضل وأشرف من كل ما في هذه الدنيا من متاع. فأي خير أفضل من هذا وأي جمال أحسن من هذا؟ إن القلم واللسان ليعجزان عن التعبير عن صفات الجنة وأهلها ونسائها ومتعها وقد جمع الله عز وجل كل ما نعجز عن التعبير عنه مما أعد للمؤمنين في قوله جل ثناؤه : " وفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " الزخرف 71، وقوله في الحديث القدسي السابق : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر ".

عدد ما يعطاه المؤمن من الحور

جاء في أحاديث أن المؤمن سيعطى ثنتين وسبعين زوجة ممن ينشىء الله تعالى وثنتين من نساء بنات آدم كما جاء في حديث الصور الطويل.* وتقدم أن المؤمن سيعطى خيمة من لؤلؤة طولها وعرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل يطوف عليهن لا يرى بعضهن بعضاً وصح في الشهيد أنه سيزوج سبعين حوراء .

و كل ذلك يدل على أن النساء في الجنة أكثر بكثير من الرجال، ويكون قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن النساء أقل ساكني الجنة " قبل أن يخرج النساء الموحدات من النار وقبل أن ينشىء الله تعالى ما ينشئه من الناساء فالجنة أكثر سكانها النساء في النهاية كما أن النار أكثرها النساء كما جاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم قال : " اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء ".**

---

* حديث الصور رواه أبو يعلى وابن جرير في تفسيره وهو حديث طويل جاءت أبعاضه مفرقة في أحاديث صحيحة وبعض فقراته فيها نكارة وقد أورده بكامله ابن كثير في النهاية وتكلم عليه فانظر ج224/213/1.

* رواه البخاري في الرقاق 57/14 ومسلم 53/17 كذلك والترمذي في صفة جهنم 2421 عن ابن عباس.

و هذا لا نزاع فيه ولا ينبغي أن يختلف فيه لأن جهنم لا يملأها إلا الكفار بجميع نحلهم وأنواعهم ونساؤهم دائما أكثر من رجالهم أضف إليهن النساء الموحدات فتكون جهنم ابتداء وآخراً مكتظة متزاحمة بالنساء فإذا خرج الموحدات بشفاعة الشافعين وبرحمة الله تعالى لتوحيدهن بقيت النار ملآنة بالنساء الكافرات أكثر من الرجال.

أغاني الحور العيــن

عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالدات، فلا نبيد، ونحن

الناعمات، فلا نبأس، ونحن الراضيات، فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكُنَّ له ".*

و عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغني به : نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعيان، وإن مما يغني به : نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا تخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنَّه ".**

" الخالدات " أي الدائمات " فلا نبيد " أي لا نفنى ولا ننقطع " فلا نبأس " لا تصيبنا حاجة ولا فقر.

---

* رواه الترمذي في صفة الجنة 2383 وضعفه ينجبر بالآتي بعده.

** رواه الطبراني في الأوسط 4914 والصغير 260/259/1 بسند صحيح.

الأغاني من أعظم مشتهيات السمع ومستلذاتها وإحدى مثيرات شهوة الجنس وسوف يتنعم المؤمن بسماعها في الجنة من الحور العين وزوجاته الحسان بأصوات وطرب لم يُسمع بمثلها عوضا عما نزه سمعه عنه في الدنيا من أغاني المومسات والعواهر رغم ما كن عليه من أصوات تسحر العقول وتأخذ بالألباب.

ما سيعطاه المؤمن من قوة الجمـــاع

عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يُعطى المؤمنُ في الجنة قُوَّةَ كذا وكذا من الجماع " قيل : يار سول الله أو يطيق ذلك؟ قال : يعطى قوة مائة ".*

و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قيل له : أنطا في الجنة؟ قال : " نعم، والذي نفسي بيده دَحْماً، دَحْماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً ".**

قوله " دحماً دحماً " معناه : الجماع بدفع وقوة وإزعاج.

هذا من تمام تمتع المؤمن في الجنة حيث يتلذذ بجماع نسائه جماعاً متتابعاً، لا إعياء فيه ولا إكسال ولا ضعف، فهو يطوف على العديد من نسائه الحسان أي وقت شاء، ليس منهن امرأة إلا وهي بكر عذراء كلما واقعها عادت طاهرة بكراً، لها ______________________

* رواه الترمذي في صفة الجنة 2353 وصححه والدارمي 2828 وابن حبان 2635 بالموارد.

** رواه ابن حبان 415/16 مع الإحسان بسند حسن.

قبل شهي، وله ذكر كالخشبة لا ينثني وهن مطهرات من كل وسخ أو قذر أو أي رطوبة من رطوبات نساء الدنيا.

سـوق الجنـة

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا فتقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم حسناً وجمالا، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ".*

هذا من تمام متع أهل الجنة ونعيمهم أيضاً حيث سيجعل الله عز وجل لهم يوماً في مقدار كل أسبوع يكون مجتمعاً لهم كالسوق يجتمع فيه الأحبة والأقارب والأصحاب ويتذاكرون أيام الدنيا ويحمدون الله تعالى على ما أولاهم وأنعم به عليهم ثم تهب عليهم ريح طيبة من بعض جهات الجنة فتحثو في وجوههم وثيابهم روائح وعطورات طيبة لم يشم مثلها فيرجعون إلى زوجاتهم وقد ترقوا في الحسن والجمال وازدادوا على ما كانوا عليه وهكذا يجدون نساءهم قد ازددن أيضاً حسنا وجمالا فيا سبحان الله ما أكرم ربنا وما ألطفه وأرحمه بعباده المؤمنين.

---

* رواه مسلم في صفة الجنة 170/17.

المقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ خيرٌ مما تَطلُع عليه الشمسُ وتغربُ ".*

و عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ".**

" قاب قوس " أي مقدار قوس.

و عن المستورد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يحيي بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع ".***

" اليم " هو البحر.

لا مناسبة بين الدنيا ومتاعها وبين الجنة ونعيمها إلا كما بين اللؤلؤ والبعر ـــــــــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الجهاد وفي بدء الخلق 3253 ومسلم وغيرهما.

** رواه البخاري في المصدرين السابقين ومسلم في الجهاد 37/36/13.

*** رواه مسلم في جهنم 192/17.

و بين الذهب والتراب، وبين العسل والبول.

لأن متاع الدنيا قليل وهي آيلة إلى الفناء ثم إن أيامها كلها منغصة بالفتن والبلايا والمحن والأمراض والنكبات . بينما الجنة متاعها عظيم، ونعيمها وفير، وحياتها دائمة، ويكفي في خسة الدنيا وقلتها بالنسبة للجنة أن مقدار قوس أو موضع سوط فيها خير وأفضل من كل ما في الدنيا وما عليها من متاع وما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يعلق بأصبع الإنسان مِن بلل إذا أدخله البحر.

و اقرأ معي قوله تعالى : " قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى " النساء 77.

و قوله جل علاه : " مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ومَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ " النحل 96.

و قوله جل ذكره : " أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ " الرعد 35.

بل جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : " يُؤتَى بأنعمِ أهلِ الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط، فيقول : لا يا رب، ويُؤْتَى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط، فيقول : لا والله يا رب، ما مر بي بؤس ولا رأيت شدة قط ".*

فالرجل من أهل الجنة الذي كان أبأس خلق الله في الدنيا وأشدهم فقراً إذا غمس في الجنة غمسة واحدة نسي كل ما مر عليه في الدنيا من

بؤس وحاجة وفقر لأن الذي حس به في تلك الغمسة من نعيم الجنة أنساه كل ما أصابه في الدنيا وهذا عكس الكافر الذي كان أنعم أهل الدنيا إذا غمس في النار غمسة واحدة نسي كل نعيم مر عليه في حياته الأولى نعوذ بالله تعالى من غضبه وعذابه ونسأله جنته ورضوانه.

رواه مسلم في صفة القيامة 149/17.

الأمة المحمدية أكثر الأمم دخولا الجنة

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قبة نحواً من أربعين فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ " قالوا : نعم قال : " أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ".* الحديث.

الحديث يدل على أن الأمة المحمدية ستحتل من الجنة نصف سكّانها وباقيهم من سائر الأمم الأخرى وفي ذلك بشارة عظيمة ومزية رائعة لهذه الأمة ولذلك فرح المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتكبير كما في حديث أبي سعيد في الصحيحين.

بل قد جاء ما يدل على أنهم سيكونون ثلثي أهل الجنة.

فعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم ".**

---

* رواه أحمد 386/1 والبخاري في الرقاق 177/14 ومسلم آخر الإيمان 95/3 والترمذي في الجنة 2364.

** رواه الترمذي في الجنة 2363 وابن ماجة في الزهد 4289 والدارمي 2838 ==

دل الحديثان على أمور :

أولا أن أهل الجنة سيكونون مصطفين صفاً صفاً لا يعلم مدى تلك الصُّفوف إلا الله تعالى.

ثانيا إنها ستكون مائة وعشرين صفاً.

ثالثا إن ثلثي تلك الصفوف من الأمة المحمدية وهذا من عظيم عناية الله تعالى برسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وذلك داخل تحت قوله عز وجل : " ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى " الضحى 5.

== وصححه الحاكم 82/1 ووافقه الذهبي.

دخول الجنة بمحض رحمة الله تعالى وفضله

عن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحداً الجنة عملُه " قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة " وفي رواية : " واعلموا أنه لا يُدخِلُ أحدَكم عملُه الجنة ".*

قوله " سددوا " من السداد بفتح السين أي الزموا الصواب والوسط وقوله " وقاربوا " أي إن لم تطيقوا الأخذ بالأكمل فاطلبوا المقاربة إلى ذلك بلا غلو وتقصير.

و الحديث يدل على أن الأعمال الصالحة التي يكسبها المؤمن لا تدخله الجنة ولا تنجيه من النار وتجيره من العذاب بنفسها.

و قد استشكلوا هذا الحديث مع قوله تعالى : " ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" النحل 32، وقوله عز وجل : " وتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " الزخرف 72، مع أحاديث كثيرة في معنى ذلك وأجابوا عن ذلك بأن الإنسان لا ـــــــــــــــــــــــ

* رواه البخاري في الرقاق 80/79/14 ومسلم في صفة القيامة 161/17 ونحوه عن جابر عند مسلم 161/17 ومثله عن أبي هريرة روياه.

يدخل الجنة بمجرد عمله معتمداً عليه وإنما يدخلها برحمة الله عز وجل والأعمال

إنما هي أسباب فقط ويصح أن يقال دخل بأعماله وهي من رحمة الله تعالى إذ هو الموفق والهادي لها وقال بعضهم دخول الجنة برحمة الله واقتسامها بالأعمال وعلى أي فالكل راجع لرحمة الله عز وجل فلا تعارض ولا إشكال.

و الله يفعل ما يشاء فلو عذبنا مع طاعتنا لم يكن في ذلك ظالماً لنا بل هو عدل منه لأننا خلقه وملكه كما أنه لو نعَّم الكافر وأدخله الجنة كان ذلك له فلا يسأل عما يفعل لكنه تعالى وعد المؤمنين والمؤمنات الجنة وأوعد الكافرين والمنافقين والظالمين النار وهو لا يخلف وعده هذا مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة.

خلود أهل الجنـــة

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " ينادي مناد : إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسقَموا أبداً، وإن لكم أن تَحْيَوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرَموا أبداً، وإن لكم أن تَنعَموا فلا تيئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل : وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "* الأعراف 43.

هذه حالة أهل الجنة فهم خالدون فيها منعمون مكرمون فلا مرض يصيبهم ولا فقر يعتريهم ولا شيء فيها ينغص حياتهم ويكدر عليهم نعيمهم ولا هرم ولا موت يلحقهم فهم دائمون ماكثون فيها أبد الآبدين.

و جاء في الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه عندما يدخل أهلُ الجنةِ الجنة وأهلُ النارِ النارَ يؤتى بالموت كالكَبش فيذبح فيقال لكل من أهل الجنة وأهل النار خلود ولا موت والحديث مطول في الصحيح.

---

* رواه أحمد 319/2 ج38/3 ومسلم 175/17 والترمذي 3031.

من هم أهل الجنـــة ؟

سكان الحنة أصناف من الناس : مقربون، وأبرار، ومن رجحت حسناتهم على سيآتهم، ومن استوت سيآتهم وحسناتهم، والذين أوبقتهم سيآتهم النار ثم خرجوا بسبب إيمانهم.

أما المقربون والأبرار فإنهم سادات أهل الجنة، وأصحاب الدرجات العلى الذين لقوا الله طيبين مطهرين لا ذنب لهم.

و منهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأصحابهم وأنصارهم وخاصة آل بيت نبينا الأطهار وزوجاته الطاهرات وصحابته من المهاجرين والأنصار ومنهم سادات التابعين وأئمة

الدين المشهورون والربانيون من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والعباد والزهاد ومنهم أولياء الله بجميع طبقاتهم وفيهم النساء والأميون والعوام.

و قد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من صفات هؤلاء كقوله تعالى : " والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ " الواقعة 10-11-12.

و قوله تعالى : " فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ ورَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ " الواقعة 88-89.

و قوله جل ثناؤه : " إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ " المطففين 22-23-24.

و قال في عموم الصالحين : " ومَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى " طه 75.

و قال : " ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً ولَا هَضْماً " طه 112 في آي أخرى كثيرة.

و قال في مطلق الأولياء : " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وكَانُواْ يَتَّقُونَ " يونس 62-63.

و قال في أهل الاستقامة : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ " الأحقاف 13.

و في آية أخرى : " تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ولَا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الْآخِرَةِ " فصلت 30-31.

و القرآن ملآن بمثل ذلك.

أما الباقون ممن لهم حسنات وسيآت فمن كانت حسناتهم أكثر كانوا ناجين بلا سابقة عذاب وقد يحاسبون حساباً يسيراً وقد يلامون ويعاتبون فترجح حسناتهم ويأخذون كتبهم بأيمانهم.

قال الله تعالى : " فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " الأعراف 8.

و قال : " فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ " القارعة 6-7.

أما من استوت حسناتهم وسيآتهم فهؤلاء أصحاب الأعراف الذين يحبسون على سور بين الجنة والنار مدة ثم يعفى عنهم ويدخلون الجنة بلا عذاب.

أما الذين رجحت سيآتهم على حسناتهم فهؤلاء سيدخلون النار وينفذ فيهم وعد الله وحكمه ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وفضل الله ورحمته ثم يكون مآلهم الجنة مع إخوانهم الموحدين لأن الإيمان يوجب لهم الجنة مع رحمة الله تعالى وهو وعدٌ وعدَ الله به أهل الإيمان.

قال تعالى : " ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ ورُسُلِهِ ولَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ " النساء 152.

و قال تعالى : " وعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ " التوبة 72.

و قال جل علاه : " لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " الفتح 5، إلى غير ذلك من الآيات العامة في المؤمنين فأهل الإيمان كلهم مآلهم الجنة حتى العصاة المعذبون منهم ولا يبقى في النار إلا الكفار بجميع أصنافهم.

و قد ذكرت أحاديث الشفاعة وإخراج العصاة من النار بتفصيل في رسالة " الشفاعة في الكتاب والسنة " فانظرها.

رؤية المؤمنين ربهم في الجنة وإحلاله

عليهم رضوانه تعالى

عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله تعالىعليه وآله وسلم هذه الآية : " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وزِيَادَةٌ " - يونس 26-، قال : " إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النارِ النارَ، نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند ربكم موعداً يريد أن يُنْجِزَكُمُوهُ قالوا : ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويجيرنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون الله، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم ".*

قوله " فيكشف الحجاب " أي عن أهل الجنة.

و الحديث صريح في تفسير الزيادة في الآية بأنها النظر إلى وجه الله المقدس.

و عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال :

---

* رواه أحمد 332/4 و15/6 ومسلم في الإيمان 17/3 والترمذي في الجنة 2329 والنسائي في الكبرى 361/6 وابن ماجة 187.

" ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ".*

و عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " يقول الله عز وجل لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : ربنا ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قال: فيقولون : ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ".**

و قوله " أحل " بضم الهمزة.

الأحاديث بالنظر إلى الله الكريم جاءت متواترة فقد رواها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أكثر من خمس وعشرين صحابياً وهي في الصحاح، والسنن، والمسانيد، وغيرها من كتب السنة واتفق على مدلولها السلف ________________

* رواه البخاري ومسلم وتقدم كاملا.

** رواه أحمد 88/3 والبخاري في الرقاق 212/14 وفي التوحيد ومسلم في الجنة 168/17 والترمذي 2372 في الجنة أيضا.

الصالح، والأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة وأنكرها الخوارج والمعتزلة والروافض.

و القرآن الكريم صريح في ذلك كقوله تعالى : " وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " القيامة 22-23، وقوله جل ذكره المتقدم : " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وزِيَادَةٌ " -يونس 26-، فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله المقدس كما فسرها بذلك النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقال المفسرون في قوله تعالى : " ولَدَيْنَا مَزِيدٌ " ق 35، أنه النظر إلى وجه الله عز وجل وقال العلماء في قوله تعالى : " كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ " المطففين 15، فإذا حجب الكفار عنه تعالى كان المؤمنون غير محجوبين وهو الذي صرحت به هذه الأحاديث التي أسلفنا وغيرها. فعندما يتم الله النعمة على المؤمنين بإدخالهم الجنة يتفضل عليهم بالنظر إليه وإحلاله عليهم رضوانه الذي لا يعقبه سخط أبداً، فلا يكون شيء أحب إليهم ولا أقر لأعينهم وألذ

عندهم من النظر إليه سبحانه فكل نعيم سابق قبل ذلك سيتضاءل عندهم وكيف لا وهو المحبوب الحبيب الذي طالما اشتاق إليه المؤمنون والمحبون والذي طالما وحدوه وتفكروا في آياته الكونية في سمائه وأرضه وبحاره وعجائب خلقه وغرائب مكوناته وقرءوا صفاته وآثار قدرته وما أسبغ به عليهم من آلائه في القرآن الكريم ولا شك أن الناس سيتفاوتون في النظر إليه فقد يوجد من ينظر إليه متى شاء.

و قد ذكروا في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه رؤي في المنام فقيل له : ما صنع الله بك؟ فقال : غفر لي، وقال لي : ضُربتَ في، فهذا وجهي فانظر إليه فقد أبحتك النظر إليه، وفي ترجمة عبد الوهاب الوراق أحد الزهاد رحمه الله تعالى أنه رؤي في المنام فسئِل عن حاله فقال : علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه سبحانه.

و ذكروا في ترجمة معروف الكرخي الزاهد المشهور رحمه الله تعالى أنه رؤي جالساً في سرادقات العرش قد شخص بصره ينظر إلى الله عز وجل لا يطرق فقيل لرضوان : من هذا؟ فقال : هذا معروف الكرخي عبد الله عز وجل حباً له فأباحه النظر إليه عز وجل.

ذكرت هذه الرؤى وختمت بها أحاديث الرؤيا تيمناً ورجاء أن يختم الله لنا بالسعادة الكاملة وأن يمن علينا بفضله ورحمته وكرمه بالنظر

إليه تعالى في جملة عباده المقربين والصالحين من أنبيائه ورسله والصفوة من خلقه إنه جواد كريم.

خـــاتمــــة

لقد تحدث القرآن الكريم بإسهاب عن الجنة وأهلها وما أعد لهم فيها من متع ونعيم، وما سيلقونه من حفاوة وتكريم ورضوان، وذكر سبحانه أشياء عدة من نعيمهم مما لم يأت ذكره في السنة النبوية أو جاء فيها بلا تفصيل.

فقد جاء في القرآن من صفات أهل الجنة ما يزيد على سبعين صفة، وجاء في دخولهم الجنة بدون سابقة عذاب أكثر من خمسين آية تقيد الإيمان بالعمل الصالح، وجاء فيه من صفات الجنة جريان الأنهار من تحت أشجارها وقصورها نحو من ثلاثين موضعاً، وجاء في خلود الجنة وأهلها ونعيمهم ما يقارب الأربعين مرة كما ذكر ألبستهم الحريرية الخضر، ولباسهم الأساور الذهبية والفضية واللؤلؤية، واتكاءهم على الأرائك والأسرر متقابلين، وتنوع مآكلهم من لحوم ومما يشتهون وفواكه وثمار مما يتخيرون وأشربتهم من السلسبيل ومن خمر لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وما فيها من طواف الغلمان والولدان خدماً لهم كأنهم اللؤلؤ المكنون، فهم فيها مكرمون في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك

متكئون وعيون يشربون فيها الرحيق المختوم وجوههم ناضرة ضاحكة مستبشرة إلى ربها ناظرة.

و بهذا تم الكتاب والحمد له الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون وصلى عليه وعلى آله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

و كتب أبو الفتوح عبد الله التليدي

بطنجة المغرب

فهرس الموضوعات